كتاب الموشى

تأليف

ابى الطيّب محمّد

ابن اسحق بن يحيى الوشّاء

نقله من النسخة التى فى خزينة الكتب الليدنيّة

العبد الصغير رُدُلف ابرونُو الاميركانىّ

طبع فى مدينة ليدن المحروسة

بمطبع بريل

سنة ١٣٠٢



الـــجـــزء الاوّل

من كتاب المُوشّى تأليف

ابى الطيّب محمّد بن اسحٰق بن يحيى

الـوشّـاء

رحـمـةُ الـلـه عـلـيـه

كتاب الموشّى

تأليف ابى الطيّب محمّد بن اسحق بن يحيى

الوشّاء

رحمة الله عليه



طبع

فى مدينة ليدن المحروسة

بمطبع بريل

سنة ١٣٠٢

فهرست الابواب

بسم الله الرحمن الرحيم رَبِّ يَسِّرْ وأَعِنْ بآسم الله يكون الابتداء وبعونه يَتمّ الاشياء وبمشيئته تتصرّف الدهور وعلى إرادته تتقلّب الامور ومنه التوفيق والتأييد وبيده الاعانة والتسديد ولا حولَ ولا قوّةَ الّا بالله وبتوفيقه ارشاده ۞

قال ابو الطيّب محمّد بن اسحق بن يحيى المُوَشّى
المؤلّف لهذا الكتاب وهو الكتاب المُوَشّى

نقول ونستعين بالله على السّداد ونستهديه ونستفتح له استفتاحَ اللاجئ اليه ونستكفيه ۞ يَجِبُ على المتأدّب اللبيب والمتظرّف الاريب المتخلّق بأَخلاق الادباء والمتحلّي بحِلية الظرفاء أن يعرف قبل هجومه على ما لا يعلمه وقبل تعاطيه ما لا يفهمه تبيينَ الظَرف وشرائعِ المُروّة وحدودِ الادب فانّه لا ادبَ لمن لا مروّةَ له ٢
ولا مروّةَ لمن لا ظرفَ له ولا ظرفَ لمن لا ادبَ له،

وقد وصفنا في كتابنا هذا على قدر ما بلغه علمُنا واحتوى عليه فكرُنا وجعلناه حدودا محدودة ومَعالمَ مقصورة وشرائعَ بيّنة وابوابا نيّرة وشريطتُنا على قارئ كتابنا الاقصارُ عن طلب عيوب خطائنا والصفحُ عن ما يقف عليه من اغفالنا والتجاوزُ عن ما ينتهى اليه من إهمالنا وإن ادّاه التصفّحُ الى صواب نَشَرَهُ او الى خطاء سَتَرَهُ لانّه قد

تقدّمنا بالاقرار ولا بُدّ للانسان من زلل وعثار ونيس كلّ الادب عرفناه . . . . وعلينا فى ذلك الاجتهاد والى الله الارشاد وقلّ ما نجا مؤلّف لكتاب من راصدٍ بمكيدة او باحثٍ عن خطيئة وقد كان يقال مَنْ ألّف كتابا فقد استشرف واذا اصاب فقد استهدف واذا ما اصاب فقد استقذف، وكان يقال لا يزال الرجل فى فُسْحة من عقله ما لم يَقُلْ شعرا او يضعْ كتابا وقال الشاعر فى ذلك

لا تَعْرِضَنْ للشّعر ما لم يكنْ عِلمُك فى أَبْحُرِهِ جِسْرَا
فَلَنْ يزالَ المرءُ فى فُسْحَةٍ مِن عَقْلِهِ ما لم يَقُلْ شِعْرَا

وأَنْشَدَ فى ذلك

الشِعرُ عقلُ المرءِ يَعْرِضُهُ والقَوْلُ مثلُ مَواقعِ النَّبْلِ
مِنها المُقَصِّرُ عن رَمِيَّتِهِ وَنَوافِذٌ يُذْهِبْنَ بالخَصْلِ

وكان يقال اختيار الرجل قِطْعةٌ من عقله فقال لا بل مَبْلغ عقله وقال بعضهم اختيار الرجل .... وقال الخليل بن احمد لا يُحْسِن الاختيار الّا مَنْ يعلم ما لا يحتاج اليه من الكلام، وقال الشّعْبيّ العلمُ كثير والعُمْر قصير فخُذُوا من العلم ارواحه ودعوا ظروفه، وقال ابن عبّاس العلم اكثر من ان يُحْصَى فخذوا من كلّ ٣
احسنه، ونحن نستعين اللهَ ونودّع كتابنا هذا جملةً من حدود الادب والمروّة والظرف ونجعل ذلك ابوابا مختصرة وفصولا محبّرة على غير نقص منّا لما فى كلّ باب لئلّا يطول به تأليف الكتاب والآن غَرَضُنا فى الاختصار لِما عليه النفوسُ من مَلَلِ الاكثار ولِنَنْجوا من مقالة حاسد او اعتراض معاند على انه لا بُدّ للحاسد وان لم يجد سبيلا الى وَهْن ولا سببا الى طعن أَنْ يحتال لذلك بحسب ما رُكّبَ عليه طَبْعه وتضمّنه صدرُه حتّى يَتخلّصَ الى غفلة او يصلَ الى زَلّة فيتشبّث بالمعنى الحقير وينسبّبُ بالحَرْف الصغير الى ذكر المثالب وتغطية المناقب انْ مِن طبع اهل الحسد وأرباب المعاندة والنَكَد تغطيةُ محاسن مَنْ

حسدوه واظهارُ مساوى من عاندوه، وقد اخبرنى ابو جعفر احمد ابن عُبَيْد بن ناصح وبشر بن موسى بن صَلح الاسدىّ قالا حدثنا الاصمعىّ قال حدثنى العلآء بن اسلم قال حدثنا رُؤْبة بن العجّاج قال قصّرتُ وعرفتُ ثم قال لى يا رؤبة عساك مثلُ أقوامٍ إنْ سكتُّ لم يسئلونى وان تكلّمتُ لم يَعُوا عنّى قلتُ ارجوا أن اكون كذلك قال فما اعداء المروّة قلتُ تخبّرنى قال بنو عمّ السَوء إن رأوا خيرًا ستروه وإن رأوا شرًّا اذاعوه،

انشدنى ابو العباس محمد بن يزيد المبرّد

عَينُ الحَسُودِ عليك الدهرَ حَارِسَةٌ　　تُبْدِى المَسَاوِىَ والأَحسَانَ تُخْفِيهِ
يلقاك بالبشر يُبْدِيه مُكَاشَرَةً　　والقلبُ مضطغنٌ فيه الذى فيه
إنّ الحَسُودَ بِلا جُرْمٍ عداوتُه　　فليس يَقْبَلُ عُذْرًا فى تَجَنِّيه

وانشدنى ابو جعفر فى مثل ذلك

إن يعلموا الخيرَ يُخْفوه وان علموا　　شرًّا أُذِيعَ وان لم يعلموا كَذَبُوا

وانشدنى محمد بن ابراهيم القارِئُ

وتَرَى اللبيبَ محسَّدا لم يجترمْ　　شَتْمَ الرجال وعِرْضُه مشتومُ
حَسَدوا الفتى اذ لم ينالوا سَعْيَهُ　　فالقوم اعداءٌ له وخُصُومُ ۴
كضرائر الحَسْناء قُلْنَ لوجهها　　حَسَدًا وبَغْيًا انّه لَذَمِيمُ

وقال عُمارة بن عَقِيل بن بلال بن جرير

ما ضرّنى حسدُ اللِّئام ولم يزلْ　　ذو الفضل يحسده ذَوُو النُّقْصانِ
يا بؤسَ قومٍ ليس جُرْمُ عَدُوِّهِمْ　　الّا تظاهُرَ نِعْمَةِ الرَّحْمانِ

وخُبّرتُ انّ المنصور قال لبعض ولد المهلّب بن ابى صُفْرة ما اسرع الناس الى قومك فقال يا امير المؤمنين

إنّ العَرانِينَ تلقاها محسَّدةً　　ولا ترى للِئامِ الناس حُسّادَا
كم حاسدٍ لَهُمْ قد رامَ سَعْيَهُمْ　　ما نال مثلَ مَساعيهم ولا كادا

ويُروى ان عمر بن الخطّاب رحمة الله عليه كان يتمثّل

بهذين البيتين

قومٌ سِنانٌ أَبوهمْ حِين تنسُبُهمْ   طابوا وطاب مِنَ الاولاد ما وَلَدُوا

محسَّدون على ما كان من نِعَمٍ   لا يَنزِع الله منهُمْ ما له حُسِدوا

وانشدنا احمد بن عُبيد قال انشدنا العُتْبيّ عن أَبيه

انّي نشأتُ وحُسّادي ذَوُو عَدَدٍ   يا ذا المَعارج لا تنقُصْ لهم عَدَدَا

ما زِلْتُ أُقدِمُ أَفْراسي مكلَّمةً   حتّى اتّخذتُ على حُسّادهنّ يَدَا

وأُنشدتُ

كُلُّ العداوة قد تُرجا اماتَتُها   الّا عداوةَ مَنْ عاداك من حَسَدِ

وبلغ محمّد بن عبدُ الله بن طاهر انّ قومًا من الموالي يحسدونه فقال

انْ يحسُدوني فانّي غير لائمهم   قَبْلي من الناس اهلُ الفضل قد حُسِدوا

فدام لي ولهُمْ ما بي وما بهِمِ   ومات اكثرُهمْ غيظا بما يَجِدُ

انا الذي يجدوني في صدورِهِم   لا أَرتقي صَعَدًا منها ولا أَرِدُ

وقال أَرْدَشِيرُ بن بابَكَ كلّ خَصْلةٍ رَديّةٍ فهي دون الحسد لانّ الحَسود يسعى على من احسن اليه ويبغي الغوائل لمن انعم عليه وقال الاصمعيّ سمعتُ أعرابيّا ذكر بعض الحُسّاد فقال ما رأيتُ ظالما اشبه لمظلوم من الحاسد حُزْنٌ لازمٌ ونفْسٌ دائمٌ وعقلٌ هائمٌ، وقال حاتم طيّء

٥ يا كَعْبُ ما إنْ ترى من بيتِ مَكْرُمَةٍ   الّا له مِن بيوتِ الشَرِّ حُسّادا

والتحرّزُ من الحُسّاد ما لا سبيلَ لنا اليه والتحفّظ من أَلسنتهم ما لا نقدر عليه لكن أقول كما قال الشاعر

ما يضُرّ البَحْرَ أمسى زاخرًا   أن رَمَى فيه غُلامٌ بِحَجَرْ

وأُصدّر كتابي هذا مستعينا بالله راغبا اليه بذكر الادب وصفته وما يحتاج الادباء الى معرفته وأُشفِعه بأشياء يستحسنها الأديب ويرغب في دِراستها الأريب وبالله التوفيق ✿

باب البيان عن حدود الأدب ١

وما يجب على الادباء من الفحص والطلب

اعلمْ انّ اوّل ما يجب على العاقل المنفصل بصفته عن الجاهل أن يتبعه ويميل اليه ويستعمله ويَحرص عليه مجالسةُ الرجال ذوى الالباب والنَظَرُ فى افانين الآداب وقراءةُ الكتب والآثار وروايةُ الاخبار والاشعار وأن يُحْسِن فى السؤال ويتثبّت فى المقال ولا يُكْثِرَ الكلام والخطاب ان سئل عمّا يعلمه اجاب وان لم يُسئل صمت للاستماع ولم يتعرّض لمكروه الانقطاع فقد رُوِى فى الخبر المأثور أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال أُغْدُ عالما او متعلّما او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلكَ والصمت احسن بالرجل من الهذر فى منطقه والكلامِ فيما لا يعنيه والتسرّعِ الى ما يكون على وَجَلٍ منه وقد قال بعض الشعراء

يَمُوتُ الفَتَى من عَثْرَةٍ بلسانه ... وليس يموت المرءُ من عَثْرة الرِجْلِ
فعَثْرتُهُ مِن فيه تَرمى برأسه ... وعثرته بالرجل تَبْرَا على مَهْلِ

وقال ابو العَتاهِيَة

اذا كنتَ عن أن تُحسِن الصمتَ عاجزا ... فانت عن الابلاغ فى القول أَعْجَزُ
يخوض أُناسٌ فى المقال ليوجِزوا ... ولَلصمتُ عن بعض المقالات أَوْجَزُ

وقال ايضا

قد أَفْلَحَ الساكتُ الصَمُوتُ ... كلامُ راعى الكلامِ قُوتُ
ما كلُّ نُطْقٍ له جوابٌ ... جوابُ مَا تَكْرَهُ السُكُوتُ ٦

وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم من كان يؤمن بالله واليومِ الاخرِ فلْيقل خيرا او ليسكت، وقال من صمت نجا وكان اعرابىّ يجالس الشَعْبىّ يطيل الصمت فقال له يوما لِمَ لا تتكلّم فقال اسمع لاعلمَ واسكتُ فاسْلَمَ، وقال ابو هُرَيْرَة ثمرة القلب اللسان وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام ما مُبْدِى علم القلب وجهله قال اللسان قال فاين يلزم الصمت قال عند من هو اعلم منكم وعند الجاهل اذا جالسكم وقال

بعض الشعراء

تَعاهَدْ لسانَك إنّ اللسان سريعٌ الى المرء فى قَتْلِهِ
وهٰذا اللسان بريدُ الفؤادِ يدُلّ الرجالَ على عَقْلِهِ

وقال اخر

أَسْتِرِ النفسَ ما استطعتَ بصَمْتٍ إنّ فى الصمت راحةً للصَّموتِ
وَٱجْعل الصمت ان عَيِيتَ جوابا رُبّ قولٍ جوابُهُ فى السُكوتِ

وقال ابو العتاهية

لا خَيْرَ فى حَشْوِ الكلا مِ اذا اهتديتَ الى عُيُونِهْ
والصمتُ اجملُ بالفتى من منطقٍ فى غير حِينِهْ

وقال لُقْمٰن لابنه يا بُنَيّ ان غُلبتَ على الكلام فلا تُغْلَبْ على الصمت فكن على ان تَسْمَع احرصَ منك على ان تقول إنّى نَدِمتُ على الكلام مرارا ولم اندم على الصمت مرّة واحدة، وقال ابراهيم بن المهدىّ فى هذا المعنى فاحسن

إن كان يُعجِبُك السُكوتُ فانّه قد كان يُعجِبُ قبلك الأَخْيارَا
ولَئِنْ ندمتَ على سكوتك مرّةً فلقد ندمتَ على الكلام مِرارَا
إنّ السُكوت سلامةٌ ولَرُبّما زَرَعَ الكلامُ عداوةً وضِرارَا

فحقيق على الاديب ان يخزن لسانه عن نطقه ولا يرسله فى غير
٧ حقّه وان ينطق بعلم وينصت بحلم ولا يعجلَ فى الجواب ولا يهجم على الخطاب وإن راى احدا هو اعلم منه نصت لاستماع الفائدة عنه وتحذّر من الزلل والسقط وتحفّظ من العيوب والغلط ولم يتكلّم فيما لا يعلم ولم يناظر فيما لا يفهم فانّه ربّما اخرجه ذلك الى الانقطاع والاضطراب وكان فيه نقصه عند ذوى الالباب، وقد قال الأعور الشَنّيّ فاجاد

أَلَمْ تَرَ مِفْتَاحَ الفُؤادِ لِسانَهُ اذا هُوَ أَبْدَى ما يقولُ مِنَ الفَمِ
وكَائِنْ ترى من صامتٍ لك مُعْجِبٍ زيادتُه ونقصُه فى التكلُّمِ

لسانُ الفتى نِصْفٌ ونِصْفٌ فؤادُه   فلم يَبْقَ إلّا صورةُ اللّحم والدّمِ

ومثله قول الاخطل ايضا

إنّ الكلامَ من الفؤاد وإنّما   جُعِلَ اللسانُ على الفؤاد دليلَا

واخبرنى ابو العبّاس احمد بن يحيى ثعلب قال كان بكر بن عبد الله المُزَنىّ يُقِلّ الكلام فقيل له فى ذلك فقال لسانى سَبُعٌ إن تركتُه أكَلَنى وانشد

لسانُ الفتى سَبْعٌ عليه شَذاتُهُ   فالّا يَزَعْ من غَرْبه فهْوَ آكِلُهْ

وما العِىُّ إلّا منطقٌ متبرِّعٌ   سواءٌ عليه حقُّ أمرٍ وباطلُهْ

قال ابو الطيّب قوله شذاته اىْ حَدّه، وقال بعض الحكماء ألزَم الصمت تُعَدَّ حكيما كنتَ امْ عليما، وقال الهيثم بنْ الاسود النخعىّ

من يستعِنْ بالصمت يوما فانّه   يقالُ له لُبٌّ نَهاه أصيلُ

وإنّ لسان المرء ما لم تكن له   حصاةٌ على عوراته لَدليلُ

وكان يقال الصمتُ صونُ اللسان وسترُ العِىّ انشدنى احمد بن يحيى ثعلب للخَطَفى بن بَدْرٍ

عجبتُ لإزْراء العَيِىّ بنفسه   وصَمْتِ الّذى قد كان بالقول أعْلَمَا

وفى الصمت سترٌ للعيىّ وانّما   صحيفةُ لُبّ المرء أنْ يتكلّما

والعرب تقول عِىٌّ صامتٌ خيرٌ من عِىٍّ ناطقٍ، وكان رَبيعة الرأىِ كثير الكلام فتكلّم يوما واكثر ثمّ قال لاعرابىّ عنده أتعرف ما العىّ قال نعم ٨

ما انت فيه منذ اليوم، وقال اكثم بن صَيْفىّ حتفُ الرجل بين لحيَيْه، وانشدنى احمد بن عُبَيْد لابى محمّد اليزيدىّ

حتفُ امرئ لسانُه   فى جَدّه او لَعِبِهْ

بين اللّها مقتلُه   رُكّبَ فى مُرَكَّبِهْ

ورُبّ ذى مَزْحٍ أُفِيتَتْ نفسُه فى سَبَبِهْ

ليس الفتى كُلّ الفتى   الّا الفتى فى أدَبِهْ

وبعض أخلاق الفتى   أوْلَى به من نَسَبِهْ

وكان يقال لسانُك عبدُك فاذا تكلّمتَ صرتَ عبدَه وقال بعض الحكماء انا بالخيار ما لم اتكلّم فاذا تكلّمتُ صار الكلام علىّ بالخيار وقال آخر لسانى فى حبس بدنى ما لم أُطلقْه على نفسى فاذا أطلقتُه صار بدنى فى حبس لسانى وقال اخر الكلمة اسيرة فى وَثاق الرجل فاذا تكلّم بها صار فى وِثاقها، وقال الشعبىّ انا على اتّباع ما لم أُوقِعْ اقدرُ منّى على ردّ ما أُوقعتُ، وتكلّم أربعة من الملوك باربع كلمات خرجن كُلّهنّ بمعنىً فقال كسرى انا على قول ما لم اقل اقدرُ منّى على رَدّ ما قلتُ، وقال قيصر لا اندمُ على ما لم اقل فانّما اندم على ما قلتُ، وقال ملك الصين اذا تكلّمتُ بالكلمة ملكتْنى ولم املكْها، وقال ملك الهند عجبتُ لمن يتكلّم بالكلمة إن حُكِيَتْ عنه ضرّتْه وإن لم تُذكَر لم تنفعه، وقال امرؤ القيس

اذا المرء لم يَخزُن علَيه لسانَه   فليس على شىء سِواه بخَزّانِ

وقالت الفلاسفةُ اللسان خادم القلب، وقالت العلماء اللسان كاتبُ القلب اذا أَملَى عليه شيئًا أتى به، وانشدنى عُبَيْد الله بن عبد الله ابن طاهر

رأيتُ لسانَ المرء راعِىَ نفسه   وعاذِرَه إن لِيمَ او زَلّ سائرُهْ
٩ فمَن لَزِمتْه حُجّةٌ من لسانه   فقد مات راعيه وأُفحِمَ عاذِرُهْ

ولَئن كان السكوت جميلا لقد جُعِلَ الكلامُ جليلا ما لم يتعدَّ المتكلّمُ فى كلامه ويجاوزْ فى الكلام حَدَّ نِظامه، وقد انشدنى احمد بن يحيى ثعلب

ما فى الكلام على الأنام أَثامٌ   بل فيه عندى النَقْضُ والابرامُ
لولا الكلامُ لَمَا تبيّنّا الهُدَى   وتعطّلتْ فى ديننا الأحكامُ
فَزِنِ الكلامَ اذا اردتَ تكلُّمًا   وَدَعِ الفضولَ ففى الفضول مَلامُ
إن أنت لم تُرْشِدْ أخاك اذا أتى   فَعَلَيْك منه هُجْنَةٌ وأَثامُ
والنُّطْقُ افضلُ من صُماتٍ مُتْهِمٍ   جاء الكتابُ بذاك والاسلامُ

هذا البيان فلا تكن مُتَمارِيًا   فالصمتُ عِيٌّ والكلام نِظامُ

وليس بعيب على الاديب وإن كان مستقلًّا بما لديه استحذاؤه للمتقدّم في العلم عليه ولا في سؤاله فيما غُيِّبتْ معرفتُهُ عنه مَنْ هو اعلى درجةً في العلم منه، وانشدني احمد بن يحيى ثعلب

تَمامُ العَمَى طولُ السكوت وانّما   شِفاءُ العَمَى يوما سؤالُك مَنْ يَدْرِى

ورُوِى انّ أعرابيًّا أتى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم فقال يابن عبد المطّلب ما ذا يزيد في العلم قال التعلّمُ قال فما ذا يدلّ على العلم قال السؤال، انشدني احمد بن عُبَيْد قال انشدني ابن الأعرابيّ نِبَشامة ابن عَمرٍو المِزّىّ

اذا ما يَهْتدى لُبِّى هَدانى   وأسْلُ ذا البَيانَ اذا عَمِيتُ

وأجتنبُ المَقانِعَ حيث كانت   وأترك ما هَوِيتُ لِما خَشيتُ

وكان يقال من رقّ وجهه عن السؤال دقّ علمه ومن احسن السؤال عَلِمَ، وقال الشاعر

اذا كنتَ في بَلْدَةٍ جاهلًا   ولِلْعِلم مُلْتمِسًا فاسْأَلِ

فإنّ السُؤالَ شِفاءُ العَمَى   كما قيل في الزَمَنِ الأوّلِ

ورُوينا عن يونس عن الأوزاعيّ عن يحيى بن ابى كَثِيرٍ قال لا يتعلّم من استحيا وتكبّر، وقال رجل من بنى العبّاس للمأمون ايحسن بمثلى طلب العلم اليوم فقال نعم والله لأن تموت طالبا للعلم ازْيَن بك من ان تموت قانعا بالجهل فقال الى متى يحسن بى وقد جاوزت الستّين قال ما حسنتْ بك الحياة، وقال الخليل ذاكِرْ بعلمك فتذكر ما عندك وتستفيد ما ليس عندك، وقال الخليل ايضا كنتُ اذا لقيت عالما اخذت منه واعطيته، واخبرني احمد بن عُبَيْد قال اخبرني ابن الاعرابيّ قال اخبرنا ازهر السّمان قال قال الزُهْرِيّ الاخبارُ ذُكرانٌ لا يحبّها الّا ذكران الرجال ولا يكرهها الّا مؤنّثوهم وقال الطِرِمّاح

ولا أنْعَ السؤالَ اذا تَعَيَّتْ   علىَّ من الأمور المُشْكِلاتُ

وَيَنْفَعُنِى اذا استيقنْتُ عِلْمى وَأَقْوَى الشكِّ عندى البَيِّنَاتُ

فهذه جملةٌ تحثّ الادباء على الطالب وصدرٌ يقنع به العقلاء من حدود الادب، ومنه ايضا ترك ممازحة الاخوان اذ كان ممّا يوغر صدور الخلّان وقد اختصرتُ لك من ذلك جملة مقنعة وألفاظها ممتّعة فيها لك كفاية ولذوى الالباب نهاية ان شاء الله تعالى ۞

٢

باب النهى عن ممازحة
الاخلّاء والنهى عن مفاكهة الاودّاء

اعلمْ أنّ من زىّ الادباء واهل المعرفة والعقلاء وذوى المروّة والظرفاء قلّة الكلام فى غير ارب والتجالُل من المداعبة واللعب وتركُ التبذّل بالسخافة والصياحِ بالفكاهة والمزاحِ لانّ كثرة المزاح يُذلّ المرء ويضع القدر ويُزيل المروّة ويُفسد الاخوّة ويجترئ على الشريف الحرّ أهلُ الدناءة والشرّ، وقد اخبرنى احمد بن عبيد قال اخبرنى الاصمعىّ عن رجل من العرب قال خرجت فى بعض ليالى الظُلَم فاذا انا بجارية كانّها صنم فراودتُها عن

١١ نفسها فقالت يا هذا أما لك زاجرٌ من عقل اذا لم يكن لك واعظ من دين قلت والله ما يرانا الّا الكواكب قالت يا هذا فاين مُكَوْكِبُها فقلت انّما كنت امزح فقالت·

فـايّـاك ايّـاك الـمُـزاحَ فانّـه يُجَرّى عليك الطفلَ والدَنِسَ النَذْلَا

ويُـذْهِـبُ ماءَ الوجهِ بعد وَضَائه ويُـورِثُ بعد العزّ صاحبَه ذُلّا

وقال سليمان بن داود عليه السلام المزاح يستخفّ فؤاد الحليم ويُذهب ببهاء ذى القُدْرة، وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه مَن اكثر من شىء عُرِفَ به ومن مازح استُخِفَّ به ومن كثر ضحكُه ذهبت هيبتُه، وكان يقال لكلّ شىء بذرٌ وبذر العداوة المزاح، وكتب عمر بن عبد العزيز الى عمّاله أمنعوا الناس من المزاح فانّه يُذهب المروّة ويوغر الصدر، وقال بعض الشعراء

مازِحْ أَخاكَ اذا اردتَ مُزاحًا   وتَوَقَّ منه فى المزاحِ جماحًا
فلَرُبّما مَزحَ الصديقُ بمَزْحَةٍ   كانت لِباب عداوةٍ مفْتاحًا

وقال عمر بن عبد العزيز آمتنعوا من المزاح تسلمْ لكم الأعراضُ قال خَلَف ابن صَفْوان المزاح سباب النَّوْكى، وقال محمود الورّاق

تَلْقى الفتى يَلْقى اخاه وخِدْنَه   فى لَحنِ منطقه بما لا يُغْفَرُ
ويقول كنتُ ممازِحًا وملاعبًا   هيهات نارُك فى الحشا تَتَسَعَّرُ
أَلْهبتَها وطَفِقتَ تضحك لاهيًا   عمّا به وفؤادُهُ يتفطّرُ
أَوَما علمتَ ومثل جهلك غالبٌ   أنّ المُزاحِ هو السبابُ الأَصْغَرُ

وقال بعض الحكماء الخصومةُ تُمْرِض القلوب وتُنْبِت فيها النفاق والمزاحُ يُذهِب ببهاء العزّ، وحدثنى الباغنْدىّ قال حدثنا الحميدىّ عن سُفيان عن ابن المُنْكَدِر قال قالت لى امّى يا بُنىّ لا تمازح الصبيانَ فتهونَ
عليهم وقد كانت ادركت النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، واوصى يَعْلَى بن ١٢
مُنَبّه بنيه فقال يا بَنىَّ ايّاكم والمزاحَ فانّه يُذهِب بالبهاء ويُعْقِبُ الندامة ويُزْرى بالمروّة، وقال مِسْعَر بن كِدَامٍ الهلالىّ لابنه

ولقد مَنَحتُك يا كِدام نصيحتى   فَآسمعْ لقول أبٍ عليك شَفيقِ
أمّا المزاحة والمِراء فدَعْهما   خُلُقانِ لا أَرضاهما لصديقِ
انّى بَلَوْتُهما فلم احمَدْهما   لمجاوِرٍ جاورتُه ورفيقِ

وكان سعيد بن العاص يقول لا تمازحنّ الشريفَ فيحقد عليك ولا الدنىَّ فيجترئَ عليك، وقد تواترتْ بالنهى عن ذلك الاخبار وتكاثفتْ فيه الاشعار ولعمرى انّ ترك ما نهى عنه ذوو الادب من المداعبة واللعب اولى بذى النُّهْية والأرب، وقد يجب على العاقل الاديب أن ينتقى اخوانه ويتخيّرَ اخدانه ويفتّش عن الاصحاب ويجالس ذوى الالباب ويستخلصَ اهل الفضل واهل المروّات والعقل فانّها محنة الادباء وفراسة العلماء وانّما يُعرف الرجل باشكاله ويقاس بامثاله ويوسّم باخدانه ويُنسب الى اقرانه وقد شرحتُ فى ذلك جملةً من الآثار

وما رُوى فيه من النُتَف والاخبار فتَقِف عليه يَبِنْ لك ما فيه ان شاءالله تعالى ✿

٣ باب الامر بٱختيار الاخوان

وانتخاب الاقران والاخدان

رُوى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال ٱختبروا الناس باخوانهم فانّ الرجل يخادن مَن يُعجبه نحوُهُ، وقال مجاهد انّى لَأَنتقى الاخوان كما انتقى اطايب الثمر، وقال بعض الشعراء

امحَضْ مودّتَك الكريمَ فانّما يَرْعَى ذوى الأحساب كلُّ كريمِ
وإخآءَ أشرافِ الرجالِ مروّةٌ والموتُ خيرٌ مِنْ إخاءِ لئيمِ

١٣ وقال يحيى بن اكثم

وقارِنْ اذا قارنتَ حُرًّا فانّما يَزين ويُزرِى بالفتى قُرَناؤُهُ
اذا المرءُ لم يختَرْ صديقا لنفسه فناد به فى الناس هذا جزاؤُهُ

ورُوى انّ سليمان بن داوُد عليه السلام قال لا تحكموا للرجل بشىء حتّى تنظروا مَن يخادن، وقال عَدىّ بن زيد العِبادىّ

عنِ المرءِ لا تَسْئَل وأبصِرْ قرينَه فانّ القرين بالمُقارِنِ مُقْتَدِى
اذا ما رأيتَ الشرَّ يَبعث أهلَه وقام جُناةُ الشرّ للشرّ فٱقعُدِى

وقال عُتْبة بن هُبَيرة الاسدىّ

ان كنتَ تبغى العلمَ او اهلَه او شاهدًا يُخبِر عن غائبِ
فٱختبرِ الارضَ بأسْمائها وٱختبرِ الصاحبَ بالصّاحِبِ

وقال ابو العتاهية

مَن ذا الذى يَخْفَى عليك اذا نظرتَ الى قرينِهْ
وعلى الفتى بطِباعِه سِمَةٌ تَلُوح على جبينِهْ

وانشدنى احمد بن عُبيد لابى محمّد اليزيدىّ

ومَن يصاحبْ صاحبًا يُنسَبْ الى مُسْتَصْحِبِهْ

بزائنات رُشْده او شائنات رِيبَهْ
ورأس أمرٍ لأمرىءٍ خيرٌ له من نَخْبَهْ
وذو النُهَى ليست تبا عاتُ الهوى من أَرَبِهْ

وقال اخر

ولا تَصحَبْ اخا الجهل وايّاك وايّاهُ
فكَمْ من جاهلٍ أَرْدَى حليمًا حين آخاهُ
وللشىء من الشىء مقاييسٌ وأشباهُ
يُقاس المرء بالمرء اذا ما المرء ما شاهُ
وللقلب على القلب دليلٌ حين يلْقاهُ

وانشدنى ابو العبّاس الشيبانىّ لابى آمنة جدّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ١۴

واذا أَتيتَ جماعةً فى مجلس فَأحْذرْ مَجالسَهم ولمّا تَقْعُدِ
وذَرِ الغُواةَ الجاهلين وجهلَهمْ والى الذين يذكّرونك فأقعُدِ

فلْيُواخِ الاديبُ اكفاءه وليصحب نظراءه ومَن يأمن من غدره وغبّ أمره وبوائق شرّه وأنّى يكون ذلك ولن يجتمع الّا فى اهل الحياء فنهم كرم الوفاء واذا اجتمع الحياء والوفاء صحّ الاخاء، وقد اخبرنى مخبرٌ عن عبد الله بن طاهر انّه قال لا دواء لمن لا حياء له ولا حياء لمن لا وفاء له ولا وفاء لمن لا اخاء له ولا اخاء لمن اراد ان يجمع بين اهواء اخلّاءه حتّى يحبّوا ما احبّ ويكرهوا ما كره وحتّى لا يرى من احد ختلا ولا زللا ولا تفريطا ثمّ انشد

طلبتُ امرًأ محضا صحيحا مسلّما نَقيًّا مِنَ الآفات فى كلّ مَوْسِمِ
لأَمنحه وُدّى فلم أُدرِكِ الذى طلبتُ ومَن لى بالصحيحِ المُسَلَّمِ
صَبرتُ ومَن يَصبرْ يجِدْ غبّ صبرِهِ ألذَّ وأشهى من جَنَى النحل فى الفمِ
ومَن لا يَطِبْ نفسًا ويستبْقِ صاحبًا ويَغفِرْ لأهل الوُدّ يُصرَمْ ويَصرِمِ

وقال محمود الورّاق

اِلْبَسْ اخاك على تصنُّعهِ · فَلَرُبَّ مفتضحٍ على النَصِّ
ما كِدتُ أَفحص عن اخى ثقةٍ · الّا نَممتُ عواقبَ الفَحْصِ

وليصحب نظراءه ومن يأمن غدره وغبّ امره وبوائق شرّه، وانشدنى محمّد بن يزيد المبرّد للمُطيع بن اياس

ولئِنْ كنتُ لا تُصاحِبُ الّا · صاحبًا لا تَزِلّ ما عاش نَعْلُهْ
لا تجدْه ولو حرصتَ وأنّى · لك بالخِلّ ليس يوجَدُ مِثْلُهْ

وقال يونس بن عُبيد اعيانى شيآن اخ فى الله ودرهم حلال، وقيل لبعض الحكماء من ابعد الناس سفرا فقال من كان فى طلب صديق يرضاه، وقال رجل للفضل بن عياض أبغنى رجلا احدّثه سرّى وآمنه على امرى فقال تلك ضالّة لا توجَد، وانشدنى المهلّبىّ لنفسه

البَسْ اخاك على ما كان من خُلُقٍ · وٱحفَظْ مودّتَه بالغَيْبِ ما وَصَلَا
فَأَطْوَلُ الناس غمًّا مَن يريد اخًا · ذا خُلّةٍ لا يَرى فى وُدّه خَلَلَا

وانشدنى ايضا

أُقسمتُ بٱللّه لا يَنْفَكّ مغتفرًا · ذَنْبُ الصديق وإن عَقّا وإن صَرَمَا
والعُمر يَقصر عن هَجْرٍ وعن صِلَةٍ · وعن تجنّى وعَتْبٍ يُورِثُ السَقَمَا

فتركُ مصارمة الخلّان والتجاوزُ عن هفوات الاخوان والاستكثارُ من الاخلّاء ورفضُ معاندة الاعداء اولى باهل الادب وذوى المروّة والارب واهل الفضل والحسب، وقد حكى الاصمعىّ قال سمعت اعرابيّا يقول لأخ له اى اخى انّ الصديق يحول بالجفاء وانّى اراك رَطْب اللسان من عيوب اصدقائك فلا تَزِدْهم فى اعدائك، وقال عبد الله بن الحسن بن علىّ لابنه رضى الله عنه ايّاك وعداوةَ الرجال فانّها لن تُعدمك مكرَ حليم او مفاجأةَ لئيم، ورُوى انّ سليمان بن داوُد قال لابنه يا بُنىّ لا تستكثر ان يكون لك الف صديق ولا تستقلّ ان يكون لك عدوّ واحد، ورُوى انّ علىّ بن ابى طالب عليه السلام قال

وأكثِرْ من الاخوان ما ٱسْطَعْتَ انّهم · عِمادٌ اذا استنْجدتَهم وظُهُورُ

وليس كثيرًا أَلْفُ خِلٍّ وصاحبٍ • وانّ عدوًّا واحدًا لكثيرُ

وليس شىء اسرّ الى ذى اللبّ ولا احسن موقعا فى القلب من محادثة العقلاء ومُجالسة الادباء فانّ ذلك ممّا تُفتَق به الاذهان وينفسح به الجَنان ويزيد فى اللبّ ويحيا به القلب كما قال بعض الشعراء

وما بَقِيَتْ من اللّذّات الّا محادثةُ الرجال ذوى العُقُول
وقد كُنّا نَعُدُّهمُ قليلًا فقد صاروا أَقلَّ من القَليل

١٩ وقيل للحُرْقة ابنة النعمان ما كانت لذّة ابيك فقالت ادمان الشراب ومُجالسة الرجال، وقال عمرو بن مُرّة الجُهَنىّ صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

وصحَوْتُ الّا مِن لِقاء محدِّثٍ حَسَنِ الحديث يَزيدنى تَعْليمَا

وقال معاوية بن ابى سفيان لعمرو بن العاص ما بقى ممّا تستلذّه فقال مجالسة الرجال، وقد رُوى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وعن ٢٠ عدّة من الصحابة رضى الله عنهم من الاحاديث فى الحثّ على صحبة الاخوان والرغبة فى الخلّان ما ان ذكرناه طال به الكتاب وكثر به الخطاب وسنذكر بعض ذلك ونختصره ونأخذ من احسنه ما يكون فيه بلاغ ان شاء الله تعالى ۞

باب الحثّ على صحبة الاخوان ٤

والاغراء على مودّة الخلّان والرغبة فى اهل الصلاح والايمان

رُوى عن ابى هُريرة انّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يُخالّ، ورُوى عن ابى عمرو العَوْفىّ قال كان يقال اصحبْ من انْ صحبتَه زانك وان خدمته صانك وان اصابتك خصاصة مانك وان رأى منك حَسَنة عدّها وان رأى منك سقطة سترها ومن ان قلت صدّق قولك وان اصبت سدّد صوابك ومن لا تأتيك البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق وقال الفضل بن غسّان

البصرىّ كان يقال اصحبْ من ينْسى معروفه عندك، ورُوى عن معاوية بن قُرّة قال نظرتُ فى المودّة والاخاء فلم اجد اثبتَ مودّةً من ذي اصل، وانشدونا لعمر بن عبد العزيز ولا يعرف له غير هذه الابيات

انّى لَأَمْنح مَن يُواصلُنى منّى صفآءً ليس بالمَذْقِ
واذا أَخٌ لى حالَ عن خُلُقٍ داويتُ منه ذاك بالرِفْقِ
والمرءُ يَصنع نفسَه ومَتَى ما تَبْلُهُ يَنزِع الى العِرْقِ

١٧ ومثله قول زهير بن ابى سلمى

وما يَكُ من خيرٍ أَتَوْهُ فانّما تَوارثَهُ آباءُ آبائهم قَبْلُ
وهل يُنْبِتُ الخَطّىَّ الّا وَشيجُهُ ويُغْرَسُ الّا فى مَنابتِها النَخْلُ

ومنه قول الاخر

والابْنُ يَنشو على ما كان والِدُهُ انّ العُروقَ عليها تَنبُتُ الشَّجَرُ

وقال المتوكّل الكنانىّ

عندى لِصالحِ قومى ما بَقيتُ لهُمْ حمدٌ وذمٌّ لأَهلِ الذمّ مَعْدودُ
أَجرِى على سُنّةٍ مِن والدى سَبَقتْ وفى أَرومتِه ما يُنْبِتُ العودُ

واوصى بعض الحكماء اخا له فقال اى اخى آخِ الكريمَ الاخوّة الكامل المروّة الذى ان غبتَ خلفك وان حضرت كنفك وان لقى صديقك استزاده وان لقى عدوّك كفّه وان رايته ابتهجت وان نأيته استرحت، وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه اذا رزقك الله مودّة امرء مسلم فتشبّثْ بها وكان سفيان الثَوْرىّ كثيرا يتمثّل بهذين البيتين

أَبْلُ الرجالَ اذا اردتَ اخاءهم وتَوَسّمَنَّ اخاءهم وتَفَقّدِ
فاذا وجدتَ اخا الأمانة والتُقى فبه اليدَيْنِ قَرِيرَ عينٍ فاْشْدُدِ
كَمْ من صديقٍ فى الرَخاء مُساعدٍ واذا اردتَ حقيقةً لم تُوجَدِ

ومثل ذلك قول الاخر

آخِ مَن آخَيْتَ عن خِبْرتِه لا يَغُرَّنْك مِنَ الناس الطُرَرْ

لا ولا الأجسامُ ما لم تَبْلُهمْ … انّما الناس كأمثال الشَجَرْ
منهُ ما ليستْ له مَنْظَرةٌ … وَهْوَ صُلبٌ عُودُه حُلْوُ الثَمَرْ
وتَرى منه أنيقًا نَبْتُهُ … طعمُه مُرٌّ وفى العُود خَوَرْ

وقال اخر

مَن حَمَدَ الناس ولم يَبْلُهمْ … ثمّ بَلاهمْ ذمَّ مَن يَحْمَدُ
وصار بالوَحْدة مستأنِسًا … يُوحِشُهُ الأقربُ والأبْعَدُ

ورُوى انّ رجلا من عبد القيس قال لابنه اى بُنىّ لا تُواخِ احدا
حتّى تعرف موارد اموره ومصادرها فاذا استبطنت الخبر ورضيت منه ١٨
العِشْرَةَ فآخه على اقالة العثرة والمواساة عند العُسْرة، وانشدنى محمّد
ابن يزيد المبرّد

وكنتُ اذا الصديق اراد غَيْظى … على حَنَقٍ وأشرَقنى بريقى
غفرتُ ذُنوبَهُ وكَظمتُ غيظى … مخافةَ ان اكونَ بلا صديقِ

وانشدنى لبَشّار بن بُرْد العُقَيْلىّ

اخوك الذى لا يَنقض الدهرُ عَهْدَهُ … ولا عند صَرف الدهر يَزْوَرّ جانبُهْ
فخُذْ من أخيك العفوَ وٱغفرْ ذنوبَهُ … ولا تَكُ فى كلّ الامور تجانبُهْ
اذا كنتَ فى كلّ الامور مُعاتبًا … صديقَك لم تَلْقَ الذى لا تُعاتبُهْ
اذا انت لم تشربْ مِرارًا على القَذَى … ظمئتَ وایّ الناس تَصْفو مَشارِبُهْ

وقال اخر

ومن لا يغمّضْ عينَه عن صديقه … وعن بعض ما فيه يَمُتْ وَهْوَ عاتبُ
ومن يتتبّعْ جاهدًا كلَّ عَثْرَةٍ … يجدْها ولا يَسلمْ له الدهرَ صاحبُ

وانشدنى احمد بن يحيى لسعيد المُساحقىّ

فخُذْ عفْوَ مَن احببتَ لا تُبْرِمَنّهُ … فعند بُلوغ العُذر رَنْقُ المَشارِبِ

وقال ابو الاسود الدُؤلىّ

ولستَ مستبْقيًا اخًا لك لا … تَصْفَحُ عمّا يكون من زَلَلِهْ
مَن ذا الذى هُذّبتْ خلائقُهُ … فى رَيْثه إن آتى وفى عَجَلِهْ

لا أصاحبُ الخائنَ اللئيمَ ولا أقطعُ وَصْلَ الخليلِ من مَلَلَهْ
أجْزِيه بالعُرف ما حَيِيتُ ولا يَعدَمُ صَفْحِى للشرّ من عَمَلِهْ

ومثله قول النابغة الذبيانىّ

ولستَ بمستبْقٍ اخًا لا تَلُمُّهُ على شَعَثٍ اىُّ الرِجالِ المُهَذَّبُ

واجاد والله الذى يقول

اذا ما اذانى مَفْصِلٌ فقطعْتُهُ بَقِيتُ وما لى للنهوض مَفاصلُ
ولكنْ أُداويهِ فإن صحَّ كان لى وان هو أدْوَى كان فيه تحامُلُ

وأُنشدتُ لرجل من طيّىٍّ

١٩ أَرْخِ على الناس ثوبَ سِتْرِهِمِ او اْجْنِ حُلوَ الثمار من شَجَرِهْ
واْستبْقِ ما لم تَرِدْ قطيعتَهُ بستْره ما استقرَّ فى سُتُرِهْ
فرُبَّ بادى الجميلِ منه اذا فُتِّشَ ابدى التفتيش عن عَوَرِهْ
واْستصْلِحِ الناس ما استطعتَ ولا تُسرِعْ الى ضَرِّ مُبْتَغى ضَرَرِهْ

ورُوى عن ابن عبّاس رضى الله عنه قال احبُّ اخوانى الىّ اخ ان غبت عنه عذرنى وان جئته قَبِلنى، وقيل لخالد بن صفوان اىّ اخوانك اوجب عليك حقّا فقال الذى يسدّ خللى ويغفر زلّتى ويقيل عثرتى، وقال مُطيع بن اياس

انّما صاحِبى الذى يَغْفِرُ الذنْبَ ويَكْفيه من اخيه أَقَلُّهْ
ليس مَن يُظهِر المَلالةَ افْكًا واذا قال خالَفَ القولَ فعْلُهْ
وَصْلُهُ للصديق يومٌ ويومٌ يُضمِرُ الهَجْرَ ثمّ يَنْبَتُّ حَبْلُهْ
واحقُّ الرجال أن يغفر الذنبَ لاخوانه المُوَفَّرُ عَقْلُهْ

وفى حديث سهل بن سعيد الساعدىّ قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المرء كثير بأخيه، وكتب الاحنف بن قيس الى صديق له امّا بعد فاذا قدم عليك اخ موافق لك فليكن منك مكان سمعك وبصرك فانّ الأخ الموافق افضل من الولد المخالف، وقال خالد بن صفوان اعجزُ الناس مَن قصّر فى طلب الاخوان واعجزُ منه

مَن ضيّع من ظفر به منهم، وقال عمر بن الخطّاب عليكم باخوان الصدق فاكتسبوهم فانّهم زين فى الرخاء وعُدّة عند البلاء، وسئل بعض الحكماء اىّ الكنوز خير فقال امّا بعد تقوى الله فالأخ الصالح، واعلم انّ خير الاخوان من كانت اخوّته ومحبّته فى الله ولم تكن خُلّته ولا مواخاته لطمع قليل ولا لغرض عاجل وليس شىء بذوى العقول واهل الديانات والفضل افضل من اخلاص المودّة فى الله ولعمرى انّ ذلك يحسن بجميع اهل المِلَل والاديان وهو من اوثق عُرَى الايمان وقد رُوى فيه احاديث كثيرة اقتصرنا على بعضها واختصرنا من احسنها وفى البعض كفاية ان شاء الله

باب صفة
المتحابّين فى الله عزّ وجلّ

رُوى عن البراء بن عازب انّه قال كنت جالسا عند النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فقال اتدرون اىّ عُرَى الايمان اوثق قلنا الصلوة قال انّ الصلوة لحسنة وما هى بها قلنا الزكوة قال وحسنة وما هى بها فذكروا شرائع الاسلام فلمّا رآهم لا يصيبون قال انّ اوثق عرى الايمان ان تحبّ فى الله وتُبغض فى الله، واخبرنى ابى رحمه الله باسناد ذكره عن ابى هُريرة قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انّ فى الجنّة لعَمود من ذهب عليه منائر من زبرجد تضىء لاهل الجنّة كما يضىء الكوكب الدرّىّ فى افق السماء قلنا لمن هذا يا رسول الله قال للمتحابّين فى الله، وروى ابو الاحوص عن عبد الله بن مسعود انّه قال الايمان أن تحبّ فى الله وتبغض فى الله وقال عليه السلام الايمان ان يحبّ الرجلُ الرجلَ ليس بينهما نسب قريب ولا مال اعطاه ايّاه لا يحبّه الّا للّه عزّ وجلّ، ورُوينا عن ثابت البُنانىّ عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوٰاخى بين الرجلين

من اصحابه فتطول الليلة على احدهما حتّى يرى اخاه، ورُوينا عن جرير بن عبد الله البَجَلىّ قال ما حجبنى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منذ اسلمت ولا رانى الّا تبسّم فى وجهى، وقال عمر بن الخطّاب لقاء الاخوان جِلاء الاحزان وقال اكثم بن صَيفىّ لقاء الاحبّة مسْلاة الهمّ، وكان عبد الله بن مسعود يقول لاصحابه انتم جِلاء حزنى، ورُوى عن ابى امامة قال من اعطى لله ومنع لله واحبّ لله وأبغض لله فقد استكمل الايمان، وقد كانت الحكماء تقول أنّ ما يجب للأخ على اخيه مودّتُه بقلبه وتزيينُه بلسانه ورفدُه بماله
٢١ وتقويمُه بادبه وحسنُ الذبّ والمدافعة عنه فى غيبته، وانشدنى ابو بكر بن ابى الدُنْيا

اذا المرء لم يُنصفْ اخاه ولم يكنْ ... له غائبًا يوما كما هو شاهِدُهْ
فلا خيرَ فيه فالْتمسْ غيرَه اخًا ... كريمًا على وَصْل الكريم تُعاهِدُهْ
فان غِبْتَ يومًا او شَهِدتَ فوجهُهُ ... على كلّ حالٍ أينما كنتَ واجِدُهْ

انشدنى احمد بن يحيى لكثيّر عزّة

وليس خليلى بالمَلُول ولا الذى ... اذا غِبتُ عنه باعَنى بخليلِ
ولكنْ خليلى مَن يَدُوم وَفاءُهُ ... ويحفظ سِرّى عند كلّ دَخيلِ
ولستُ بِراضٍ من خليلى بِنائلٍ ... قليلٍ ولا أَرْضَى له بِقليلِ

وانشدنى بعض الادباء قال انشدنى اعرابىّ ببلاد نَجْد

وليس خليلى بالمزجّى ولا الذى ... اذا غِبتُ عنه كان عَوْنًا مع الدّهرْ
ولكنْ خليلى مَن يَصون مَودّتى ... ويحفظُنى إن كان مِن دونِيَ البَحْرْ

وانشدنى ابو العبّاس محمّد بن يزيد النحوىّ

تَوَدُّ عَدُوّى ثمّ تَزعمُ انّنى ... أَوَدُّكَ انّ الرأى عنك لَعازِبُ
وليس اخى مَن ودّنى رَأْىَ عينِهِ ... ولكنْ اخى مَن ودّنى وَهْوَ غائبُ

وانشدنى يوسف الأَعْوَر قال انشدنى يعقوب بن السِكّيت لأوس بن حَجَر

وليس اخوك الدائمُ العَهْدِ بالذى   يَذُمّك إنْ وَلّى ويُرْضيك مُقْبِلَا
ولٰكِنْ اخوك النائى ما كنتَ آمِنًا   وصاحبُك الأَدْنَى اذا الامرُ أَعْضَلَا

وانشدنى ابو العيناء قال انشدنى الجاحظ

أخوك الذى إن سَرّك الامرُ سَرّهُ   وان غبتَ يومًا ظَلّ وَهْوَ حَزِينُ
يُقرِّب مَن قرّبتَ مِن ذى مودّةٍ   ويُقصِى الذى أقصيتَهُ ويَهِينُ

وانشدنى احمد بن يحيى

اذا انت رافقتَ الرجالَ فكُنْ فَتًى   كأنّك مملوكٌ لكلّ رَفيقِ
وكُنْ مثلَ طعمِ الماء عَذْبًا وبارِدًا   على الكَبِد الحَرّى لكلّ صَديقِ

٢٢ وأعلم انّ احسن ما تألّف به الناس قلوبَ اخلّاءهم ونفوا به الضغن عن قلوب اعداءهم البِشْرُ بهم عند حضورهم والتفقّدُ لامورهم وحسنُ البشاشة فذلك يُثبت المحبّة والاخاء ومنه احاديث قد ذكرنا بعضها وقصدنا فيما فيه قناعة ۞

٩ باب البشاشة بالاخوان
والصبر على تألّف قلوب ذوى الأضغان

قال الله عزّ وجلّ لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إلّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا تُلَقَّاهَا إلّا ذُو حظٍّ عَظِيمٍ وقال تعالى وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ وقال عزّ وجلّ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُومِنِينَ، ورُوى عن ابى هُرَيرة عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم انّه قال رأسُ العقل بعد الايمان التودّد الى الناس، وسئل الحَسَن عن حُسْن الخُلق فقال الكرم والبذلة والتودّد الى الناس، ورُوِينا عن جرير بن عبد الله البَجَلىّ فقال ما حجبنى رسول الله منذ اسلمت ولا رانى الّا بتبسّم فى وجهى، وقال المنصور اذا احببتَ المحمدة من

الناس بلا مؤونة فألقهم ببشرٍ حسنٍ، ورُوى عن كعب الاحبار قال مكتوب فى التورية ليكنْ وجهك سَبْطًا تكنْ احبّ الى الناس ممّن يعطيهم الذهب والفضّة وانشدنى ابو علىّ العنزىّ

آلْقَ بالبشر مَن لقيتَ مِنَ النّا · سِ جميعًا ولاقِهمْ بالطّلاقَهْ
تَجْنِ منهم به جَنىّ ثمارٍ · طيّبٍ طعمُه لذيذَ المَذاقَهْ
ودَعِ التيهَ والعُبوسَ عنِ النّا · سِ فانّ العبوس رأسُ الحَماقَهْ
كُلّما شئتَ أن تُعاديَ عادَيْتَ · صديقًا وقد تُعزُّ الصَداقَهْ

انشدنى لبعض بنى طيّىء

٢٣ خالِقِ الناسَ بخُلْقٍ واسعٍ · لا تكنْ كلبًا على الناس تَهِرْ
وألْقَهمْ منك ببشرٍ ثمّ كُنْ · للذى تَسْمَع منهمْ مُغتَفِرْ

وقال ابو العتاهية

وأَلِنْ جناحَك تعتقدْ · فى الناس مَحمِدةً بلينِهْ
فلَرُبّما أحْتقرَ الفتى · مَنْ ليس فى شَرَفٍ بدونِهْ

وكان يقال اوّل المروّة طلاقة الوجه والثانية التودّد الى الناس والثالثة قضاء حوائج الناس، ورُوى انّ اعرابيّا قال يا رسول الله انّا من اهل البادية فنحبّ ان تُعلّمنا عملا لعلّ الله ان ينفعنا به قال لا تحقرنّ من المعروف شيئا ولو ان تفرّغ من دلْوك فى اناء المستقى وان تُكلّمَ اخاك ووجهُك اليه منطلقٌ، ورُوى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال انّكم لن تَسْعوا الناس باموالكم فأسعوْهم ببسط الوجه والخُلق الحسن، وقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم تمام تحيّاتكم المصافحة، وقال الحَسَن البصرىّ المصافحة تزيد فى المودّة، ورُوى مُجاهد عن مُعاذ قال انّ المسلمَيْن اذا التقيا فضحك كلّ واحد منهما فى وجه صاحبه ثمّ اخذ بيده تحاتّتْ ذنوبهما كما يتحاتّ ورقُ الشجر، وأعلم انّه اذا صلحت النّياتُ وخلصت السريرات صلحت اصْفِيَة المودّة وتَثبت المحبّة واتّفقت القلوب واغتُفِرت

الذنوب واذا فسدت النيّات وخبثت السريرات بطل خالصُ الاخاء واتحلّت عُرَى المودّة والصفاء وقد شرحتُ فى ذلك بابًا تقف عليه ان شاء الله تعالى ۞

باب ائتلاف القلوب

على مودّة الصديق وقلّة الخلاف على الرفيق ٧

رُوينا عن ابى الاحوص عن عبد الله بن مسعود وعن الوليد عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الارواح جنودٌ مجنّدة فما ٢٤
تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف، وقال بعض الشعراء

انّ القلوب لأجنادٌ مجنّدةٌ للّه فى الارض بالاهْواء تعترِفُ
فما تَعارَفَ منها فَهْوَ مؤتلفٌ وما تَناكَرَ منها فَهْوَ مختَلِفُ

وقال طَرَفَة

وانّ امرءًا لم يعْفُ يومًا فُكاهَةً لِمَنْ لم يُرِدْ سُوءًا بها لَجَهولُ
تَعارَفُ أرواحُ الرجالِ اذا ٱلتقَوْا فمنهم عدوٌّ يُتّقى وخليلُ

وكان يقال المودّة قرابةٌ مستفادة، وقيل لخالد بن صفوان اخوك احبّ اليك ام صديقك فقال إنّ اخى اذا كان غير صديق لم احبّه، ورُوينا عن واصل مولى ابن عُيينة قال كنتُ مع محمّد بن واسع بمَرْوَ فاتى عطاء بن مسلم ومعه ابنه عثمان فقال عطاء لمحمّد اىّ عمل فى الدنيا افضل قال صحبة الاصحاب ومحادثة الاخوان اذا اصطحبوا على الامن والتقوى فحينئذ يُذهِب الله بالخُلف من بينهم فواصلوا وتواصلوا، ورُوى عن بشر بن السَّرىّ قال ليس من البرّ ان تبغض ما احبّه حبيبك، وقال عبد الله بن صالح اجتمعت انا ومحمّد بن نصر الحارثىّ وعبد الله بن المُبارَك وفُضَيْل بن عياض فصنعت لهم طعاما فلم يخالف محمّد بن نصر علينا فى شىء اصلًا فقال له عبد الله ما اقلّ خلافك فقال محمّد

واذا صاحبتَ فاْصحَبْ ماجِدًا ذا حـيـاء وعـفـاف وكَـرَمْ
قـولُه للشيء لا إن قلتَ لا واذا قـلـتَ نَـعَـمْ قال نَعَمْ

وقال اخر

هُـمـومُ رجـالٍ فى أُمـورٍ كـثـيرةٍ وهَمّى مِنَ الدُنْيا خليلٌ مُساعِدُ
اذا غِبْتُ عنه لم أغِبْ عن ضَميرِهِ كأنّى مُقيمٌ بين عينَيْه شاهِدُ
نكون كـروحٍ بين جِسْمَيْن فُرِّقَا فجِسْماهما جسمانِ والرُوحُ واحِدُ

وانشدنى اخر

٢٥ والْقَلْبِ كالغُصْنَيْنِ ضَمَّهما الهَوَى فـرُوحـاهما روحٌ وقَلْباهما قَلْبُ
اذا غاب هٰذا ساعةً عن خليلِهِ تَجَلّاه يـومًا عند فُـرْقَتِه كَرْبُ
فيا مَن رأى الْقَلْبَيْنِ صانا هَواهما فهٰذا بِذا صبٌّ وهٰذا بذا صَبُّ

وأُنشِدتُ للحَكَمىّ

رُوحُها روحى وروحى روحُها ولَـهـا قـلـبٌ وقـلـبـى قَلْبُها
فـلـنـا روحٌ وقـلـبٌ واحـدٌ حَسْبُها حسبى وحسبى حسبُها

ولعمرى انّ ذلـك لَـحـسـن جميل والـذى قيل فى ذلـك كثير طويل وقـد نَهَى قومٌ عن استعمال الميل فى المودّة وٱعلم انّ ذلـك مـع دوام المحبّة وصفاء المودّة لحسن غيرُ مدفوع غير انّه قـد نُهِىَ عن استعمال الميل فى المودّة وكثرة الإفراط فى المحبّة وادمان الزيارة فى كلّ يـوم وساعـة لموضـع الملل والسلوان الـذى هـو طبع الانسان وأُمِرْنا بالقصد فى كلّ الامور بدوام المحبّة والسرور وقد ذكرتُ بعض ذلك وفيه مقنع ۞

٨ باب النهى عن
استعمال الإفراط فى حبّ الصديق

رُوِى عن بعض الحكماء انّه قال لا يفرِط الاديب فى محـبّـة الصديق ولا يتجاوز فى عـداوة العدوّ فانّه لا يدرى متى تنتقل صـداقة الصديق عـداوة ولا متى تنتقل عداوة العدوّ صداقة، وحُكى عـن علىّ بن

ابى طالب كرّم الله وجهه انّه قال أحببْ حبيبك هونًا ما يكن بغيضك يوما ما وأبغضْ بغيضك هونًا ما يكن حبيبك يوما ما، وروى عن عمر ابن الخطّاب رضى الله عنه انّه قال لا يكن حبّك كلفا ولا بغضك تلفا، ومن امثال اكثم بن صَيفىّ الانقباض من الناس مكسبة للعداوة وافراط الانس مكسبة للملال، قال ابو عُبيدة يريد انّ الاقتصاد ادنى الى السلامة، قال ابو زيد من أمثالهم لا تكنْ حُلْوًا فتُسْتَرَط ولا مُرًّا فتُعْقَى اى تُلفظ من المرارة، ومثله قول مُطَرِّف بن الشِّخِّير الحسنةُ بين السَّيِّئَتَيْنِ وخير الامور اوسطها، وكان يقال لا تهذرْ ٣٦
فى منطقك ولا تُخبِر بذات نفسك ولا تَغترّ بعدوّك ولا تفرط فى حبّ صديقك ولا تَفزعْ الى من لا يرحمك ولا تألفْ من لا يُرشدك ولا تبغض من يَنصح لك فانّ شرّ الاخلاق ملالة الصاحب وتقريب المتباعد، وانشدنى احمد بن يحيى للمُقنَّع الكندى

وكُنْ مَعْدِنًا للحلم واصفحْ عن الأَذَى فانّك راءٍ ما علمتَ وسامعُ
وأحببْ اذا احببتَ حُبًّا مُقاربًا فانّك لا تدرى متى انت نازعُ
وأبغضْ اذا أبغضتَ غيرَ مُباعِدٍ فانّك لا تدرى متى انت راجعُ

وانشدنى احمد بن يحيى لسعيد المساحقىّ

فهوْنَك فى حبّ وبغضٍ فربّما يُرَى جانبٌ من صاحب بعد جانبِ

وسمعتُ عبد الله بن عبد الله بن طاهر ينشد هذين البيتين واحسبهما له

اذا انا أكرمتُ اللئيمَ فعدّنى مُهينًا له حقّقتُ باطلَ ما عَدَا
فانّ صلاحَ الامر يرجعُ كُلُّهُ فسادًا اذا الانسانُ جُزْتَ به الحَدَّا

وهذا طويل يُقنعك منه القليل، وامّا طول الزيارة فقد يجب على اهل الصداقة ترك المداومة عليها وكثرة الجنوح اليها فانّ ذلك يُخلق الحبّ ويُذهل الصبّ ويُضجر المَزور ويُعدم السرور ويوقع البدل ويُبدى المَلَل وقد شرحنا فى ذلك بابًا فأعرفه وقِفْ عليه ان شاء الله تعالى ۞

باب الامر باغباب زيارة الاحباب ٩

والنهى عن مداومة غشيان الاصحاب

رُوِى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم انّه قال زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا، وقال بعض الحكماء من كثرت زيارتُه قلّت بشاشته، وقال اخر من ادمن زيارة الاصدقاء عَدِم الاحتشادَ عند اللقاء، وقال اخر

أقْلِلْ زِيارتَك الصديقَ تكونُ كالثوب ٱستجَدَّهْ
اِنّ الصديقَ يُمِلُّهُ أن لا يَزال يَراك عِنْدَهْ ٢٧

وقال اخر

عليك باقلال الزِيارةِ انّها تكون اذا دامتْ الى الهَجْرِ مَسْلَكَا
فانّى رايْتُ القَطْرَ يُسْأَم دائِبًا ويُسئل بالأيدى اذا هُوَ أَمْسَكَا

وأُنشدتُ لابى تمّام حبيب بن اوس

وطُولُ مُقامِ المرء فى الحَىّ مُخْلِقٌ لِديباجَتَيْه فٱغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ
فانّى رايتُ الشمسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً الى الناس أن ليستْ عليهم بِسَرْمَدِ

وأَنشدنى لابراهيم بن المهدىّ

انّى كَثُرْتُ عليه فى زِيارتِهِ والشيء مُستَثْقَلٌ جِدًّا اذا كَثُرَا
ورابَنى منه أنّى لا أَزال أَرَى فى طَرْفه قِصَرًا عنّى اذا نَظَرَا

وقال عمر بن ابى ربيعة

لا تَجعلَنْ احدًا عليك اذا أحببتَهُ وهَوِيتَه رَبّا
وَصِلِ الصديقَ اذا كلفتَ بحُبّهِ وٱطْوِ الزِيارةَ دُونَه غِبّا
فلَذاك خيرٌ من مُواصَلةٍ ليستْ تَزيدُك عنده قُرْبا
لا بَلْ يَمَلّك عند نَعْوَتِهِ فيقول آهَ وطالَ ما لَبّا

وقال اخر

أغِبَّا الزِيارةَ لمّا بَدَا له الهَجْرُ او بعضُ أسْبابِهِ
وما صَدَّ هَجْرًا ولكنّه طَريدُ مَلالةِ أحْبابِهِ

وكتب بعض الظرفاء رقعة وطرحها فى مجلس محمّد بن عبد الله بن طاهر حيث حرّم القيان

عَـزمَتُ الأميـر أَصْلحـهُ اللّـــه بِحُسْنِ الارشاد وَالتَوْفيقِ
باعـدتْ بيننا وبين عُـجاب ومُديلٍ ومُـنـصِـفٍ وصـديقِ

فوقّع محمّد فى ظهر الرقعة

حُسْنُ رأيِ الامير فى العُشّاقِ وقّـر لحظّ فى بِـعـاد التـلاقى
خافَ أن يُحدِث الوِصالُ مَلالًا فتلاقى الـهـوَى ببعضِ الفِراقِ

وانشدنى بعض الادباء

انّـى رايـتُـكَ لى مُـحِـبّـا والـىّ حـين أَغيـبُ صَبّا ٢٨
فـهـجـرتُ لا لِـمـلالـه حدُثتْ ولا آستحدثتُ ذنْبَا
الّا لِـقـولِ نَـبِـيّـنـا زُوروا عـلى الايّـام غـبّـا
ولِـقـولـه مَـن زار غـبّـا مـنـكـمُ يَـزدادُ حُـبّـا
وهجرتُ حين هجرتُ كَىْ أزدادَ بـالـهـجْـران قُـرْبـا
الـلّـه يـعـلـم أنّـنـى لـك أَخـلَـصُ الثقَلَيْن قَلْبَا
أَرْعَـى لـك الـودَّ الـقـديـمَ وإن جَنيتَ علىّ حَـرْبَا

ومن ذلك ما رُوى انّ العَتّابىّ دخل على يحيى بن خالد البرمكىّ وكانت له جارية يقال لها خَلوب تُجالِس الادباء وتناقص الشعراء فقال لها سليه لابطائه عنّا جائزةً فقالت له قل على هذه القافية

اذا شئتَ ان تُقْلَى فزُرْ متواتِرًا وإن شئت أن تَزداد حُبًّا فزرْ غِبّا

فانشأ يقول

بَقِيتُ بـلا قـلـبْ لأنّـىَ هائمٌ فهل من مُعيرٍ يا خَلوبُ بكُمْ قلْبَا
حلفتُ لـهـا بالله أنّـكِ مُنْيَتى فكونى لعَيْنى حيث ما نظرتْ نَصْبَا
عسى اللّه يومًا أن يُرينيكِ خاليًا فأَجْنِى بلَحْظى مِن مَحاسنكمْ عُجْبَا
يـقـولـون لا تُكثِرْ زيارةَ صاحب فانّـك ان اكـثـرتَـه كَرِهَ القُرْبَا
وكيف يُطيق الصبُّ سلوانَ حُبّـه اذا كان مشعوفًا قد استَشعر الكَرْبَا

وقد قال بَيْتًا ما سمعتُ بمثله   خَلِىٌّ من الأحزان لم يَذُقِ ٱلحُبّا
اذا شئتَ ان تُقلَى فزُرْ متواتِرًا   وان شئتَ ان تزدادَ حُبًّا فزُرْ غِبّا

فقال له لله ابوك احسنتَ خذ بيدها فهى لك وامر له بالف درهم، وأعلم انّ كلّ ما رسمناه فى هذه الابواب وذكرناه وشرطناه على الادباء ووجدناه داخلا فى باب حدود الادب على ما اصبناه غيرُ خارجٍ منه ولا منفصل عنه وأنْ يكون الاديب عاقلا واللبيب كاملا حتّى تكون له مودّة قد قرنها بأدبه وثابر عليها فى طلبه فاذا جمع ذلك رَهِب منه
٢١ الاعداء ورَغِب فيه الاولياء وسنذكر من انشئة المروّة ما يكون فيه بلاغ وهداية ان شاء الله تعالى

باب
شرائع المروّة وصفتها

اعلمْ انّ المروّة هى عماد الادباء وعتاد العقلاء يرأس بها صاحبها ويشرف بها كاسبها ولا شىء ازين بالمرء من المروّة فهى رأس الظرف والفتوّة وقد قال بعض الحكماء الادب يُحتاج معه الى المروّة والمروّة لا يُحتاج معها الى الادب وربّما رايتَ ذا المروّة الخامل وذا السخاء الجاهل قد غطّت مروّته على عيوبه وستره سخاؤه من معيبه واهل المروّات محسودةٌ افعالُهم متَّبَعةٌ احوالُهم وقلّ ما رايتَ حاسدا على ادب وراغبا فى ارب، من ذلك ما حُكى عن محمّد بن حرب انّه قال كنتُ على شُرْطة جعفر بالمدينة فأُتيتُ باعرابىّ من بنى اسد يُستعدى عليه فرايتُ رجلا له بيان يحتمل الصنيعة فرغبتُ فى اتخاذها عنده فتخلّصتُه ثمّ لم يلبث ان رُدَّ الىّ فقلت حَمَاسِ فقال لى حماس والله قلت ما رجعك قال الشرّ وما قاله رجل منّا يقال له خَالد فانشدنى

عادَوْا مروّتَنا فضُلِّلَ سَعْيُهمْ   ولكلّ بيتِ مروّةٍ أَعْدَاءُ
لَسْنا اذا عُدَّ الفَخَارُ كمعشرٍ   أَزْرَى بفعلِ أبيهمِ الأبْناءُ

قال فتخلّصتُه ثانيةً ، وقيل لبعض حكماء الفُرْس ايّ شيء للمروّة اشدّ تهجينا فقال للملوك صِغَرٌ في الهمّة وللعامّة الصَلَف وللفقهاء الهوى وللنساء قلّة الحياء وللعامّة الكذب والصبر على المروّة صعبٌ وتحمّلها عبْء ، وقد قال خالد بن صفوان لولا انّ المروّة اشتدّت مؤونتها وثقل حِملُها ما ترك اللئامُ للكرام منها شيئًا ولكنّه لمّا ثقُل محملها واشتدّت مؤونتها حاد عنها اللئام فاحتملها الكرام ، وقال بعضهم المكارم لا ٣٠.
تكون الّا بالمَكارِه ولو كانت خفيفةً لتناولها السَفلة بالغلبة ، وقال ابن عمر ما حمل رجل حِمْلا اثقل من المروّة فقال له اصحابه صِفْ لنا ذلك فقال ما له عندى حدٌّ أعرفه الّا أنّى ما استحييتُ من شيء قطّ علانيةً الّا استحييتُ منه سرًّا ، وقام رجل من بنى مُجاشِع الى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال يا رسول الله ألستُ افضلَ قومى فقال ان كان لك عقل فلك فضل وان كان لك خُلق فلك مروّة وان كان لك مال فلك حسب وان كان لك دين فلك تُقًى وان كان لك تُقًى فلك دين ، وروى الهلالىّ قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لرجل من ثقيف ما المروّة فيكم قال الصلاحُ في الدين واصْلاحُ المعيشة وسخاء النفس وصلةُ الرَحِم فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم كذلك في فينا ، وقال عمر بن الخطّاب المروّة الظاهرة الثيابُ الطاهرة يعنى النقيّة من الذنوب ، وقيل للأحنف ما المروّة قال اصلاح المعيشة واحتمال الجريرة ، وقال معاوية لصَعْصَعة بن صفوان ما المروّة قال الصبر على ما ينوبك والصمت حتى تحتاج الى الكلام ، وقال محمّد بن علىّ بن الحُسين كمال المروّة الفقهُ في الدين والصبرُ على النوائب وحسنُ تقدير المعيشة ، وقال معاوية لرجل من عبد القيس ما تعدّون المروّة فيكم قال العفّة والحرْفة ، وقيل لابى زُهْرة ما المروّة قال اصلاحُ الحال والرزانةُ في المجالس والغداء والعشاء بالافنية ، وقال عمر بن الخطّاب حسب المرء ماله وكرمُه دينه واصله عقله ومروّته

خُلقه، وقال علىّ بن ابى طالب مروّة الرجل حيث يضع نفسه، وقال
٣١ عبد الله بن سُمَيْط بن عَجْلان سمعتُ ايّوب السجستانىّ يقول لا
يَنبُل الرجل حتّى تكون فيه خَصْلتان العفّة عن الناس والتجاوزُ عنهم،
وقال مسلمة بن عبد الملك مروّتان ظاهرتان الرياسةُ والفصاحةُ، وكان
يقال ثلاثٌ يفسدون المروّة الالتفاتُ فى الطريق والشُّحّ والحِرْص،
وقال عمر بن هُبيرة عليكم بمباكَرة الغداء فانّ فى مباكرة الغداء ثلاث
خلالٍ يطيّب النَّكْهة ويُطفِئُ المِرّة ويُعين على المروّة قيل وما اعانته
على المروّة قال لا تتوق النفس الى طعام غيره، وقال سَلم بن قُتيبة
لا تتمّ مروّة الرجل حتّى يصبرُ على مناجاة الشيوخ الدُرد، وسأل
ابن زياد رجلا من الدهاقين ما المروّة فيكم قال اربع خصالٍ أن يعتزل
الرجل الرِيبة فلا يكونَ فى شىء منها فانّه اذا كان مُريبا كان ذليلا
وأن يُصلِح ماله فانّ مَن افسد ماله لم تكن له مروّة وأن يقوم لأهله
بما يحتاجون اليه حتّى يستغنوا به عن غيره فانّ من احتاج اهله الى
الناس لم تكن له مروّة وأن ينظر فيما يوافقه من الطعام والشراب
فيلزمه فانّ المروّة ألّا يخلّط على نفسه فى مطعمه ولا مشربه، وكان
يقال ثلاث من المروّة تعاهُدُ الرجل اخوانه واصلاحُ معيشته واقالتُه
فى منزله، وسُئل العَتّابىّ عن المروّة فقال اخفاء ما لا يُستحيى من
اظهاره ومواطأةُ القلبِ اللسانَ، ويُروى عن عبد الله بن بكر السهمىّ
انّ عبد الملك بن مروان دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص
فجلس مليّا ثمّ انصرف فقال معاوية ما اكمل مروّة هذا الفتى واخلقه
أن يبلُغَ فقال عمرو يا أمير المومنين انّ هذا اخذ بخلائق اربع وترك
ثلاثًا اخذ بأحسن الحديث اذا حَدَّث وباحسن الاستماع اذا حُدِّث
٣٢ وبأيسر المؤونة اذا خولف وباحسن البشر اذا لَقِىَ وترك مزاح مَن لا
يوثَق بعقله ولا دينه وترك مخالفة لئام الناس وترك من الكلام ما
يُعتذر منه، فهذه جملةُ شرائع المروّة لا يقدر على القيام بأدنى

المفترض فيها الّا ذوو العقول الفاضلة والآداب الكاملة ، واعلم انّ من المروّة ايضا عشرة خصال لا مروّة لمن لم يكن فيه الحِلْمُ والحياء وصدقُ اللّهجة وتركُ الغيبة وحُسْنُ الخُلُق والعَفْوُ عند المَقدُرة وبذلُ المعروف وانجازُ الوعد وفى تبيينهنّ اخبارٌ تحثّ على استعمالهنّ وآثارٌ تدعو الى المثابرة عليهنّ وانا ذاكرٌ بعضَ ذلك ان شاء الله وبه القوّة ✿

باب ما جاء من فضل الصدق ١١

لذوى الآداب وما كُرِهَ من الكذب لذوى الالباب

رُوى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم انّه قال لا يصلح الكذب فى جدٍّ ولا هزلٍ ، وقال ابو بكرٍ الصدّيق رضى الله عنه اذا كذب العبدُ تباعد الملك منه ميلا لِنَتْنِ ما جاء منه ، وقال لسان الصدق خيرٌ للمرء من المال يأكله ويورثه ، وقال المهلّب بن ابى صفرة ما السيف الصارم فى يد الرجل الشجاع بأَعَزَّ له من الصدق ، وكان يقال الصدق قوّة والكذب عجزٌ ، انشدنى بعض الادباء

لا يَكْذِبُ المرءُ الّا مِن مَهانتِهِ ... او عادةِ السوءِ أو مِن قلّةِ الأَدَبِ
لَجِيفةُ الكلب عندى خيرُ رائحةٍ ... من كَذْبةِ المرء فى جدٍّ وفى لَعِبِ

وكان يقال لا رأْىَ لكذوبٍ ولا مروّةَ لكذّاب ، ويقال لا تستعنْ بكذّاب فانّه يقرّب لك البعيدَ ويباعد لك القريب ، وانشدنى اخر

وكُنْ صادِقًا فى كلّ شىءٍ تقولُهُ ... ولا تَكُ كذّابًا فتُدْعَى مُنافِقا

وقال اخر

الكذب عارٌ وخيرُ القول أَصْدَقُهُ ... والحقُّ ما مَسَّهُ مِن باطلٍ زَهَقا

وانشدنى غيره ٣٣

الصِّدْقُ مَنْجاةٌ لِمَن هُوَ صادقٌ ... وتَرَى الكَذوبَ بما يقول يُوَبَّخُ

وقال ابو العتاهية

كُنْ فى أُمورِكَ ساكِنًا فالمرءُ يُدْرِكُ فى سُكُونِهْ
وٱعْمِدْ الى صِدْقِ الحديثِ فانّه أَزْكَى فُنُونِهْ
رُبَّ ٱمرىءٍ متيقّنٍ غَلَبَ الشقاءُ على يَقِينِهْ

وحدّثنى بعض شيوخ الكُتّاب قال حدّثنى علىّ بن هشام قال قال لى محمّد بن الجهم ذات يوم يا ابا الحسن الكذّاب والمَوَات بمنزلة واحدة قلتُ وكيف ذاك قال لانّ علامة الحىّ النُطْقُ ومن لم يوثَق بنطقه فقد بطلت حياتُه، والذى جاء فى ذلك يطول شرحه ويكثر وصفه والكلام فيه يتّسع وانا أُفْرِد لهذا الباب كتابا وارصُفه ابوابا أبيّن فيه فضل الصدق على الكذب ليُرغَب فيه ذوو المروّة والادب ان شاء الله تعالى،

وامّا ما جاء فى إنجاز العِدات عن ذوى الاخطار والمروّات فكثيرٌ يكثر عددُه ويطول امده وقد شرحتُ لك بعض ذلك لتقف عليه ان شاء الله تعالى ✿

١٢ باب ما جاء فى قبح خلف المواعيد
وما يلحق صاحبه من اللوم والتفنيد

اعلمْ انّ اقبح ما استعمله اهلُ الادب مطلُ العِدات، وقال المثنّى ابن خارجة لَأَن اموت عطشا احبُّ الىّ من ان اخلف موعدا، ورُوينا عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم انّه قال ثلاث علامات فى المُنافق وإن صام وصلّى وزعم انّه مسلم اذا حدّث كذب واذا اتُّمِن خان واذا وعد اخلف، ورُوى عنه انّه قال عِدة المومن أَخْذٌ بالكفّ، وقال بعض الاعراب وعدُ الكريم تعجيل ووعد اللئيم مطل وتسويف،
وكان يقال الياسُ احد الراحتَيْن، وانشدنى يعقوب بن يزيد التمّار ٣٤

متى ما أَقُلْ يومًا لطالبِ حاجةٍ نَعَمْ يا فَتَى أَفْعَلْ وذلك من شَكْلِى

وان قلتُ لا بيّنتُها من مكانِها ولم أُوذِهِ فيها بجَرٍّ ولا مَطْلِ

وانشدنى اخر

اذا قلتَ فى شىءٍ نَعَمْ فأتمّهُ فإنّ نعمْ دَيْنٌ على الحُرّ واجبُ

وإلّا فقُلْ لا واسْتَرِحْ وأَرِحْ بها لكَى لا يقول الناسُ انّك كاذبُ

وانشدنى اخر

لا تقولنّ اذا ما لم تُرِدْ أن يَتِمَّ الوعدُ فى شىْءٍ نَعَمْ

واذا قلتَ نعمْ فامْضِ بها بنَجاحِ الوعدِ إنّ الخلفَ ذَمْ

وانشدنى ابراهيم بن محمّد النحوىّ

انتَ الفتى كلّ الفتى لو كنتَ تفعل ما تَقُولْ

لا خيرَ فى كَذِبِ الجَوا دِ وحَبّذا صدقُ البَخِيلْ

وكان يقال اعتذارٌ من منع اجمل من وعدٍ ممطول، وقال علىّ بن هشام امرنى المأمون بحاجة فاخّرتُها فكتب الىّ

تعجيلُ جُودِ المرءِ أُكْرُومَةٌ تَنْشُرُ عنه احْسَنَ الذّكْرِ

والحُرّ لا يمطل معروفَه ولا يليقُ المَطْلُ بالحُرِّ

وكان يقال المعروف يحتاج الى ثلاث تعجيله وكتمانه واتمامه، وانشدنا ليزيد بن جَبَل

يا صانعَ المعروفِ كُنْ تارِكًا تَرْدادَ ذى الحاجةِ فى حاجتهْ

فشَرُّ معروفِك ممطولُهُ وخيرُهُ ما كان من ساعَتِهْ

لكلّ شىءٍ يُرْتَجَى آفةٌ وحَسْبُك المعروفُ من آفتِهْ

وقال اخر

صِلْ مَن اردتَ وِصالَهُ واخاءَهُ إنّ الاخوّة خيرُها موصولُهَا

واذا ضَمِنتَ لصاحبٍ لك حاجةً فاْعلمْ بأنّ تمامَها تعجيلُهَا

وقال اخر

لا تَنشُرَنّ مواعيدًا وتَسنُدُها الى المطال فما يُرضَى به الأدَبُ

لا تَطلُبَنّ بمَنْعِ المالِ مَحْمَدَةً انّ المَحامِدَ بالاموال تُكْتَسَبُ

وقال ابو العتاهية

كُنْ فى أُمورِكَ ساكِنًا فالمرءُ يُدْرَكُ فى سُكُونِهْ
وٱعمِدْ الى صِدْقِ الحديث فانّه أزكى فُنُونِهْ
رُبَّ ٱمرِئٍ متيقّنٍ غَلَبَ الشقاءُ على يَقينِهْ

وحدّثنى بعض شيوخ الكُتّاب قال حدّثنى علىّ بن هشام قال قال لى محمّد بن الجهم ذات يوم يا ابا الحسن الكذّاب والمَوات بمنزلة واحدة قلتُ وكيف ذاك قال لانّ علامة الحىّ النُطْقُ ومن لم يوثَق بنطقه فقد بطلت حياتُه، والذى جاء فى ذلك يطول شرحه ويكثر وصفه والكلام فيه يتّسع وانا أُفْرِد لهذا الباب كتابا وأصِفُه ابوابا أبيّن فيه فضل الصدق على الكذب ليُرغَب فيه ذوو المروّة والادب ان شاء الله تعالى،

وامّا ما جاء فى انجاز العِدات عن ذوى الاخطار والمروّات فكثيرٌ يكثر عددُه ويطول امدُه وقد شرحتُ لك بعض ذلك لتقف عليه ان شاء الله تعالى ۞

١٢ باب ما جاء فى قبح خلف المواعيد

وما يلحق صاحبه من اللوم والتفنيد

اعلمْ انّ اقبح ما استعمله اهلُ الادب مطلُ العِدات، وقال المثنّى ابن خارجة لأن اموت عطشا احبّ الىّ من ان اخلف موعدا، ورُوينا عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم انّه قال ثلاث علامات فى المُنافق وإن صام وصلّى وزعم انّه مسلم اذا حدّث كذب واذا اؤتُمِن خان واذا وعد اخلف، ورُوى عنه انّه قال عِدة المومن أَخْذٌ بالكفّ، وقال بعض الاعراب وعدُ الكريم تعجيل ووعد اللئيم مطل وتسويف،
٣٤ وكان يقال الياسُ احد الراحتَيْن، وانشدنى يعقوب بن يزيد التمّار

متى ما أَقُلْ يومًا لطالبِ حاجةٍ نَعَمْ يا فَتى أَفْعَلْ وذلك من شَكْلِى

وان قلتَ لا بيّنتُها من مكانِها ولم أُوذِهِ فيها بجَرٍّ ولا مَطْلِ

وانشدنى اخر

اذا قلتَ فى شىءٍ نَعَمْ فأَتِمَّهُ فإنّ نعمْ دَيْنٌ على الحُرّ واجِبُ
وإلّا فقُلْ لا وآسترِحْ وأَرِحْ بها لكَى لا يقول الناسُ انّك كاذِبُ

وانشدنى اخر

لا تقولنّ اذا ما لم تُرِدْ أن يَتِمَّ الوعدُ فى شىْءٍ نَعَمْ
واذا قلتَ نعمْ فآمْضِ بها بنَجاحِ الوعدِ إنّ الخلف ذَمْ

وانشدنى ابراهيم بن محمّد النحوىّ

انت الفتى كلّ الفتى لو كنتَ تفعل ما تَقُولْ
لا خيرَ فى كَذِبِ الجَوا دِ وحَبَّذا صدقُ البَخيلْ

وكان يقال اعتذارٌ مِن منع اجمل من وعدٍ ممطول، وقال علىّ بن هشام امرنى المأمون بحاجة فاخّرتُها فكتب الىّ

تعجيلُ جُودِ المرءِ أُكْرُومَةٌ تَنْشُرُ عنه احْسَنَ الذّكْرِ
والحُرّ لا يمطل معروفَه ولا يليق المَطْلُ بالحُرِّ

وكان يقال المعروف يحتاج الى ثلاث تعجيلِه وكتمانِه واتمامِه، وانشدنا ليزيد بن جَبَلٍ

يا صانعَ المعروفِ كُنْ تارِكًا تَرْدادَ ذى الحاجة فى حاجتِهْ
فشَرُّ معروفِك ممطولُهُ وخَيْرُهُ ما كان مِن ساعَتِهْ
لكلّ شىءٍ يُرْتَجَى آفَةٌ وحَسْبُك المعروفُ مِن آفتِهْ

وقال اخر

صِلْ مَن اردتَ وِصالَهُ واخاءه إنّ الاخوّة خيرُها موصولُها
واذا ضَمِنتَ لصاحبٍ لك حاجةً فآعلَمْ بأنّ تمامَها تعجيلُها

وقال اخر

لا تَنشُرَنّ مواعيدًا وتَسنُدُها الى المطالِ فما يَرْضَى به الأَدَبُ
لا تَطلُبَنّ بمَنْعِ المالِ مَحْمَدَةً انّ المَحامِدَ بالاموال تُكْتَسَبُ

٣٥ وكان يقال لكلّ شىء آفة وآفة المعروف المطل، وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه لكلّ شىء رأسٌ ورأس المعروف تعجيله، وفى وصيّة عبد الملك بن مروان لبنيه يا بَنِىّ لا تَعِدوا الناس بما لا تناله ايديكم، ويقال اذا وعدتَ الرجل نائلا ثمّ مطلتَه به فقد اوفاك ثمنَ معروفك عنده، وانشدونا لدعبل بن علىّ الخزاعىّ

ايّاك والمَطْلَ أنْ تُفارِقَهُ فانّه آفة لكلّ يَدِ
اذا مطلتَ آمرءًا بحاجته فآمْضِ على مطله ولا تَجُدِ
فلستَ تلقاه شاكِرًا لِيَدٍ قد كدّها المطلُ آخِرَ الأَبَدِ

وللفُقَيمىّ ايضا فى مثله

ما كلّفَ اللهُ نفسًا فوق طاقتْها ولا تجودُ يَدٌ الّا بما تجِدُ
فلا تَعِدْ عِدةً الّا وَفَيْتَ بها ولا تكوننّ مِخْلافًا لما تَعِدُ

ولدعبل ايضا فى مثله

وارى النَوالَ يَزِينُه تعجيلُهُ والمطلُ آفةُ نائلِ الوهّابِ

وكان يقال بذل جاهِ السائل ثمنُ معروف المسائل، وقال اكثم بن صيفىّ السؤال وان قلّ ثمنٌ لكلّ معروف وان جلّ، انشدنى محمّد ابن ابراهيم الهَمْدانىّ لعلىّ بن ثابت الكاتب

ما اعتاض باذلُ وَجْهِهِ بسؤالِه بذلًا ولَوْ نال الغنَى بسُؤالِ
واذا السؤالُ مع النوال وَزَنْتَهُ رَجَحَ السؤالُ وخَفَّ كلُّ نوالِ

وقال بعض الحكماء أَحْيِ معروفَك باماتة ذِكْره وعظّمْه بتصغيرك له، انشدنى ابو العبّاس ثعلب لابى يعقوب الخُرَيمىّ

زادَ معروفَك عندى عظمًا انّه عندك مستورٌ حَقِيرُ
وتَناساهُ كأنْ لَمْ تأتِهِ وَهْوَ عند الناس مشهورٌ كَبِيرُ

وقال عدىّ بن حاتم لا يصلح المعروف الّا بثلاث تعجيله وكتمانه وتصغيره لانّك اذا عجّلته هنّيته واذا كتمته استهنئته واذا صغّرته عظّمته، وشرحُ كلّ ما جاء فى ذلك يطول والاختصار احسنُ من

الاكثار وقد ذكرتُ معنى هذا الباب مع ما يلائمه من الاخبار فى ٣٦
كتابٍ لطيفِ التأليف والاختصار هو كتاب البثّ والحثّ غنينا بما فيه
عن الزيادة وعن التطويل والاعادة ونحن نُتبع هذا الباب بما ضمّنّاه على
الحثّ على كتمان السرّ ليرغب فيه ذوو الادب والقُدرة ان شاء الله تعالى ❁

باب الحثّ على كتمان السرّ ١٣

والترغيب فى حفظ ما حنت عليه ضلوع الصدر

رُوى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم انّه قال أستعينوا على حوائجكم بكتمان السرّ، وكان يقال سرّك من دَمك فأنظر اين تجعله، وكان يقال ما كتمتَه من عدوّك فلا تُطلعْ عليه صديقَك، وقال المهلّب ابن ابى صفرة من ضاق قلبُه اتّسع لسانُه، وانشدنى احمد بن يحيى لقيس بن الحداديّة الخزاعىّ

بَكَتْ مِن حديثٍ نَمَّه وأشاعَهُ ولَصَّقَهُ واشٍ مِنَ القوم راضِعُ
بكتْ عينُ مَنْ أبكاك لا يَشْجِك البُكا ولا تَتَخالَجْك الامورُ النوازِعُ
ولا تُسمِعِى سِرّى وسرّك ثالثًا أَلَا كلُّ سرٍّ جاوزَ آثْنَيْنِ ضائعُ

وانشدنى لبعض الطالبيّين

أُكافِى خليلى ما استقامَ بوُدّه وأَمْنَحُهُ وُدّى اذا يتعتّبُ
ولستُ ببادى صاحبى بقطيعة ولا انا مُفْشى سرّه حين أَغْضَبُ
عليك باخوانِ الثقات فانّهمْ قليلٌ فصِلْهُمْ دون مَنْ كنتَ تَصْحَبُ
وما الخِدْنُ الّا مَن صَفا لك وُدّه ومَن هو ذو نُصْحٍ وأنت مُغيَّبُ
اذا ما وضعتَ السرَّ عند مضيِّعٍ فذو السرّ ممّن ضَيَّعَ السرَّ أَذْنَبُ

وقال معاوية بن ابى سفيان للحازم مَن كتم سرّه من صديقه مخافةَ ان تَبَدّل صداقتُه عداوةً فيُذيعَ سرَّه، وقال بعض الشعراء

تواقَفُ معشوقَيْن من غير مَوْعِدٍ وغُيِّبَ عن نجْواهما كلُّ كاشحِ
وكلّتْ جفونُ الماء عن حَمْل مائها فما ملكتْ فَيْضَ الدموعِ السوافحِ ٣٧

وانّى لأطْوِى السرَّ عن كلّ صاحبٍ   وإنْ كان للأسرار عِدلَ الجوانحِ

وكتب عبد الملك بن مروان ببعض سرّه الى الحجّاج بن يوسف ففشا حتّى بلغه ذلك فكتب اليه عبد الملك يعاتبه فكتب اليه والله يا امير المؤمنين ما اخبرت به الّا انسانا واحدا فكتب اليه عبد الملك انّ لكلّ انسان نصيحا يُفشى اليه سرّه، وقال بعض الشعراء فى ذلك

أَلَمْ تَرَ أنّ وُشاةَ الرجا   لِ لا يتركون أديمًا صحيحا
فلا تُفْشِ سرّك إِلّا اليك   فانّ لكلِّ نصيحٍ نصيحا

وقال اخر

اذا انت لم تحفَظْ لنفسك سِرّها   فسِرُّك عند الناس أفْشى وأضْيَعُ

وقال اخر

أَمِتِ السرَّ بكتمانٍ ولا   يبدُوَنْ منك اذا استُودعت سرُّ
فاذا ضِقتَ به ذَرْعًا فلا   تجعلنْ سرّك إِلّا عند حُرِّ

وقيل لأعرابىّ استُودِعَ سرّا فكتمه أفَهمتَ قال لا بل نَسِيتُ، واخبرنى احمد بن عبيد قال اخبرنى ابن الاعرابىّ قال قيل لأعرابىّ كيف كتمانك السر فقال أجحَدُ المُخْبِر وأَحلف للمستخبِر، وقيل لاعرابىّ كيف حفْظك للسرّ فقال انا لَحْدُه، وممّا استحسنته فى كتمان السرّ قول كُثيّر

أَتَى دون ما تخشَوْن من بثّ سرّكمْ   اخو ثقةٍ سهلُ الخلائق أروَعُ
ضنينٌ ببذل السرّ سَمْحٌ بغيره   اخو ثقةٍ عَفُّ الوصال سَمَيْدَعُ
أَبَى أَنْ يَبثّ الدهرَ ما عاش سِرّكمْ   سَليمًا وما دامتْ له الشمسُ تَطْلَعُ

وله ايضا

كريمٌ يُميت السرَّ حتّى كانّه   اذا استنطقوهُ عن حديثك جاهلُهْ
رَعَى سرّكم فى مُضْمَر القلب والحَشا   شفيقٌ عليكم لا تُخاف غوائلُهْ
وأكتُمُ نفسى بعضَ سرّى تكرّمًا   اذا ما أضاعَ السرَّ فى الناس حاملُهْ

وقول صاحبه ايضا

لعمرِى ما آستودعتُ سرّى وسرَّها   سوانا حِذارًا أن تَشيعَ السرائرُ
ولا خاطبتْها مُقْلتاىَ بنظْرةٍ   فتَعْلَمَ نجْوانا العيونُ النواظرُ
ولكنْ جعلتُ اللحظَ بينى وبينها   رسولًا فأدّى ما تُجِنّ الضمائرُ

ومنه قول الاخر

ليَهْنِكَ منّى أنّنى غيرُ مُظْهرٍ   هواكِ ولو أشرفتُ منه على نَحْبِى
ولَوْ أنّ خلقًا كاتمَ الحبِّ قلبَهُ   لَمُتُّ ولم يَعلمْ بحُبّكُمُ قلْبِى

وقال اخر

لَو أنّ امرءًا أخْفَى الهوَى عن ضميرِهِ   لمتُّ ولم يَعلَمْ بذاك ضميرُ
ولكن سألقَى اللهَ والقلبُ لم يَبُحْ   بسرِّكِ والواشون عنك كثيرُ

وقال العبّاس بن الاحنف

ايا مَنْ سرورى به شِقْوَةٌ   ومَنْ صَفْوُ عيشى به أكْدَرُ
تجنّيْتَ تَطلب ما أستحِقُّ   به الهَجْرَ هيهاتَ لا يُقْدَرُ
وما ذا يَضُرُّكَ من شُهْرتى   اذا كان سرُّك لا يُشْهَرُ
امنّى يُخاف انتشارُ الحديثِ   وحَظّىَ فى صَوْنه أكْثَرُ
ولولمْ يكنْ فيه بُقْيا عليك   نظرتُ لنفسى كما تَنْظُرُ

وانشدنى لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر

ومؤتمَنٍ بالحزم فى كلّ امرِهِ   وأسرارُه منه بحيث المقاتلُ
فلا سرُّه عن ساحة الصدرِ نازحٌ   ولا هُوَ عن سرٍّ تَعدّاهُ سائلُ

ولغيره فى مثله

فلَنَقْلُ الجبالِ أهْوَنُ من بَثِّ حديثٍ حَنَتْ عليه الضلوعُ
فلك اللهُ انّنى لَكَ راعٍ   ما بدا كوكبٌ وبَرقٌ لَموعُ

وانشدنى احمد بن عبد الله قال انشدنى ابن الكلبىّ لابن أُمينة

وانّى على السرّ الذى هُوَ داخلٌ   اذا باح اصحابُ الهوَى لَصَموتُ
وانّى ما آستودعتِ يا أُمَّ مالكٍ   على قِدَمٍ من عهدِنا لَكَتومُ

٣٩ وقال ابو الطيّب الصموم المُمْسِك وكذلك الزَمِيتُ ايضا، وقال اخر

وحاجةٍ دون أُخْرَى قد شَجِيتُ بها   خلّفتها لِلّذى اخفَيْتُ عُنْوَانَا
انّى كانّى أرى مَن لا حياءَ له   ولا امانةَ وَسْطَ الناس عُرْيَانَا

وانشدنى احمد بن يحيى بن الحطيم

وان ضيّع الاحرارُ سرًّا فانّنى   كَتومٌ لأسرارِ العشير أَمينُ
يكون له عندى اذا ما ضَمِنْتُه   مكانًا بسوداء الفؤادِ مَكينُ

وقال بشّار بن بُرْد المرعَّث

أَبْكى الذين أذاقونى مودّتَهُمْ   حتّى اذا أَيْقَظُونى فى الهوى رَقَدُوا
لأخرُجَنّ مِنَ الدُنْيا وسرُّهُمُ   بين الجوانِحِ لم يَعلَمْ به أَحَدُ

واحسن والله الذى يقول

يأَبى لِىَ الذمَّ اخلاقٌ ومَكْرُمةٌ   منّى وأُذْنٌ عَنِ الفحشاء صمّاء
والنجمُ أَقرَبُ من سرّى اذا اشتمَلَتْ   منّى على السرّ أَضلاعٌ وأَحشاء

والذى قيل فى ذلك كثير جدًّا يطول به الخُطب ويتّسع فيه القول وليس قصدَنا فى كتابنا هذا المعنى وانّما تقدّمنا بذكرِ ما شرحناه ونعتِ ما وصفناه لأنّه لا بدّ للظريف من استعمال كلّما ذكرناه من حدود الادب وشرائع المروّة، واعلم انّ مذهبنا فى هذا الكتاب الى معنى صفة الظرف وما يجب على الظريف استعمالُه وذكرِ ما يجب عليه تركُه، وما اخترعنا فى كتابنا هذا عِلمًا مِن عند انفسنا يجب لنا به الامتحان ولا يلحقنا فيه عَيْبُ مَن عاب ان عاب ولا على انّه لا يُطلب لفظه ولا يُمتنع عند معايبهم الّا مَعيب،

وانشدنا احمد بن يحيى قال انشدنى ابن السكّيت

رُبَّ غريبٍ ناصحِ الجَيْبِ   وابنِ ابٍ متّهَمِ الغَيْبِ
ورُبَّ عيّابٍ له منظرٌ   مشتملٌ منه على العَيْبِ

ولكنّا الّفناه وجمعناه من اقاويل جماعة من الظرفاء والمتظرّفات واهل

الادب والمروّات سمعناهم ورايناهم يتكلّمون به ويستعملونه فاحببنا ان نجمع ذلك ونجعله لهوًا لِمَن اراد سماعه وعَلَمًا لمن اراد اتّباعه وهَدْيًا لمن اراد رُشده ومنارًا لمن اراد قصده وطيبًا لمن اراد شمّه وادبًا لمن اراد فهمه وكتابُنا هذا روضةٌ تتنزّه فيها العقول وعقودُ جوهرٍ زيّنتْها الفصول اذ لم نُخْلِه من اخبار طريفة واشعار ظريفة واشياء نمتْ الينا من زىّ ظرفاء الناس فى الطعام والشراب والعِطر واللباس ومذهبهم فيما اجتنبوه من ذميم الافعال واستحسنوه من جميل الشِيَم والاخلاقِ وسأشرح ذلك وأُبيّنه بابًا بابًا لتقف عليه ان شاء الله ٠ ٤٠

باب ١٤

سنن الظرف

اعلمْ انّ عماد الظرف عند الظرفاء واهل المعرفة والادباء حفظُ الجوار والوفاء بالذمار والأنفةُ من العار وطلبُ السلامة من الاوزار ولن يكون الظريف ظريفا حتى تجتمع فيه خصال اربع الفصاحةُ والبلاغةُ والعفّةُ والنزاهةُ، وسألتُ بعض الظرفاء عن الظرف فقال التودّدُ الى الاخوان وكفُّ الأذى عن الجيران، وقال اخر الظرف ظَلَفُ النفس وسخاء الكفّ وعفّةُ الفرجِ، واخبرنى احمد بن عُبيد قال قال الاصمعىّ وابن الاعرابىّ لا يكون الظرف الّا فى اللسان يقال فلان ظريف اى هو بليغ جيّدُ المنطق، ومنه حديث عمر بن الخطّاب رضى الله عنه اذا كان اللصّ ظريفا لم يُقطَعْ اى لانّه يكون له لسان فيحتجّ به فيدفع عن نفسه، قال ورُوى عن محمّد بن سيرين انّه قال الظرفُ مشتقّ من الفطنة، وقال غيره الظرفُ حُسْنُ الوجه والهيئة، وقال بعض المشيخة الظريفُ الذى قد تأدّب واخذ من كلّ العلوم فصار وعاءً لها فهو ظرفٌ، وقال احمد بن عُبيد معناه انّه يَعِي ادبا وعلما كما يعى ٤١
ظرف الشىء ما يكون فيه، ولذلك معنى اذا كان اللصّ ظريفا لم

يُقطع اذا كان واعيا للعلم لم يسرق الّا بتأوّلٍ كما فعل الشعبىّ وقد دخل بيت المال فاخذ منه دراهم وانّما اراد به التأوّل لِما له فيه من الحقّ، وسألتُ بعض متظرّفات القصور عن الظرف فقالت من كان فصيحا عفيفا كان عندنا متكاملا ظريفا ومن كان غنيّا عاهرا كان ناقصا فاجرا، وقال بعض الادباء الظرف ظَلَفُ النفس ورقّةُ الطبع وصدقُ اللهجة وكتمانُ السرّ، وسألتُ بعض الظرفاء فقال الظرف فى اربع خصالٍ الحَياء والكَرَم والعِفّة والوَرَع، وانشدنى ابو عبد الله الواسطىّ لنفسه فى هذا المعنى

ليس الظريفُ بكاملٍ فى ظرفِهِ حتّى يكون عن الحَرامِ عَفيفَا
فاذا تَورّع عن مَحارِمِ رَبّه فهُناكَ يَدعوهُ الأنامُ ظَريفَا

ومثله لبعض المتأدّبين

إنْ أكُنْ طامحَ اللحاظ فانّى والّذى يَملك العبادَ عَفيفُ
ليس ظَرفُ الظريفِ بالنفس لكنْ كلُّ ذى عِفّةٍ فذاك ظريفُ

وخُبِّرتُ انّ عبد الملك بن مروان وجد على بعض عمّاله فقيّده وحبسه فى داره فاشرفت عليه ابنة لعبد الملك فنظر اليها فانشأت تقول

ايّها الرامىُ بالطّرْ فِ وفى الطرف الحُتُوفُ
إنْ تُرِدْ وصْلًا فقد أمْكَنَكَ الظَبْىُ الألُوفُ

فاجابها الفتى فقال

إن تَرَيْنى زانىَ العَيْنَيْنِ فالفرجُ عفيفُ
ليس الّا النَظَرُ الفاتِنُ والشِعرُ الظريفُ

فاجابته الجارية

قد أرَدْناكَ على أنْ تَعتنقَ ظَبْيًا ألُوفَا
فتأبَّيْتَ فلا زِلْتَ لِقَيدَيكَ حَليفَا ۴۲

فذاع الشعر وبلغ عبد الملك فدعا به فزوّجه ايّاها ودفعها اليه،

واجتاز عبد الله بن عبد الرحمن الذى كان يُعرف بالقَسّ لعبادته بسَلّامة المغنّية التى صارت الى يزيد بن عبد الملك فسمعها وهى تُغنّى فوقف يستمع غناءها فادخله مولاها عليها فوقعت فى قلبه ووقع بقلبها فقالت له يوما وقد خلا مجلسُهما انا والله احبّك فقال وانا والله احبّك قالت فانا والله أشتهى ان اضع فمى على فمك والصق صدرى بصدرك واضمّك الىّ وتضمّنى اليك قال وانا والله اشتهى ذلك قالت فما يمنعك من ذلك فوالله انّ الموضع لَخالٍ وما يقربنا احد فقال ويحكِ انّى سمعتُ الله يقول الأخلّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبعضٍ عَدُوٌّ الّا المُتّقِين فانا اكره ان تكون خُلّتى لك فى الدنيا منقطعةً فى الآخرة ثمّ وثب فانصرف، وكان لعلىّ بن ابى طالب عليه السلام جارية تدخل وتخرج وكان له مؤذّن شابّ فكان اذا نظر اليها قال لها انا والله احبّك فلمّا طال ذلك عليها اتت عليًّا عليه السلام فاخبرته فقال لها اذا قال لك ذلك فقولى انا والله احبّك فمَهْ فاعاد عليها الفتى قوله فقالت له وانا والله احبّك فمَهْ فقال تصبرين ونصبر حتى يوفّينا من يوفّى الصابرين أجْرَهم بغَيْرِ حِساب فاعلمت عليًّا عليه السلام فدعا به فزوّجه منها ودفعها اليه، وانشدنى ابو عبد الله الواسطىّ لنفسه فى هذا المعنى

كم قد ظَفرتُ بمن اهوى فيمنعنى ... منه الحياء وخوفُ الله والحذَرُ
وكم خلوتُ بمن اهوى فيقنعنى ... منه الفُكاهةُ والتحديثُ والنَّظَرُ
اهوى المِلاحَ واهوى انْ اجالسَهمْ ... وليس لى فى حرامٍ منهمُ وَطَرُ
كذلك الحُبُّ لا اتيانُ مَعْصيَةٍ ... لا خَيْرَ فى لَذّةٍ مِن بعدها سَقَرُ

ومثل ذلك قول الآخر

٤٣ تَفْنَى اللذاذةُ ممّن نال صفْوَتَها ... مِن الحرام ويبقى الاثْمُ والعارُ
تبقى عواقبُ سَوْءٍ مِن مَغَبّتِها ... لا خَيْرَ فى لَذّةٍ من بعدها النارُ

وممّا أستحسنُه فى العفّة ايضا ما انشدنيه احمد بن يحيى ثعلب

لبعض نساء العرب

وبِتْنا خِلاقَ لِلحَيّ لا نحن منهُمُ ولا نحن بالأعداء مختلطانِ
وبِتْنا يَقِينا ساقطَ الطَلّ والنَدَى من الليل بُرْدَا يُمْنَةٍ عَطِرانِ
نَذودُ بذِكْرِ الله عنّا مِنَ الصبَى اذا كان قَلْبانا بنا يَرِدانِ
ونَصدُرُ عن رِيِّ العَفاف ورُبَّما نَقَيْنا غليلَ النفس بالرَشَفانِ

وانشدنى احمد بن يحيى ثعلب

أُحبّكِ لا مِن رِيبةٍ كان بيننا ولا نَسَبٍ بينى وبينكِ شابكِ
أُحبّكِ انْ خُبّرتُ أنّكِ فارِكٌ لعمرِىَ انّى مُولَعٌ بالفوارِكِ
أُحبّ فتاةً أنْ تُشاغِبَ زوجَها وانْ لم أَنَلْ مِن وصلها غيرَ ذالكِ

قال ابو الطيّب الفارك المُبْغِضة لزوجها يقال قد فَرِكَتِ المرأة زوجَها تَفْرَكُهُ اذا ابغضته وهى فارِكٌ والرجل مَفْروكٌ، ومثله قول الحُسَيْن بن مُطَيْر

أُحبّكِ يا سَلْمَى على غير رِيبَةٍ وما خَيْرُ حُبٍّ لا تَعِفُّ سَرائِرُهْ

ومثله ايضا قول الاخر

أتأذَنونَ لصَبٍّ فى زيارتِكُمْ فعندكم شَهَواتُ السمعِ والبصَرِ
لا يَفعلُ السُوءَ إن طال الجلوسُ به عَفُّ الضمير ولكِنْ فاسِقُ النَظَرِ

وقال محمود الورّاق

انّى أُحبّكِ حُبّا لا لفاحِشَةٍ والحبُّ ليس به فى الله مِن بَأسِ

وانشدنى بعض الادباء قال انشدنى اعرابىّ ببلاد نجد

ويَوْمٍ كابهامِ الحُبارَى قَطعتُهُ بمِقْمَعَةٍ والقومُ فيهمْ تحرُّفُ
اذا ما هَممنا صدَّ رَيٌّ نفوسِنا كما صدَّ مِن بعد التهمُّم يوسُفُ

قال ابو الطيّب قوله كابهام الحبارى يريد نِهايةَ ما يكون من القِصَر،

۴۴ وانشدنى اخر

ما الحبُّ الّا قُبَلٌ وغَمْزُ كفٍّ وعَضُدْ
او كُتُبٌ فيها رُقًى أنفَذُ من نَفْثِ العُقَدْ

ما الحبُّ الّا هٰكذا ۞ إن نُكِحَ الحبُّ فَسَدْ
مَن لم يكن ذا عِفّةٍ ۞ فانّما يَبغى الوَلَدْ

ومن ذلك قول بُثَيْنة لجَميل وقد قال لها هل لك يا بثينة ان تحقّق قول الناس فينا فقالت له مَهْ دَعْ حبّنا مكانه إنّ الحبّ اذا نُكِح فسد، ودخلت بُثينةُ على عبد الملك بن مروان فقال لها والله يا بثينة ما ارى فيك شيئا ممّا كان يقول جميل قالت يا امير المؤمنين انّه كان يرنو الىّ بعينين ليستا فى رأسك قال وكيف صادفتيه فى عفّته قالت كما وصف نفسه حيث يقول

لا والذى تَسجُدُ الجِباهُ له ۞ ما لِى بما دُون ثَوْبِها خَبَرُ
ولا بِفِيها ولا هَمَمتُ به ۞ ما كان الّا الحديثُ والنَظَرُ

وقيل لاعرابىّ هل زنيتَ قطّ قال معاذَ الله انّما هما اثنتان امّا حرّةٌ آنَفُ لها من فسادها وامّا أمةٌ آنف لنفسى من فسادى ايّاها، ورُوِى عن ابن سهل بن سعد الشاعر قال دخلتُ على جميل بن معمر العُذرىّ وهو عليل وإنّى لأرى آثار الموت على وجهه فقال يابن سهل اتقول انّ رجلا يلقى الله لم يسفك دما حراما ولم يشرب خمرا ولم يأتِ بفاحشة اترجو له قلت اى والله فمن هو قال انّى لأرجو أن اكون انا ذلك الرجل قلت بعد زيارتك بثينةَ وما تُحدِّث به عندكما فقال والله إنّى لفى آخر يوم من ايّام الدنيا واوّل يوم من ايّام الاخرة ولا نالتنى شفاعةُ محمّد صلّى الله عليه وسلّم إن كنتُ حدّثتُ نفسى فيها بريبة قطّ قال فما انقضى يومه حتّى مات، وقال الاصمعىّ كان عمر بن ابى ربيعة وابن ابى عتيق جالسَيْن بفناء الكعبة فمرّت بهما
٤٥ امرأة من ربيعة وقيل من آل ابى سفيان فدعا عمر بكَتِفٍ فكتب فيها

ألمّا بذات الخال فاستطلعا لنا ۞ على العهد باقٍ وُدُّها أمْ تَصَرَّمَا
وقُولا لها إنّ النَوى أجْنَبيّةٌ ۞ بنا وبكُمُ قد خِفْتُ انْ تَتيَمَّما

فقال له ابن ابى عتيق ما تريد الى امرأة مُسلمةٍ محرَّمة تكتب اليها بمثل هذا فقال أترى ما سيّرتُ فى الناس من الشعر وربّ هذه البنيّة ما قَبَلَ منها وما دَبَرَ ما قوّلتُ امرأةً قطّ ما لم تَقُلْه ولا طالعتُ فرج حرامٍ قطّ، وقيل لكُثيّر عَزّة هل نلتَ من عزّة شيئا طولَ مدّتك فقال لا والله الّا انّه رُبَّ ما كان يشتدّ بى الامر فآخذ يدها فأضعها على جبينى فأجد لذلك راحةً، وقال اعرابىّ وخلا بامرأة كان يتعشّقها ما زال القمرُ يُرينيها فلمّا غاب أَرَتْنيه قيل فما كان بينكما قال اقصَى ما احلّ اللهُ وادنى ما حرّم الله عزّ وجلّ اشارةٌ فى غير باس ودنوٌّ فى غير مِساس وانشأ يقول

ولَرُبَّ لَذّةِ ليلةٍ قد نِلْتُها وحرامُها بحلالها مدفوعُ

قال اعرابىّ من فزارة عشقتُ جاريةً من الحَىّ فحادثتُها سِنين كثيرةً والله ما حدّثتْ نفسى بريبةٍ قطّ سوى أن خلوتُ بها فرأيت بياض كفّها فى سواد الليل فوضعتُ كفّى على كفّها فقالت مَهْ لا تُفسد ما صلح فأرفضّ جبينى عَرَقًا ولم أَعُدْ، وأعلم أنّ الظرف ليس بمستَغنًى عنه ولا هو ممّا يُخَلُّ منه ولا يُعنَّف فيه صاحبُه ولا يفنّد عليه طالبُه بل هو انبل ما استعمله العلماء وصبا اليه الادباء وتزيّنوا به عند اودّائهم وتحلّوا به عند اخلّائهم وربّما تكلّفه قوم ليس من اهله فظرُف وحاناه فلطُف وأنّه من المطبوعين احسنُ منه من المتكلّفين وللمتكلّف علامات تظهر فى حركاته وتبين فى لحظاته لا يسترها بتصنّعه
٤٦ ولا تتغيّب بتستّره وإنّ المطبوع على الظرف لَيَشهَدُ له القلب عند معايَنته بحلاوته وتَسكن النفس عند لقائه الى مجالسته وتصبو الى محادثته وترتاح الى مشاهدته وهو بيّنٌ فى شمائله ظاهرٌ فى خلائقه بيّنٌ فى منطقه غيرُ مستترٍ عند صمته دلائلُه واضحة فى مشيته وزيّه ولفظِه يُستدلّ عليه بظاهر حركة الملاحة دون اختبار باطن الحلاوة ألا ترى انّ من زيّهم التقزّز والنظافة والملاحة واللطافة واظهارَ البِزّة وطيبُ

الرائحة فالنفوس اليهم تائقة والقلوب وامقة والعيون رامقة والارواح عاشقة وانّ من زيّهم الوقار والخشوع والسكون والخضوع والتصنّع بالاخلاق الوضيّة والشِيَم السَنيّة والمذاهب الجميلة والهِمَم الجليلة وممّا يُستدلّ به على كمال ادبهم ويُعرف به رُجْحان هممهم كثرةُ استعمالهم الهوى وطولُ مُعاناتهم الجوى وهو من احسن مذاهبهم واجلّ مناقبهم ولسنا نقول انّ الهوى ليس بفرض على ذوى العقل كما قال ذو التقصير والجهل بل هو من اوكد الفرض عليهم واثبتِ الحجّة للمتفرّس الناظرِ اليهم على حُسْنِ تركيب الطباع والغرائز وصفاء جواهر الهمم والنحائز اذ هو عند ذوى العلوم والاحكام من اجمل مذاهب الادباء والكرام، وقال محمود الورّاق فى ذلك اذ كان الحبّ عنده كذلك

أَلم تَعلمْ فَداك أَبى وأُمّى بأنّ الحبّ من شِيَمِ الكرامِ

وليس يخلو اديب من هوًى ولا يَعرَى من ضَنًى لانّ الهوى كما وصفتْه العلماء وكما قال فيه الحكماء انّه هو اوّل باب تُفتَق به الاذهان وينفسح به الجَنان وله سَوْرة فى القَلب يحيا بها اللبّ وقد يُشجع الجبانَ ويسخّى البخيلَ ويُطلق لسانَ العىّ ويقوّى حزم العاجز ليأنس به الجليس ويمتنع به الانيس ويذلّ له العزيزُ ويَخضع له المتجبّر ٤٧ ويَبرز له كلّ محاجب وينقاد له كلّ ممتنع وهو اميرٌ مطاع وقائد متّبع وليس بأديب عندهم مَن خرج من حدّ الهوى، وقد قال الاحوص ابن محمّد الانصارى

اذا انت لم تَعشَقْ ولم تَدْرِ ما الهوى فكُنْ حَجَرًا مِن يابس الصخر جَلْمَدَا
هل العيشُ الّا ما تَلذّ وتَشتهى وان لامَ فيه ذو الشَنان وَفَنّدَا

واجتاز رجل بمجنون بنى عامر وهو يخوض سُور الحوض فقال له ما بك يا فتى ولم يعرفه فانشأ يقول

بِىَ اليأسُ او داءُ الهُيامِ اصابَنى فايّاك عنّى لا يكن بك ما بِيَا

قال ابو الطيّب الهُيام داءٌ يأخذ الابل وتشرب الماء ولا تَروَى ويقال

للابل التى يصيبها نلك الهيمُ قال الله جلّ ثناؤه فَشَارِبُون شَرْبَ الهِيم، فعرفه فقال أعاشق انت قال نعم وانشأ يقول

اذا انت لم تَعشَقْ فتُصْبِحَ هائمًا ولم تك معشوقًا فأنت حِمارُ

وقال

الحبّ اوّل ما يكون لَجاجةٌ تأتى به وتَسوقُهُ الأقْدارُ

ورُوِينا عن الهزنادىّ عن هشام عن ابن سيرين قال كانوا لا يرون بالعشق بأسًا فى غير رِيبة، وقيل لبعض البصريّين انّ ابنك قد عشق فقال وما بأس به انّه اذا عشق نظُف وظرُف ولطُف، وقيل لبعض العرب متى يكون الفتى بليغا قال اذا وصف هوًى حيًّا،

وانشدنى بعض الادباء

وما الناس الّا العاشقون ذَوُو الهوى وما خيرُ فيمَنْ لا يحبّ ويَعْشَقُ

وقال اخر

وما تَلِفَتْ الّا مِنَ العِشق مُهْجَتِى وهل طاب عيشٌ لامرىء غيرِ عاشِقِ

وقال اخر

وما خيرُ فى الدنيا اذا انت لم تَزُرْ حبيبًا ولم يَطرب اليك حَبيبُ

وقال اخر

وما سَرّنى انّى خلىٌّ من الهوى . ولا انّ لى ما بين شَرْقٍ الى غَرْبِ

واعلم انّ اوّل علامات الهوى على ذى الادب نحولُ الجسم وطولُ السقم واصفرارُ اللون وقلّةُ النوم وخشوعُ النظر وادمانُ الفكر وسُرعةُ الدموع

٤٨ واظهارُ الخشوع وكثرةُ الانين واعلانُ الحنين وانسكابُ العبرات وتتابُعُ الزفرات ولن يَخفى المحبّ وان تستّر ولا ينكتم هواه وان تصبّر ولن يَغبَى ادّعآء انّه قد قارن العشق والهوى لانّ علامات الهوى نائرة وآيات الادّعآء ظاهرة، وقد قال الاحوص الانصارىّ

ما عالَجَ الناسُ مثلَ الحبّ مِن سَقَمٍ ولا بَرَى مثلَه عَظْمًا ولا جَسَدَا

ما يَلبَثُ الحبّ أن تبدو شواهِدُه مِنَ المُحبّ وإن لم يُبْدِهِ أبَدَا

وقال اخر

ما يعرف الحزن الّا كلُّ مَن عَشِقَا وليس من قال انّى عاشقٌ صدقا
للعاشقين نُحُولٌ يُعرَفون به من طُول ما حالفوا الأحزانَ والأرَقا

وحُدّثتُ عن الزبير بن بكّارٍ قال رايتُ رجلا بناحية الثغر عليه اثر ذلّة وخضوع واستكانة وخشوع كان يُكثر التنفّس ويُخفى السكوت ويُبدى الانين وحركاتُ المحبّ لا تخفى فى شمائله ولا يسترها بتصاوُنه فسالتُه فى بعض ايّامه وقد خلوت به عن حاله فكان جوابه وقد تحدّرت الدموع من عينيه

انا فى أمرَىْ رَشادِ بين غزْوٍ وجِهادِ
بَدَنى يَغزو عَدُوّى والهوى يغزو فُؤادى

وركبت سُكَيْنةُ ابنة الحُسين بن علىّ ذات ليلة فى جواريها فمرّت بعروة بن اذينة اللَيْثىّ وهو فى فناء قصر ابن عُيَيْنة فقالت لجواريها مَن الشيخ فقالوا عروة فعدلت اليه فقالت يا ابا عامر انت تزعم انّك لم تعشق قطّ وانت تقول

قالت وأبثثتُها وجدى فبُحْتُ به
قد كنتَ عندى تحبّ السترَ فٱستَتِرِ
ألستَ تُبصِر مَن حولى فقلتُ لها
غطّى هواكِ وما أُلقى على بَصَرى

كلّ من ترى حولى من جوارى احرار إن كان خرج هذا الكلام من قلب سليمٍ قطّ، فهذان قد كتما هواهما فنمّتْ شواهدُ تجوّيهما لانّ مَن
٤٩ اغتمس فى بحر الهوى نمّت عليه شواهدُ الضنى، فأمّا اهل الدعاوى الباطلة الذين ليست اجسامهم بناحلة ولا الوانهم بحائلة ولا عقولهم بذاهلة فهم عند ذوى الفراسة يَكذبون وعند ذوى الظرف لصحّتهم يوبّخون، وقد رُوى انّ العبّاس بن الاحنف قال بينا انا بالطواف اذا بثلاث جوارٍ اتراب فلمّا ابصرنَنى قلن هذا العبّاس ودنتْ الىّ

احداهنّ فقالت يا عبّاس انت القائل

ما ذا لَقيتُ مِن الهوى وعذابِهِ   طلعتْ علَىّ بليّةٌ من بابهِ

قلت نعم قالت كذبتَ يابن الفاعلة لو كنتَ كذاك كنت كأنّا ثمّ كشفتْ عن اشاجع مُعرّاة من اللحم وانشأت تقول .

ولمّا شكوتُ الحبّ قالت كذبتَنى   فما لِى أرى الاعضاء منك كواسِيا

فلا حُبَّ حتّى يَلصَق الجلدُ بالحشا   وتخرس حتّى لا تُجيبَ المُناديَا

ودخل ابراهيم بن المهدىّ على امير المؤمنين وكان ابراهيم انجل البطن كثير اللحم والشحم فقال له المأمون بالله يا عمّ عشقتَ قطّ قال نعم يا امير المؤمنين وانا الساعة عاشق قال وانت على هذه الجثّة والشحم الكثير ثمّ انشأ المأمون يقول

وَجْهُ الذى يَعشَقُ معرُوفُ   لانّه أصفرُ منحُوفُ

ليس كمنْ امْسَى له جُثّةٌ   كانّه للذَّبْحِ معلوفُ

فاجابه ابراهيم بن المهدىّ

وقائلٍ لستَ بالمُحبّ ولَوْ   كنتَ محِبًّا لَذُبْتَ مِن زَمَنِ

فقلتُ قلبى مُكاتمٌ بَدَنى   حُبّىَ فالحبُّ فيه مُختزَنُ

أحَبَّ قلبى وما دَرَى بدنى   ولو درى ما اقام فى السمَنِ

هذان ايضا قد ادّعيا المحبّة ففضحهما شاهدُ النظر ولم يَجُزْ ادّعاؤُهما على ذى المعرفة والبصر، وقول ابراهيم احبّ قلبى وما درى بدنى ٥ مُحال لا يَعلق القلب فيَسلم الجسم ولكنّه لاستحيائه قد احتجّ بحجّة ضعيفة، وانشدنى بعض المشيخة فى مثل ذلك

وقائلة ما بالُ جسمكَ سالمًا   وعَهْدى بأجسام المُحبّين تَسْقَمُ

فقلتُ لها قلبى لجسمىَ لم يَبُحْ   بحُبّى فجسمى بالهوى ليس يَعْلَمُ

فالعرب تمدح بالضُمْر وتَذمّ بالسِمَن وتَنسب اهلَ النحول الى الادب والمعرفة واهلَ السِمَن الى الفدامة وقلّة الفهم وللفلاسفة والاطبّاء فى ذلك قول يُثبِت ما ادّعت العرب وزعموا انّ مَن غلب عليه البَلْغَم عظُم

جسمُه وكثر شحمُه ولحمُه وقلّ فهمُه وطال سُباتُه وانعقد لسانُه لغلبة البلغم على قلبه واحتواء الرطوبة على لبّه ومَن كان اغلبُ مزاجاته المِرّةَ خفّ جسمُه وقلّ لحمُه وذاب شحمُه وحسُن ذهنُه وصحّ فهمُه لانّ النحول علامةُ المتفرّسين ودلالةُ المتوسّمين لا يكاد ان تخطئَ فيه الفراسة ولا تكذب فيه العيافة لِما اخبرتُك من غلبة احد المزاجَيْن على صاحبه وابتناء قرارِه فى مركّبه وربّما انجب السِمَن وخاب الهُزال ولا يكون ذلك الّا فى الفرد الشاذّ من الرجال، ومن امثال العرب فى ذلك البِطْنة تُذْهِب الفِطْنة، ورُوِى انّ جميل بن معمر العُذرىّ صحبه رجل من عُذرةَ وكان بطينا أَكُولا فجعل يشكو اليه هوى ابنة عمّ له فأنشأ جميل يقول

وقد رابَنى مِن جعفرٍ أنّ جعفرًا ... مُلِحٌّ على قُرْصٍ ويشكو هوى جُمْلِ
فلو كنتَ عُذْرِىَّ الهوى لم تكن كذا ... بطينًا وأنساكَ الهوى كثرةَ الأَكْلِ

ومَن عَشِقَ عندهم فلم ينحلْ جسمُه ولم يطلْ سقمُه ويتبيّن الخشوع فى حركته والذُلّ فى نغمته نسبوه الى فسادِ الطبع ونقصانِ اللبّ وبُعْدِ الفهم وموتِ القلب ومن ادّعى المحبّة فلم ينحل ولم يسهر ولم يخشع ولم يذلّ ولم يخضع ولم يحمل نفسه على الامور المُتعبة والشدائد الفظيعة ويركب فيها المَراكب الوَعِرة ويتقدّم على الاشياء المهولة والاهوال المخوفة التى يلاقى فيها الموت ويعاين فيها الفوت ويباشر فيها الهَلَكة ويُغرِّر فيها بالمُهجة ويَصبر منها على حتفه ويخاطر بنفسه ويَرِد الموارد التى يلاقى فيها الموت ويَشرف منها على مَهول الامر الذى فيه تلفه وحَيْنُه وحتّى يَعصى فى هواه الاقاربَ ويعالج فيه العجائب فيكون كما قال العَرجىّ

كم قد عَصَيْتُ اليكَ من متنصّحٍ ... دانى القرابةِ او وعيدِ أَعادى
وتَنوفةٍ أَرمى بنفسى عَرْضَها ... شَوْقًا اليكَ بلا هِدايةِ هادى

وكما قال سُوَيْد بن ابى كاهل

كم جَشِمْنا دون سلمَى مَهْمَهًا   نازِحَ الـغَـورِ اذا الآلُ لَـمَـعْ
وكـذاك الـشـوقُ ما اشجـعَـهُ   يـركب الهَوْلَ ويَعْصِى مَن وَزَعْ

فليس بعاشق عندهم ولا يثبت له اسمُ الهوى ولا يلحق بالظرفاء ولا يُعدّ فى الادباء لانّ الـهوى عندهم فى النحول والذهول والضَنَى والعَناء والأَرَق والقَلَق والسهر والفِكر والذُلّ والخضوع والانكسار والخشوع وادمانِ البكاء وقلّة العزاء وكثرة الانين وطول الحنين وليس بعاشق مَن خرج عن هذه الصفات وانتقل من هذه الحالات او وُسِم بغير هذه العلامات وعُرِف بغير هذه الدلالات، انشدنى بعض الادباء

علامةُ مَن كان الهوى فى فؤادهِ   اذا ما لَـقـى أحْبابَـه يتحيّرا
ويَصفرّ لونُ الوجه بعدَ احْمِرارِهِ   فإن حـرّكـوه للـكـلام تـشـوّرا

انشدنى ابو الحسن بن الرُومىّ

أَرَى ماءً وبى عَـطَـشٌ شـديـدٌ   ولـكـنْ لا سبـيـلَ الى الـوُرُودِ
أما يَـكـفـيـكِ أنّـكِ تملكينى   وأنّ الـخَـلـق كلّهم عَبيدى
وأنّـكِ لو قطعتِ يَدى ورِجلى   لقلتُ مِنَ الهوى احسنتِ زِيدى

وحُـدّثتُ عن ابن مُخارق عـن ابيه قال كنّا عند المأمون يـوما فقام فـدخـل الى حُرَمه وخـرج وعيناه تـذرفان فقال لى يا مخارق تغنَّ لى بهذين البيتين ٥٣

سلامٌ على مَن لم يُطِقْ عند بَيْنه   سلامًا فأومَى بالبَنان المخضَّبِ
فما اسطعتُ الّا بالبُكاء جوابَـهُ   وذلـك جُـهْـدُ المستهام المعذَّبِ

فحفظتُهما وتغنّيتُ بهما فجعل يبكى وينتحب فى بكائه ويزفر ثمّ قال لنا اتـدرون ما قصّتى قلتُ امير المؤمنين اعـلمُ وإن شاء اعلمَنا قال انّى دخلتُ الى بعض المقاصير فرأيت جـارية لى كنت اجـد بها وجـدا شديدا وهى للموت فسلّمتُ عليها فلم تطق ردّ السلام فأشارت باصبعها فغلبتنى العبرة وأرهقتنى الـزفـرة فخـرجـت من عندها فحضرنى هـذان البيتان من باب قصرها الى باب مجلسى ثمّ امر برفع الشراب فما رايتُ

يوما اكدر منه، وأُنشدتُ للمعتصم فى بعض جواريه

ايا مُنقذَ الغَرْقَى أَجِرْنى مِنَ الّتى   بها نَهِلَتْ روحى سَقامًا وعَلّتِ
لقد بَخِلَتْ حتّى لَوَ انّى سألْتُها   قَذَى العَيْنِ من سافِى التراب لَضَنَّتِ

وأُنشدتُ للمتوكّل فى جارية له

أُمازِحُها فتَغْضَبُ ثمّ تَرْضَى   وكُلُّ فَعالِها حَسَنٌ جَميلُ
فان تَغضبْ فأحسنُ ذاتِ دَلٍّ   وان ترضى فليس لها عَديلُ

حدّثنى ابو العبّاس بن الفضل الرَّبَعىّ قال حدّثنى علىّ بن الجَهْم قال حُمَّ المتوكّل يوما وكان ذلك بعقب شرّ وقع بينه وبين قَبيحة فرماها بمخدّة فغضبت واحتجبت فحُمّ بعقب ذلك ودخلنا عليه واذا الفتح قائم فى يده قارورة فيها الماء ويحيى بن ماسَوَيْه ينظر اليها فقال ليس ارى الّا ما احبّ فقلت يا امير المؤمنين أُنشدك ابياتا فقال لى أنشِدْ فأنشدتُه

تَنَكَّرَ حالَ عِلّتِىَ الطبيبُ   فقال ارى بجِسْمك ما يُريبُ
جسستُ العِرْقَ منك فدَلَّ عندى   على داءٍ له شأنٌ عجيبُ
فما هذا الذى بك هاتِ قُلْ لى   فكان جوابَهُ منّى النَّحيبُ
فجِسْمى بالحبيبِ بُلِى سَقامًا   وقَلْبى يا طبيبُ هُوَ الكئيبُ ٥٣
فحرّك رأسَه ودنا الىّ   وقال الحُبُّ ليس له طبيبُ
فأعجَبَنى تظرُّفُه علىّ   فقلتُ بَلَى اذا رَضِىَ الحبيبُ
فقال هُوَ الشفاءُ فلا تَوانَ   فقلتُ اجلْ ولكنْ لا تُجيبُ
ألا هلْ مُسْعِدٌ يبكى لشَجْوِى   فانّى هاهُنا أَبَدًا غريبُ

فضحك ودعا بالشراب وشرب وشربنا معه ووجّه الى قبيحة فوقع الصلح بينهما وخرجتْ عندها رقعة بخطّ فضل الشاعرة

لأصبرنّ على ما بى مِنَ المَضَضِ   حتّى اموتَ ولا يَشعُرْ بِىَ الناسُ
ولا يقالَ شَكَا مَن كان يَعشَقُهُ   انّ الشكاةَ لِمَن يهوى هُوَ الباسُ
ولا أبوحُ بسِرٍّ كنتُ اكتُمُهُ   عند الجليسِ اذا ما دارَتِ الكاسُ

واما من عَشِقَ من الشعراء فما يحصرهم عددٌ ولا يحصيهم احد، وقد عشق اكثر العرب بل كلّهم قد عشق فمن المذكورين منهم المشتهرين بالصَبْوة والغزل فقَيْس مجنون بنى عامر عاشق لَيْلَى وقيس بن ذَريح عشق لُبْنَى وتَوْبة بن الحُميّر عشق لَيْلَى الأَخْيَليّة وكُثيّر عشق عَزّة وجَميل بن مَعْمَر عشق بُثَيْنة والمؤمّل عشق الذَلْفاء ومُرقّش عشق أَسْماء ومُرقّش الأصغر عشق فاطمة بنت المنذر وعُروة بن حِزام عشق عَفْراء وعمرو بن عَجْلان عشق هِند وعلىّ بن أُديم عشق مَنْهَلة والمُهذّب عشق لَذّة وذو الرُمّة عشق مَيّة وقابوس عشق مُنْيَة والمُخبّل السَعْدىّ عشق المَيْلاء وحاتم طَيّء عشق ماوِيّة ووضّاح اليمن عشق أُمّ البَنين والغَمْر بن ضرار عشق جُمْل والنَمِر بن تَوْلَب عشق حَمزة وبَدر عشق نُعْم وشُبَيْل عشق فَالُونَ وبشر عشق هِنْدَ وعمرو عشق دَعْدَ وعمر بن ابى ربيعة عشق الثُرَيّا والاحوص عشق سَلّامة وأَسْعَد بن عمرو عشق لَيْلى بنت صَيْفىّ ونُصَيب عشق زينب وسُحَيم عبد بنى
٥٤ الحَسْحاس عشق عُميرة وعبيد الله بن قيس عشق كَثيرة وابو العتاهية عشق عُتْبَة والعبّاس بن الاحنف عشق فَوز وابو الشِيص عشق أُمامة فهاؤلاء قليل من كثير ممّن عشق وانّما اقتصرنا على ذكر بعضهم دون بعض ليقلّ به الخطاب ويحسن به الكتاب ولكلّ واحد منهم سبب فى حبّه وحديث فى عشقه يطول شرحه ويكثر وصفه ونحن مُفردون لاهل العشق كتابا نذكر فيه اخبار المتيّمين ومُلَح المتعشّقين واشعار المتغزّلين مع جُملة من صفات الهوى فى كتاب المُقتَفَى ان شاء الله تعالى، وقد شُهِر ايضا بالصبوة والغزل جماعة من شعراء العرب منهم ابو كَثير الهُذَلىّ وابو صخر الهذلىّ وابو دَهْبَل الجُمَحىّ ورَبْسان العُذرىّ والصمّة بن عبد الله القُشَيرىّ وابن أُذَينة وابن الدُمَينة وابن الطَثْرِيّة وابن ميّادة والحُسَين

ابن مُطَير الى اخرين لا يحصيهم العدد ولا يبلغهم الامد وقد ضُرِب في عُرْوة بعشقه المَثَل لانّه كان اطولهم صبوةً واكثرهم في العشق كثرة،

انشدني احمد بن يحيى لابي وَجْزة السعديّ

وفي عُروةَ العُذريِّ إن مُتُّ أُسْوَةٌ ... وعمرِو بن عَجْلانَ الذي قَتَلَتْ هِنْدُ
وبي مثلُ ما ماتا به غير أنّني ... الى اجَلٍ لم يأتني وقتُه بَعْدُ
هل الحُبُّ الّا عَبْرةٌ بعد زَفْرةٍ ... وحَرٌّ على الاحشاء ليس له بَرْدُ
وفَيْضُ دموعِ العين بالليل كلّما ... بَدَا عَلَمٌ مِن أرضكم لم يكن يَبْدُو

وقال كُثيّر

واصبحتُ ممّا أحدثَ الدهرُ خاشعًا ... وكنتُ لرَيْب الدهر لا أتخشّعُ
وعُروةُ لم يَلقَ الذي قد لَقِيتُه ... بعَفْراء والنَهْدِيُّ ما أتفجّعُ

وقال جرير

هل أنتِ شافِيَةٌ قلبًا يَهيم بكُمْ ... لم يَلقَ عُروَةُ من عَفْراء ما وَجَدَا

وقال ايضا

بالعَنْبَريّة والنَحيت أوانسٌ ... قُدْنَ الهوى بتخلُّبٍ وعِذامِ ٥٥
هل لا نَهيتُكَ اذ قتلْنَ مُرقِّشًا ... امّا صنعْنَ بعُروة بنِ حِزامِ

وقال الاحوص الانصاريّ

لا شَكَّ انّ الذي بي سوفَ يَقتُلُني ... ان كان أهْلَكَ حبٌّ قبله أحَدَا
احببتُها فوَتغتُ الناسَ كلّهمُ ... يا رَبِّ لا تَشفني من حبّها ابَدَا
لو قاسَ عُروةُ والنَهْديُّ وَجْدَهما ... لَكان وجدي بسُعْدَى فوق ما وَجدَا

وقال ايضا

اذا جئتُ قالوا قد اتى وتهامَسُوا ... كأنْ لم يَجِدْ فيما مضى احدٌ وَجْدي
فعُروة سَنَّ الحُبَّ قبلِيَ اذ شَقِي ... بعَفْراء والنهديّ مات على هِنْدِ

وقال جميل بن معمر

وما وجدتْ وجدي بها أُمٌّ واحدٍ ... ولا وجد النَهْديُّ وجدي على هِنْدِ
ولا وجد العُذريُّ عروةُ اذْ قضى ... كوَجدي ولا مَن كان قبلي ولا بَعْدِي

على انّ مَن قد ماتَ صادف راحةً   وما لِفؤادى مِن رَواحٍ ولا رُشْدِ

وقال مروان بن ابى حَفْصة

أَرْدَيْنَ عروةَ والمرقّش قبلَهُ   واخا بنى نَهْدٍ تركن قتيلا

ولقد تركن ابا ذُؤيبٍ هائمًا   ولقد قتلن كُثيّرًا وجميلا

وتركن لابن ابى ربيعةَ مَنطِقًا   فيهنّ اصبحَ سائرًا محمولا

وانشدنى عمرو بن قَنان لنفسه

انّ الأُولى ماتوا على دِين الهَوَى   وَجَدوا المَنيّةَ مَنْهَلًا معسولا

قَيسٌ وعمرٌو والمرقّش قبلهمْ   كانوا لِتَنزيلِ الهوى تأويلا

نَدَبوا الطُلولَ لأهلها لا أنّهم   عَشِقوا مَغانِىَ أَرْبُعٍ وطُلولا

ولبعض المتأدّبين

يا عَذولىّ قد هَوِيتُ فكُفّا   انّنى بالهوى المُميتِ رَضيتُ

ماتَ قيسٌ وعروةٌ وجميلٌ   وأُرانى بمَوْتِهِمْ سأموتُ

٥٩ وقال جميل بن معمر

قد ماتَ قبلى اخو نَهْدٍ وصاحبُهُ   مُرقّشٌ واشتفَى من عروةَ الكَمَدُ

وكلُّهمْ كان فى عِشقٍ مَنيّتُهُ   وقد وجدتُ بها فوق الذى وَجَدوا

انْ لم تُنِلْنى بمعروفٍ تجود به   او يَدفع اللهُ عنّى الواحدُ الصَمَدُ

وقد احسنت والله امرأةٌ من خَثْعَم اذ تقول

فأُقسمُ أنّى قد وجدتُ بجَحْوَشٍ   كما وجدتْ عَفْراءُ بابنِ حِزامِ

فما انا الّا مثلُها غيرَ انّنى   معلّقةٌ نفسى ليومِ حِمامِ

واحسن الذى يقول

عَجِبتُ لعُروةَ العُذرىّ أضحى   أحاديثًا لقومٍ بعد قَوْمِ

وعروةُ مات مَوْتًا مستريحًا   وكيف بمَيّتٍ فى كلّ يَوْمِ

وبلغنا انّ منهم من عشق صُورةً فى حَمّام وخيالا فى منام وكفّا فى حائط ومثالا فى ثوب والعشقُ ألوان وانواع وضروب وفنون وامرُه عجيب ، وقال بعض الشعراء

أَبِيتُ كأنّى للكواكب عاشقٌ فأكثَرُ هَمّى أن تزولَ الكواكبُ
عَجِبتُ لما يَلقى مِنَ العشقِ اهلُه وفيما يُلاقى العاشقون عجائبُ

وبلغ العشق من عروة بن حزام أَنْ افرده ببلائه وعذّبه بدائه وآنسه بانفراده وشرّده عن بلاده، وحُكِي عن ابن ابى عتيق قال بينا انا اسيرُ فى ارض بنى عُذرة اذا انا ببيتِ حريرٍ فدنوتُ منه فاذا عجوز تمرِّض شابّا وقد نهكتْه العلّة وانت عليه الذلّة فسألتُها عن خبره فقالت هذا عروة بن حزام فدنوت منه فسمعتُه يقول

مَن كان مِن أُمّهاتى باكيًا لِغَدٍ فاليومَ إنّى ارانى اليومَ مقبوضا
تَسمّعيه فانّى غيرُ سامعِهِ اذا علوتُ رِقابَ القوم معروضا

فقلت انت عروة بن حزام قال نعم انا الذى اقول

جَعلتُ لعَرّاف اليمامة حُكْمَهُ وعرّاف نَجْدٍ انْ هما شَفَيانى
فقالا نَعَمْ نُشفى من الداء كلّهِ وقاما مع العُوّاد يبتدرانِ ٥٧
فما تَركا من سَلْوةٍ يَعلمانها ولا شربةٍ الّا بها سَقَيانى
فقالا شفاك اللهُ واللهِ ما لنا بما حَمّلتْ منك الضلوعُ يَدانِ
فلَهْفِى على عَفْراءَ لهفًا كانّه على النحر والاحشاء حَدُّ سِنانِ
فعَفْراءُ أحْظى الناسِ عندى مودّةً وعفراءُ عنّى المُعرِضُ المُتوانى

ثمّ خفق خفقةً فتوهّمتُ انّها غَشْية فتنحّيتُ عنه ودنت العجوز منه فما برحتُ حتّى سمعتُ الصيحة فاذا هو قد فارق الدنيا، وبلغ العشقُ ايضا من مجنون بنى عامر ان اخرجه الى الوسواسِ والهَيَمان وذهاب العقل وكثرة الهَذَيان وهبوط الاودية وصعود الجبال والوَطْء على العوسج وحرارة الرمال وتمزيق الثياب واللعب بالتراب والرمى بالاحجار والتفرّد بالصحارى والاستيحاش من الناس والاستئناس بالوحش حتّى كان لا يعقل عقلا فاذا ذُكِرتْ لَيْلَى ثاب اليه عقله وافاق من غَشْيته وتجلّت عنه غَمْرته وحدّثهم عنها اصحّ الرجال عقلا واخلصهم ذهنا لا ينكرون من حديثه شيئا فاذا قطع ذكرها رجع الى وسواسه وهذيانه

وتماديه فى ذهاب عقله ، وقد حُكى عنه فى اوّل ابتداء وسواسه انّه قيل لابيه لو اخرجتَ قيسا ايام الموسم وامرتَه بأن يتعلّق باستار الكعبة ويقول اللهمّ أَرِحْنى من حبّ ليلَى لعلّ الله كان يُريحه من ذلك ففعل فلمّا طاف بالبيت أَمَرَه فتعلّق باستار الكعبة وقال قُل اللهمّ ارِحْنى من حبّ ليلَى فقال اللهمّ زِدْنى لِليلَى حبّا الى حبّها وأَرِنى وجهها فى خير وعافية فضربه ابوه فانشأ يقول

ذَكَرتُكِ والحجيجُ له ضجيجٌ   بمكّةَ والقلوبُ لها وَجيبُ
فقلتُ ونحن فى بَلَدٍ حَرامٍ   به للّه أُخلِصَتِ القلوبُ
أَتوبُ اليك يا رحمٰنُ ممّا   علمتُ فقد تظاهرَتِ الذُنوبُ
وامّا من هوى لَيْلَى وتَرْكِى   زيارتَها فانّى لا أَتوبُ
وَكيف وعندها قلبى رَهينٌ   اتوبُ اليكَ منها او أُنيبُ

وقال ايضا

دعا المُحْرِمون اللهَ يستغفرونَهُ   بمكّةَ شُعْثًا كَىْ تُمَحَّى ذُنوبُهَا
وقلتُ لِربّ الناس اوّل سأَلَتى   لنفسىَ ليلَى ثمّ انتَ حسيبُها
فان أُعطَ ليلَى فى حياتىَ لا يَتُبْ   الى الله عبدٌ توبةً لا اتوبُها

وقال ايضا

فلو أنّ ما بى بالحَصَى فَلَقَ الحصى   وبالريحِ لم يُسْمَعْ لهنّ هُبوبُ
ولو انّنى أستغفِرُ اللهَ كلّما   ذكرتُكِ لم يُكتَبْ علىّ ذُنوبُ

وبات فى بعض ليالى حَجّه تحت شجرة فانتبه بنَوح حمامة فانشأ يقول

لقد هتفتْ فى جُنْحِ ليلٍ حمامةٌ   على فَنَنٍ تدعو وانّى لَنائمُ
فقلتُ اعتذارًا عند ذاك وانّنى   لقلبىَ فيما قد رأَيتُ لَلائمُ
أأزعمُ أنّى عاشقٌ ذو صبابةٍ   بلَيْلَى ولا ابكى ويبكى الحمائمُ
كذبتُ وَبيتِ الله لو كنتُ عاشقًا   لَما سبقتْنى بالبكاء الحمائمُ

وسمع هاتفًا من الليل وهو ينادى يا لَيْلَى فخرّ مغشيًّا عليه ثمّ افاق

وهو يقول

وداعٍ دعا اذ نحنُ بالخَيْفِ من منًى ... فهيَّج احزانَ الفؤادِ وما يَدْرِى

دعا بأسم لَيْلَى اسْخَنَ اللهُ عينَه ... وليلَى بأرضٍ عنه نازحةٍ قَفْرِ

عرضتَ على قلبى العَزاءَ فقال لى ... مِنَ الآنَ فاْجزعْ لا أُعزِّك من صَبْرِ

اذا بان مَن تهوَى واسْلَمَك النوَى ... ففُرقةُ مَن تهوى احرُّ من الجَمْرِ

وقال ايضا

فلَبَّيْكَ مِن داعٍ دعا ولَوَ انّه ... صَدًى بين احجارٍ لظلَّ يُجيبُها

وقد احسن اذ حكم على صدًى فى رمسه باجابة لدعوتها والمبادرة الى تلبيَتها وهكذا فلتَكُنْ غلبةُ العشق وصِدقُ الهوى، ومثل ذلك قوله ايضا

لمَسَّتْ ثيابى إن قدرتْ ثيابها ... ولم يَنْهِنى عن مسّهنّ حَرامُها ٥٩

ولو شَهِدَتْنى حين تحضر مِيتتى ... جَلا سَكَراتِ الموت عنّى كلامُها

ومثل ذلك قول الاخر

ولو كلّمتْنا بين زمزمَ والصفا ... وبين حطيم البيت أَصْبَى كلامُها

ولو مكثتْ بعد التطوّع ساعةً ... بمكّةَ ولّاها الصلوةَ امامُها

ولو نطقتْ والموت يجرى ظلامُه ... تَجلّى ظلامَ الموتِ عنّى ابتسامُها

ومثله قول جميل بن معمر

حلفتُ يمينًا يا بُثَينةُ صادقًا ... فإن كنتُ فيها كاذبًا لَعَميتُ

حلفتُ لها بالبُدْنِ تَدْمَى نحورُها ... لقد شَقِيَتْ نفسى بكم وعَنيتُ

فلو انّ جِلْدًا غير جلدكِ مسّنى ... وباشرنى دونَ الشعار شَرِيتُ

ولو انّ داعٍ منكِ يدعو جنازتى ... وكنتُ على أيدى الرجال حَيِيتُ

ومثله قول الاعشى

عَهْدِى بها فى الحىّ قد سُرْبِلَتْ ... صفراءَ مثلَ المُهْرةِ الضامرِ

لو اسندتْ مَيتًا الى نَحْرِها ... عاش ولم يُنقَل الى قابرِ

حتّى يقول الناسُ ممّا رأوْا ... يا عَجَبًا للمَيّتِ الناشرِ

قد حَجَمَ الثَدْىُ على نحرها في مُشرِقٍ ذى بَهجةٍ زاهِرِ

ومثله قول المجنون ايضا

ولو كنتُ اعمى أَخبطُ الارض بالعصا أصمَّ فنادتنى أَجبتُ المُناديَا

واشهد عند الله أنّى أُحِبُّها فهذا لها عندى فما عندها لِيَا

قال وسرق هذا المعنى جميل بن عبد الله بن معمر فقال

الا ليتنى اعمى اصمُّ تَقودُنى بُثَينةُ لا يَخفى علىّ كلامُهَا

فهؤلاء قد زعموا انّ كلام النساء يجلو العَمَى ويُسمِع الصُمَّ ويُحيِى المَيّت ويدفع المَوات ويَنشر القبور من قبل اوان النشور، وقد قال بعض الاعراب إنّ مِن كلام النساء ما يقوم مقامَ الماء فيرْوِى من الظماء، وقال اخر حلاوة نغم النساء فى الآذان ألذّ مِن مَوْقع الماء العذب من العطشان، وقال القُطامىّ فى مثل ذلك

٩٠ وفى الخدور غَماماتٌ برقنَ لنا حتّى تصيّدْنَنا من كلّ مُصطاد

فتلنَنا بحديثٍ ليس يعلمُهُ مَن يتّقِينَ ولا مكروهُهُ بَادى

وهنّ ينبذنَ من قولٍ يُصبْنَ به مَواقعَ الماء من ذى الغُلّة الصادى

وعمر بن ابى ربيعة يقول فى سُكَيْنة ابنة الحسين بن علىّ رضى الله عنهما

اسُكَيْنَ ما ماء الفُرات وبَرْدُهُ منّى على ظَمَأٍ وحُبِّ شَرابِ

بأحبّ منكِ وإن نأيتِ وقلّ ما ترعى النساء امانةَ الغُيّابِ

ولبعض المتأدّبين فى مثله

والله ما شَرْبةٌ من ماء غاديةٍ اذا ظَمِئتُ وكَرْبُ الموت يَغْشانى

ألذُّ من شربة من فيكِ أسمعُها تلك الشفاء لقلب الهائم العانى

ورُوِى انّ عمر بن ابى ربيعة قال أتتنى امرأتان فى ايّام غزلى فجعلتْ احداهما تُسرّ الىّ سرًّا والاخرى تعضّنى فما شعرتُ بعضّة هذه من لذّة سِرار هذه، ودخل كُثيّر على عبد الملك بن مروان فقال يا كُثيّر حدّثْنى ببعض اخبارِ جميل فقال نعم يا امير المؤمنين لقيتُ جميلا

ذات يوم فقال هل لك فى المسير معى نحو بُثينة قلتُ نعم فسايرتُه حتّى دنا من موضعها فقال تصير اليها فتُعلِمها بمكانى فصيتُ فأعلمتُها فاقبلتْ فى نسوة من الحىّ فلمّا رأينه انصرفن عنها وتنحّيتُ عنهما فلم يزالا من أوّل الليل الى ان رهقهما الصبح قائمَيْن فى اقدامهما فلمّا عزما على الافتراق قالت آدنُ منّى يا جميل فدنا منها فاسرّت اليه سرّا فخرّ مغشيّا عليه فما ايقظه الّا حرُّ الشمس فافاق وانشأ يقول

فما ماءُ مُزْنٍ من جبالٍ مُنيفةٍ ولا ما اكنّت فى معادنها النَحْلُ
بأشهى من القول الذى قلتِ بعدما تَمكّن فى حَيْزُوم ناقتِىَ الرَحْلُ

وقال جرير ايضا

ولقد رمينَك يومَ رُحْنَ بأعيُنٍ يقتلنَ من خَلَلِ الستور سواجِى
وبمنطقٍ شَغَفَ الفؤادَ كانّه عَسَلٌ يجُدنَ به بغير مِزاجِ

وقال الفرزدق ٩١

اذا هُنَّ ساقَطْنَ الحديثَ كانّه جَنَى النحلِ او أبكارُ كَرْمٍ تُقَطَّفُ
تراهنّ من فَرطِ الحياء كانّها مِراضُ سُلالٍ او هَوًى لك نُزَّفُ

وليس يمكن ان يكون ذلك عندهم كذلك، وقد رُوى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم من وجوهٍ شتّى بأحاديث صحّت عن الثقات ونُقِلت عن الرُواة اِنّ حبّك للشىء يُعمِى ويُصِمّ، وليس بعجب ما قال المجنون واشباهه من غلبة العشق عليهم وقد قال غيره اعظمَ ممّا قاله واقطع واجلّ ولقد رأينا وسمعنا وخبرنا انّ منهم مَن قتل نفسه غَرَقًا وذبحًا وخنقا كلُّ ذلك أَسَفًا وحَسرةً وتلهُّفا، فمن ذلك ما حُكى عن شيخ حضر مجلس العُتبىّ فاخبرهم انّه حضر مجلسا فيه قينة وفتى وكان الفتى يهوى القينة وكانت القينة تهوى ابنة الشيخ وابنة الشيخ تهوى الفتى فغنّت القينة

علامةُ ذُلِّ الهوى على العاشقين البُكا
ولا سيّما عاشقٌ اذا لم يَجِد مُشتكَى

فقال لها الفتى احسنتِ واللهِ يا ستّى اتأذنين لى ان اموت قالت مُتْ راشدا فوضع راسه على الوسادة وغمّض عينيه فحرّكناه فوجدناه ميّتًا قال الشيخ فخرجنا متحجّبين من ذلك وصرتُ الى منزلى فاعلمتُهم ما كان من قصّة الفتى ونظرتُ الى ابنتى وقد حاضرت فدخلتْ مجلسا لى فدخلتُ وراءها فاذا هى متوسّدة على مثال ما كان عليه الفتى فحركتُها فاذا هى ميّتة فغدونا بجنازتها وغدوا بجنازة الفتى فاذا بجنازة ثالثة فسألنا عنها فاذا هى جنازة القينة وبلغها موت ابنتى فصنعت مثل ذلك فماتت فدفنّا ثلاثة بموت واحد فى موضع واحد وهذا من عجيب ما سُمع به فى هذا الامر، ومن ذلك ما اخبرنى ابو العَيْناء

٦٢ قال حدّثنى عمرو بن بَحْر الجاحظ قال ذُكرتُ لأمير المؤمنين المتوكّل لتأديب ولده فلمّا نظر الىّ استبشع منظرى وامر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى فخرجتُ فلقيتُ محمّد بن ابراهيم وهو يريد الانحدار الى مدينة السلام فعرض علىّ الانحدار معه وقُرّبتْ حرّاقته ودعا بطعامه وشرابه ونصب ستارته وامر بالغناء فاندفعت عوّادة له تتغنّى

كلّ يوم قطيعةٌ وعتابُ ينقضى دهرنا ونحن غِضابُ
ليت شِعْرى انا خُصصتُ بهذا دون ذا الخَلق ام كذا الاحبابُ

ثمّ سكتت وامر طُنبُوريّة فغنّت

وا رَحمتى للعاشقينَا ما إن ارى لهُمْ مُعينَا
كم يُهجَرون ويُظلَمو نَ ويُقطَعون فيَصبِرُونَا
وتراهمُ ممّا بهمْ بين البريّة خاشعينَا
يَتجلّدون ويُظهِرو ن تجلُّدًا للشامتينَا

قالت لها العوّادة فيصنعون ما ذا قالت يصنعون هكذا وضربتْ بيدها على الستارة فهتكتْها وبرزت كانّها فِلقة قمر فزجّت بنفسها الى الماء قال وعلى رأس محمّدٍ غلام يضاهيها فى الجمال وبيده مُذَبّة فلمّا رآها وما صنعت القاها من يده واتى الى حيث رمت بنفسها فنظر اليها وهى

تمور بين الماء فانشأ يقول

أنـتِ التى غرّقـتـنـى   بعد القضا لو تعلمينا

وزجّ نفسه فى اثرهـا فادار الملّاح الحرّاقـة فاذا بهما معتنقين ثمّ غـاصا ولم يُريَا فهال ذلـك محمّدا واستفظعه وقال للجاحـظ يا عمرو لتحدّثنى بحديث يسكّن عنّى فعل هذَيْن والّا الحقتُك بهما قال الجاحظ فحضرنى خبر سليمان بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعُرضت عليه القصص فمرّت بـه قصّة فيها إن رأى امير المؤمنين اطـال الله بقاءه أن يُخرج الىّ فلانة يعنى جارية من جـواريـه حتّى تغنّينى ثلاثة اصوات فَعَلَ ٦٣ فاغتاظ من ذلـك سليمان وامر من يخرج اليه فيأتيه بـرأسه ثمّ اتبع الرسول برسول اخر فامر ان يُدخَل الرجل اليه فأُدخل فلمّا مثل الرجل بين يديه قال له ما الذى حملك عـلى ما صنعتَ قال الـثـقة بحلمك والاتّكال عـلى عفوك فامره بالقعود حتّى لم يبق احـد من بنى اميّة ثمّ امر فاخرجت الجارية ومعها عودها ثمّ قال له اختر قال له قُـل لها تغنّىْ بقول قيس بن المُلوَّح

تعلَّقَ روحى روحَها قبل خَلقِهَا   ومن بعد ما كُنّا نطافًا وفى المَهْدِ
فعاش كَـمـا عِشنا فاصبح ناميًا   وليس وإن مُتنا بمُنقصِب العَهْدِ
ولٰـكـنّـه باقٍ عـلى كلّ حـالـة   وسائرُنا فى ظُلمة الـقبـرِ واللَحْدِ
يكاد فضيضُ الماء يخدش جلدَها   اذا اغتسلت بالماء من رِقّة الجِلْدِ
وانّـى لـمُشتاقٌ الى ريـح جَيْبها   كما اشتاق إدريسٌ الى جنّة الخُـلْدِ

فغنّته فقال سليمان قُـل قال تأمر لى برطل فامر له برطل فشربه ثمّ قال تغنّىْ بقول جميل

عَلقتُ الهوى منها وليدًا فلم تَزَلْ   الى الـيـوم يَنمِى حُبُّها ويـزِيدُ
وأفنيتُ عُمرى بانْتظارى نوالَها   وأبلتْ بذاك الدهرَ وهو جَديدُ
فلا انا مردودٌ بما جئتُ طالبًا   ولا حُـبُّـهـا فيما يَبيدُ يَبيدُ
اذا قلتُ ما بى يا بُثَيْنةُ قاتلى   مِنَ الحبّ قالت ثابـتٌ ويـزِيدُ

ثمّ قال تغنّى بقول قيس بن ذريح

لقد كنتِ حَسْبَ النفس لو دام وُدُّها ولكنّما الدنيا متاعُ غُرورِ
وكُنّا جميعًا قبل ان يَظهر النوى بأحسن حالَى غِبْطةٍ وسُرورِ
فما برح الواشون حتّى بدت لنا بطونُ الهوى مقلوبةً لظُهورِ

فتغنّت فقال له قُلْ قال تأمر لى برطل فما استتمّه حتّى وثب الى أعلى قبّة سليمان ثمّ زجّ بنفسه على دماغه فمات فقال سليمان انّا للّه وانّا اليه راجعون اتُراه الجاهل ظنّ انّنى أُخرِجُ اليه جاريتى فأَرُدّها الى ملْكى خذوا بيدها فانطلقوا بها الى اهله إن كان له اهل والّا فبيعوها وتصدّقوا بها عنه فلمّا انطلقوا بها نظرت الى حفرة فى دار سليمان قد أُعِدّت
٦٤ للمطر فجذبت نفسها وانشأت تقول

مَن مات عِشقًا فليَمُتْ هكذا لا خيرَ فى العشق بلا مَوْتِ

وزجّت بنفسها فى الحفرة على دماغها فماتت فسُرّى عن محمّد واحسن صلة الجاحظ ۞

باب من مات من شدّة الفقد
وتضعضعت اعضاؤه من شدّة الوجد

حُكى لنا عن اسحاق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدىّ عن هشام بن حسّان قال حدّثنا رجل من بنى تميم قال خرجتُ فى طلب ناقة لى فوردتُ على ماء من مياه طىّء فاذا بعسكرَيْن احدهما قريب من الاخر واذا فى احد العسكرين شابّ مُدنَف قد نهكته العِلّة فهو كالشنّ البالى فدنوتُ لأعرف خبره فسمعتُه وهو يقول

الا ما للمَليحة لا تَعودُ أَبخلٌ بالمليحة ام صدودُ
مرِضتُ فعادنى اهلى جميعًا فما لكِ لا تُرَى فيمن يعودُ
فَقَدْتُكِ بينهم فتلفتُ شوقًا وفقدُ الالف يا سُكْنَى شديدُ
فلو كنتِ المريضَ لَجئتُ أَسْعَى اليكِ ولم يُنَهْنِهْنى القعودُ

قال فسمعتْ كلامه فبادرت نحوه ويدرنها النساء فتعكّفن بها فاحسّ بها فوثب مبادرا نحوها فحبسه الرجال فجعلت تجذب نفسها من النساء ويجذب نفسه من الرجال حتّى التقيا فاعتنقا وبكيا ثمّ شهقا فخرّا ميّتين فخرج شيخ من بعض الاخبية فوقف عليهما فاسترجع ثمّ قال رحمكما الله اما والله لقد كنتُ لم اجمع بينكما فى حياتكما لأجمعنّ بينكما بعد موتكما فامر بهما فكُفّنا فى كفن واحد ودُفنا فى قبر واحد فسألتُ عنهما فقال هذه بنتى وهذا ابن اخى بلغ بهما الحبّ ما ترى، ومن ذلك ايضا ما حُكى عن اسحاق الرافقىّ قال كنتُ فى مجلس بالرّقّة فى عدّة من الظرفاء وجماعة من القيان ومعنا فتى كأَهْيأَ مَن رايتُ من الفتيان وعليه اثرُ ذِلّةِ الهوى يُديم الانين ٩٥
والبكاء فتغنّت احداهنّ

إنّى لأُبغِض كلَّ مُصطَبِرٍ عن الْفه فى الوصل والهَجْرِ
أَلصبرُ يَحسُنُ فى مَواطنه ما للفتى المحزونِ والصَّبْرِ

فنظر اليها الفتى وتبادرت عبراتُه ثمّ وثب على قدميه ووضع يده على رأسه وقال

غدا يُكثر الباكون منّا ومنكمُ وتزداد دارى من دياركمُ بُعْدَا

ثمّ رمى بنفسه فسقط مجدّلا من قامته فوثبنا اليه فحملناه ميّتا، ومن ذلك ما حُكى عن جميل بن معمر العُذرىّ انّه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له يا جميل حدّثنى ببعض احاديث عُذرةَ فانّه يبلغنى انّهم اصحاب ادب وغزل قال نعم يا امير المؤمنين انّ آل بُثينةَ انتجعوا لحىّ وقطعوا بلدا اخر فخرجتُ اريدهم فغلطتُ الطريق وجنّنى الليل ولاحتْ لى نار فقصدتُها حتّى دنتْ ووردتُ على راعٍ فى اصل جبل قد لجأ غنمه الى كهف فى الجبل فسلّمتُ فردّ علىّ السلام وقال احسبُك قد ضللتَ الطريق قلت قد كان ذاك فأرشدنيه قال بل أنزل حتّى تُريح ظهرك وتبيت ليلتك فاذا اصبحتَ وقفتُك

على الطريق فنزلتُ فترحّب بى واكرمنى وعمد الى شاة فذبحها واجّج نارا وجعل يشوى ويُلقى بين يدىّ ويحدّثنى فى خلال ذلك ثمّ قام بإزار كان معه فقطع به جانب الخباء ومهّد لى جانبا وترك جانبا خاليًا فلمّا كان فى الليل سمعتُه يبكى ويشكو الى شخص كان معه فأرقتُ له ليلتى فلمّا اصبحتُ طلبت الاذن فأبى وقال الضيافة ثلاث فأقمتُ عنده وسألته عن اسمه ونسبته وحاله فانتسب لى فاذا هو من بنى عُذرة واشرافهم فقلت يا هذا وما الذى احلّك هذا الموضع فاخبرنى انّه
٦٦ يهوى ابنة عمّ له وتهواه وانّه خطبها الى ابيها فأبى أن يزوّجها منه لقِلّة ذات يده وانّه زوّجها رجلا من بنى كلاب فخرج بها عن الحىّ فاسكنها فى موضعه ذلك وانّه تنكّر ورضى ان يكون راعيًا له لتأتيه ابنة عمّه فتراه ويراها وجعل يشكو الىّ صبابته بها وشدّة عشقه لها حتّى اذا جنّنا الليل وحان وقت مجيئها جعل يتقلقل ويقوم ويقعد كالمتوقّع لها فأبطأت عن الوقت وغلبه الشوق فوثب قائما وانشأ يقول

ما بالُ مَيّةَ لا تأتى لعادتها   أهَاجَها طَرَبٌ ام صدّها شُغْلُ
لكنّ قلبِىَ لا يُلهيه غيرُهُمْ   حتّى المماتِ ولا لى غيرهمْ أَمَلُ
لو تعلمين الذى بى من فِراقكُم   لَمَا اعتذرْتِ ولا طالت لك العِلَلُ
روحى فداؤكِ قد هيّجتِ لى سَقَمًا   تكاد مِن حَرِّه الاعضاء تنفصلُ
لو أنّ غاديةً منه علىّ جَبَلٍ   لَزال وٱنهدّ عن اركانه الجَبَلُ

ثمّ قال يا اخا بنى عُذرة مكانَك حتّى اعود اليك فانّى اتوهّم انّ امرا عرض لابنة عمّى ثمّ مضى فغاب عن بصرى فلم يلبث أن اقبل وعلى يديه شىء محمول وقد علا شهيقُه ونحيبه فقال يا اخا بنى عُذرة هذه بنت عمّى ارادت ان تأتينى فاعترضها السَّبُع فاكلها ثمّ وضعها عن يده وقال على رِسْلك حتّى اعود اليك ومضى فابطأ حتّى ايستُ من رجوعه ثمّ اقبل ورأس الاسد على يده فوضعه وجعل ينكت على اسنانه وهو يقول

الا ايّها الليث المُحلّ بنفسه هُبلتَ لقد جرّت يداك لنا حزْنَا
وغادرْتَنى فَرْدًا وقد كنتُ آنِسًا وصيّرتَ بطن الارض ثمّ لنا سِجْنَا

ثمّ قال يا اخا بنى عُذرة انّك سترانى بين يديك مَيّتًا فاذا انا متُّ فاعمد الىّ والى بنت عمّى فأدرُجْنا فى كفن واحد واحفرْ لنا جدثًا واحدًا وادفنّا فيه واكتبْ على قبرى هذين البيتين

كُنّا على ظَهْرِها والعَيْشُ فى مَهَلٍ والعيشُ يجمعُنا والدارُ والوَطَنُ
ففرّق الدهرُ بالتشتيت أُلْفتَنا فاليومَ يجمعنا فى بطنها الكَفَنُ

ورُدَّ الغنمَ على صاحبها وأعلِمْه بقصّتنا ثمّ عمد الى خِناق فطرحه فى ٩٧
عنقه فناشدتُه الله ألّا يفعل فأبى وجعل يخنق نفسه حتّى سقط بين يدىّ ميّتًا فلمّا اصبحتُ كفّنتُه وابنةَ عمّه كما امرنى ودفنتُهما فى قبر واحد وكتبتُ البيتين على قبرهما ورددتُ الغنم على زوجها واعلمتُه بقصّته فجعل يأكل كفّيه اسفًا أن لا يكون جمع بينهما فى حياتهما فهذا وما اشبهه كثيرٌ جدًّا، ورُوى عن محمّد بن جعفر ابن الزُبير قال كنّا عند عروة بن الزبير وعنده رجل من بنى عُذرة فقال له عروة يا عُذرىّ بلغنى انّ فيكم رِقّةً وغزلا فأخبرْنى ببعض ذلك قال لقد خلّفتُ فى الحىّ ثمانين مريضا دَنفا عشقا ما بهم غير الحبّ قد خامر قلوبهمْ ۞

باب من وصف الحبّ ١٦
وما فيه من شدّة المرارة والكرب

واعلم انّ الحبّ معا فيه من المرارة والنكد وطول الحسرات والكمد مستعذَبٌ عند اربابه مستحسَنٌ عند اصحابه حُلْوٌ لا تَعدِله حلاوة ولا تَعدِله مرارة، قال الكُمَيْت بن زيد

الحبُّ فيه حلاوة ومرارةٌ سائلْ بذلك مَن تَطاعَمَ او ذُقِ
ما ذاق بُؤْسَ معيشةٍ ونعيمَها فيما مضى احدٌ اذا لم يَعشَقِ

وقال اخر

يا ايّها الدَنِفُ المعذَّبُ بالهوى | انّــى بأحـوالِ الهوى لَـعَـلـيـمُ
الحبُّ صاحِبُه يَبيتُ مسهَّدًا | ويَـطـيـر عـنـه فـؤاده ويـهـيـمُ
الحبُّ داءٌ قد تضمّن فى الحشا | بـين الجوانح والضلوع مُـقيمُ
الحبُّ لا يَخْفَى وإن أخفيتَهُ | انّ الـبكـاء على المُحبّ نَمُومُ
الـحـبّ فـيـه حلاوةٌ ومـرارةٌ | والحـبُّ فـيـه شـقـاوةٌ ونَعيمُ
الحبّ أهْوَنُ ما يكون مبرِّحٌ | والحبُّ أصغرُ ما يكون عَظيمُ

انشدنى احمد بن يحيى ثعلب

سَلْنى عنِ الحبّ يا مَن ليس يعرفُهُ | ما أطْيَبَ الحبَّ لولا انّه نَكَدُ
طَعْمانِ حُلْوٌ ومُرٌّ ليس يَعدِلُهُ | فى حَلْقِ ذائقهِ مُرٌّ ولا شُهْدُ ٦٨

وانشدنى ابراهيم بن محمّد الواسطىّ لنفسه

سَلْنى عـن الحـبّ فانّـى بـه | أعـلـمُ ذى وَطْءٍ عـلى نَـعْـلِ
طـعـمـانِ ضِـدّانِ فمُستعذَبٌ | وآخَـرٌ أشْـرَى مِـنَ الـقَـتْـلِ

ولبعض المتأنّيين ايضا فى مثله

سَلْنى عن الحبّ يا مَن ليس يعلمُهُ | عندى مِنَ الحبّ إن سايَلْتَمُ الخَبَرُ
أنا الذى بالهوى ما زلتُ مشتهرًا | لاقيتُ فيه الذى لم يَلقَهُ بَشَرُ
الـحـبُّ اوّله عـذبٌ مـذاقتَهُ | لكنّ آخِـرَه التنغيصُ والـكَـدَرُ
كـمْ تَيَّمَ الحبُّ اقـوامًا وذلّلهـمْ | وكم يَدٍ للهوى قد وارتِ الحُفَرُ

انشدنى ابن ابى الرَعْد

مَن كان لم يَدرِ ما حبٌّ وَصَفْتُ له | إن كان فى غَفْلةٍ او كان لم يَجِدِ
الـحـبُّ اوّله عـذبٌ وآخِـرُهُ | مثلُ الحَزازة بين القلبِ والكَبِدِ

انشدنى الوليد بن عُبيد البُحتُرىّ لابى العتاهية

أخِلّاىَ بى شَجْوٌ وليس بكُم شَجْوُ | وكُلُّ امرىءٍ ممّا بصاحبه خِلْوُ
أذابَ الهوى جسمى ولحمى وقوّتى | فلم يَبقَ إلّا الروحُ والجَسَدُ النضْوَ
رأيتُ الهوى جَمْرَ الغضا غيرَ انّه | على كلِّ حالٍ عند صاحبه حُلْوُ

وما من مُحِبٍّ نالَ ممّن يحبُّهُ هوًى صادقًا الّا سيَدْخُله زَهْوُ

قال وانشدنى ابن ابى الدُنيا

الحبُّ يَترك مَن احبَّ مُدلَّهًا حَيْرانَ او يَقضى عليه فيُسرِعُ

الحبُّ اهونُه ثقيلٌ فادحٌ يُهوِى الجليدَ مِن الرجال فيَصرَعُ

باب ما فى معرفة الهوى ١٧

وما كان اسمه فى البادية اوّلا

وأعلم انّ الهوى عندهم هو الهَوان الصُراح والبلاء المُتاح لانّه يُهين الكريم ويُذِلّ العزيز ويُذَلّه العاقل ويحطّ منزلةَ الشريف، وسُئلت اعرابيّة عن الهوى فقالت الهوى هو الهَوان وانّما غُلط بأسمه وأشتُقّ من طبعه ولن يعرف ما اقول الّا مَن ابكتْه المنازل والطلول وانشأت تقول . ٦٩

ليت الهوى لذوى الهوى لم يُخلَقِ بل ليت قلبى بالهوى لم يَعلَقِ

انّ الذى عَلِقَ الهوى بفؤاده كمنوّطٍ دون النساء مُعلَّقِ

لا يستطيعُ نزولَه لِشقائه لكنْ اليه كلُّ همٍّ يرتقى

انّ الهَوى لَهُوَ الهوانُ بعَيْنه ما ذاق طَعْمَ الذُلّ مَن لم يَعشَقِ

وأُنشدتُ لغيرها ايضا

انّ الهوانَ هُوَ الهوى نُقِصَ اسْمُهُ فاذا هَويتَ لقد لَقيتَ هوانَا

واذا هويتَ لقد تَعبَّدك الهوى فَأخضَعْ لِحُبّك كائنًا من كانَا

انشدنا ابو عبد الله الواسطىّ لنفسه

لم يَدرِ ما بؤسُ الحياة ولينُها الّا الذين مِنَ الهوى بمَكانِ

كم مِن عزيزٍ قد ألمّ به الهوى فأُقرّ بعد كرامةٍ بهوانِ

ليس الهوى الّا الهوانُ ونونُه نُقِصَتْ كفعْلِ الزُور والبُهْتانِ

لِينُ الحياة اذا نَظرتَ وبؤسُها بين الوصال وغُصّة الهِجْرانِ

ما العشقُ عندى بأختيارٍ انّما ذاك البلاءُ يُتاحُ للانسانِ

قال وانشدنى ابو العَيْناء

وما كَيِّسٌ فى الناس يُحْمَدُ رأيُهُ   فيُوجَد الّا وَهْو فى الحبّ أَحْمَقُ
وما من فتًى ما ذاق بؤسَ معيشةٍ   مِن الدهرِ الّا ذاقها حين يَعشَقُ ۞

١٨ باب ما سئل عنه اهل الصدق
من تمام خَلّات العشق

قال الاصمعىّ لأبى وائل الاضاخى ما تقول فى العشق فقال ان لم يكن عُصارةً من الشاجر فهو ضربٌ من الجنون وانشأ يقول

بقلبىَ شىءٌ لستُ أعرف وَصْفَهُ   على انّه ما كان فَهْوَ شديدُ
تمُرّ به الايّامُ تَسحَبُ ذَيْلَها   فتبْلَى به الايّامُ وَهْوَ جديدُ

لعمرى انّ بذلك ما وجب لهم الدعاء فصار مفترضًا على للادباء كالفرض اللازب والحقّ الواجب لجليلِ الخَطب وفادحِ الامر، اخبرنى احمد بن
٧٠ عُبيد قال اخبرنى الاصمعىّ قال رأيتُ ابا السائب المخزومىّ متعلّقا بأستار الكعبة وهو يقول اللهمّ ٱرحَم العاشقين وٱعطف عليهم قلوب المعشوقين بالرأفة والرحمة يا ارحم الراحمين فقلتُ يا ابا السائب افى هذا المقام تقول هذا المقال فقال اليك عنّى الدعاء لهم افضل من حَجّة بعُمرة ثمّ انشأ يقول

يا هَجْرُ كُفَّ عن الهوى ودَعِ الهوى   للعاشقين يَطيب يا هَجْرُ
ما ذا تريد مِن الذين جُفونُهُمْ   قَرْحَى وحَشْوُ صدورهمْ جَمْرُ
وسوابقُ العَبَرات فوق خدودِهِمْ   هَطْلًا تلوح كانّها القَطْرُ
صَرْعَى على جِسْر الهوى لِشقائهِمْ   بنُفوسِهم يتلاعبُ الدَهْرُ

قال وخُبّرتُ عن الاصمعىّ ايضا انّه قال رأيتُ جارية وهى تقول اللهمّ مالكَ يوم القضاء وخالقَ الارض والسماءِ ٱرحم اهل الهوى وٱستنقذهم من عظيم البلاء وٱعطف عليهم قلوبَ اودّائهم بالصفاء فانّك سميعُ النجوى قريبٌ لمن دعا ثم انشأت تقول

يا رَبِّ انّك ذو مَنٍّ ومَغفرةٍ   بَيِّتْ بعافيةٍ منك المُحبّينا

الذاكرين الهوى من بعد ما سَهِرُوا   حتّى يَظَلّوا على الأيدى مُكِبّينا

فقلت يا هذه اتغنّين وانت فى الطواف فقالت اليك عنّى لا يُرهقك الحبّ فقلتُ لها وما الحبّ وانا به اعرفُ منها فقالت جَلَّ لن يخفى ودَقّ عن ان يُرَى له كمون ككمون النار فى الحجر إن قدحته اوراك وان تركته توارى قال فتبعتُها حتّى عرفتُ منزلها فلمّا كان من الغد جاء مطر شديد فمررتُ ببابها وهى قاعدة مع اتراب لها زُهْرٍ يقلن لها لقد اضرّ بنا المطر ولولا ذلك لخرجنا الى الطواف فانشأت تقول

قالوا اضرّ بنا السحابُ بقطْره   لـمّـا رأَوه تـعـبْرتى يَحْكى

لا تَعجبوا ممّا ترون فانّما   هذا السحابُ لِرَحْمتى يَبْكى

وزعم قوم انّه لا ذنب على اهل الهوى ولا وِزر وانّ خطاياهم تُمحّص عنهم بطول بلائهم وكثرة زفراتهم وما لقوا من الشقاء بأودائهم ، واخبرنى ٧١
احمد بن يحيى عن عبد الله بن شبيب عن رجل ذكره قال كنتُ عند مالك بن انس فأتاه شابّ فقال انّى قد قلتُ ابياتا ذكرتُك فيها فأسمعها قال لا حاجة لى فيها فقال لى أُحبّ ان تفعل قال هات فقال

سَلُوا مالكَ المُفتِى عن اللهو والصِبَى   وحُبِّ الحِسان المُغْنِجات الفوارِكِ

يُخبّرْكم أنّى مُصيبٌ وانّما   أُسلّى همومَ النفس عنّى بذالك

فهل فى مُحِبّ يكتم الحبَّ والهوى   اثامٌ وهل فى ضَمّة المتهالِك

فسُرِّىَ عن مالك وقال لا ان شاء الله وكان ظنّ انّه هجاه ، اخبرنى احمد بن يحيى ثعلب عن عبد الله بن شبيب عن شيخ من عاملة قال مرّ ابن مَرْجانة الشاعر بسعيد بن المسيّب فقال هذا ابن مرجانة قالوا نعم قال هذا الذى يقول

سألتُ سعيد بن المسيّب مُفْتِىَ الـمدينة هل فى حُبّ دهماء من وِزْرِ

فقال سعيد بن المسيّب انّما   تُلام على ما تستطيع من الأمْرِ

والله ما سألنى انسان عن شىء من هذا ولو سألنى لأجبتُ ، قال وسئل شَريك بن عبد الله القاضى عن العُشّاق فقال اشدّهم

حبّا اعظمهم اجرا، وانشدنى محمّد بن يحيى لمُسْلِم

فـوالله ما ادرى وانّـى لسائـلٌ بمكّةَ أَهْلَ العلم هل فى الهوى وِزْرُ
وهل فى ٱكتحالِ العَيْنِ بالعين رِيبةٌ اذا ما ٱلتقى الإلْفانِ لا بلْ به أَجْرُ

وانشدنى ابراهيم الازدىّ لنفسه

ما العشقُ فى الأحرار مستنْكَرٌ وما على العاشق من وِزْرِ

قال وانشدنى الجمّاش

اذا قبّل الانسانُ انسانَ يشتهى ثناياه لم يأثَمْ وكان له أَجْرَا
فإن زاد زاد اللهُ فى حَسناته مثاقيلَ يَمحو اللهُ عنه بها وِزْرَا

وقال سائب راوية كُثيّر حضرتُ مع كثيّر عند ابن ابى عتيق فانشدنا ابيات ابن قيس الرُقيّات التى يقول فيها

خَبّرونى هل على رَجُلٍ عاشقٍ فى قُبْلةٍ حرَجُ ٧٣

فقال كثيّر لا ان شاء الله ونهض، وانشدنى علىّ بن العبّاس بن رومىّ

ايّها العاشقُ المعذَّبُ اصْبِرْ فخطيّاتُ ذى الهوى مغفورَهْ
زَفْرةٌ فى الهوى أحطُّ لِذَنْبٍ من غزاةٍ وحَجّةٍ مبرورَهْ

وقال المؤمّل واحسن والله فى قوله

صفْ للأحبّة ما لقيتُ من سَهَرٍ إنّ الاحبّة لا يدرون ما السَهَرُ
حَسْبُ المحبّين فى الدنيا عذابُهمُ واللهِ لا عذّبتْهمْ بعدها سَقَرُ

وقال الاصمعىّ رأيتُ جارية بالطواف وهى تقول

لن يَقبل اللهُ من معشوقةٍ عَمَلًا يومًا وعاشقُها حَيْرانُ مهجورُ
وليس يأجُرها فى قتل عاشقِها لكنّ عاشقَها لا شكّ مأجورُ

فقلت يا جارية الى هذا المقام اما حياءٌ فيردعك فانشأت تقول

بيضٌ أَوانسُ ما هممنَ بريبةٍ كظباء مكّةَ صَيْدُهنّ حَرَامُ
يُحْسَبن من لينِ الكلام زوانيًا ويَصُدّهنّ عن الخَنَى الإسلامُ

وقد قيل ايضا انّ قتيل الهوى لا قَوَدَ له وانّ دماء اهل الهوى تُبطل وتُهدَر، ومن ذلك ما حُكى عن ابن عبّاس انّه أُتى بشابّ محمول قد

صار كالشنّ البالى فقيل له أستشفِ الله لهذا المريض يابن عمّ رسول الله فقال له ابن عبّاس ما علّتك يا فتى فلم يُحِرْ اليه جوابًا ثمّ رفع رأسه وقال بلسان فصيح طليق

به لوعةٌ لو تَشتكى الصُّمّ مثلَها تفطّرتِ الصمُّ الصلابُ وخرّتِ
ولو قسَمَ اللهُ الذى بى من الهوى على كلّ نفسٍ حَظَّها ما أَبَلّتِ

ثمّ خفت خفتةً ثمّ فتح عينيه وهو يقول

بنا من جوى للحبّ المبرّح لوعةٌ تكاد لها نفسُ الشفيق تَذوبُ
ولكنّما أَبْقَى حُشاشةَ ما ترى على ما به عُودٌ هناك صَليبُ

فقال ابن عبّاس ممّن الرجل فقال من بنى عُذرة ثمّ شهق شهقةً فمات فقال ابن عبّاس لجلسائه هل رأيتم وجها اليَقَ ولسانا اذلق من هذا هذا والله قتيل الهوى لا قَوَدَ له ولا ديةَ والى الله ارغب فى العافية ممّا نرى، وانشد احمد بن يحيى ثعلب ٧٣

اذا هنّ ساقطنَ الحديثَ لذى الهوى سُقوطَ حصى المَرْجانِ من كفّ ناظمِ
رمَيْنَ فأصمينَ القلوبَ فما ترى دمًا سائلًا الّا جوًى فى الحيازمِ
فأىُّ دمٍ لو تعلمينَ جَنَيْتِه على الحُرّ جانٍ مثله غيرُ سالمِ
أَما أنّه لو كان غيرُكِ أَرقلَتْ اليه القنا بالمُرهَفات الصوارمِ
ولكنْ وبيتِ الله ما طلّ مُسلمًا كغُرِّ الثنايا واضحاتِ المَعاصمِ

وانشدنى ابو عبد الله الواسطىّ لنفسه

قَضى اللهُ فى القَتْلى قِصاصَ دمائهمْ ولكنْ دماءُ العاشقينَ جُبَارُ
تُطَلُّ دماءُ العاشقين وثأرُها لدى الحَدَقِ المَرضَى وذلك ثارُ

قال الاحوص بن محمّد الانصارىّ

ما تُذكَرُ الدهرَ لى سُعْدَى وان بَعُدَتْ الّا ترقرقَ ماءُ العَيْنِ فاطّردا
يا للرّجال لمقتولٍ بلا تِرَةٍ لا يأخذون له عقلًا ولا قَوَدا

وحدّثنى العَنَزىّ ابو علىّ عن الزبير بن بكّار عن محمّد بن عبد الله ابن مسلم بن جُندب عن ابيه قال خرجتُ مع ابى سفيان فلقينا

نسوةً ينظرن العقيق فيهنّ امرأةٌ حسناء العين فقال انى

الا يا عبادَ الله هذا اخوكمُ قتيلًا فهل فيكم به اليومَ ثائرُ
خُذُوا بِدَمِى ان مُتُّ كلَّ خَريدةٍ مريضةِ طَرْفِ العين والجفنُ ساحِرُ

قال فالتفتت الىّ امرأةٌ فقالت يا بُنىّ احتسبْ اباك واغتنمْ نُهْبَيك فانّ قتيلَنا لا يُودَى واسيرنا لا يُفدَى، وانشدنى احمد بن يحيى لجرير ابن الخَطَفى

هل فى الغوانى لِمَنْ قتّلنَ من قَوَدِ او من دياتٍ لِقَتْلَى الأعيُنِ الحُورِ
تَبيت ليلَك فى وَجدٍ تُخامِرُهُ كأنّ فى القلب اطرافَ المَساميرِ
ما كنتُ اوّلَ محزونٍ أضرّ به بَرْحُ الهوى وعذابٌ غيرُ تَفْتيرِ

وقال ايضا

٧٤ اذا كَحَلْنَ عيونًا غيرَ مُقْرِفةٍ رَيّشْنَ نَبْلًا لأصحابِ الصبى صُيُدَا
ما بالُ قَتْلاكِ لا تخشَيْن طائلَهمْ لم تَضْمَنى ديةً منهم ولا قَوَدَا

وقال عمر بن لَجأٍ

تَرَآتْ كى تَكيدَكَ أُمُّ عمرٍو وكَيْدُكَ بالتبرّج ما تَكيدُ
وكيف قتلتنى يا أُمَّ عمرٍو ولا قَوَدٌ عليكِ ولا حُدودُ

وقال اعرابىّ وما اساء

أقاتلَتى يا للرجال حبيبةٌ الىّ بلا جُرْمٍ لديها ولا ذَحْلِ
فقيمَ دماء العاشقين مُضاعةٌ بلا قَوَدٍ عند الحِسان ولا عَقْلِ

واحسن والله المؤمَّل حيث يقول

انّى قُتلتُ بلا جُرمٍ وقاتلَتى يا قومِ جاريةٌ فى طرفها حَوَرُ
لمّا رَمَتْ مُهجَتى قالت لِجارتها انّى قَتلتُ قتيلًا ما له خَطَرُ
قَتلتُ شاعرَ هذا الحىّ من مُضَرٍ فاللهُ يَعلم ما تَرضَى بذا مُضَرُ
شكوتُ ما بى الى هندٍ فما اكتَترتْ يا قلبَها أحديدٌ انت ام حَجَرُ
ان كنتِ جاهلةً بالحُبّ فانطلقى الى القبور ففيمَنْ حلّها عِبَرُ

وقد قيل ايضا انّ قتيل الهوى شهيدٌ على ذلك اجمع فاللهُ يَعلم

للادباء واهل العلم والظرف لموجود الاخبار ومُسنَد الآثار، حدّثنا قاسم الزُبَيْدىّ باسناد ذكره عن ابن عبّاس قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مَن تعشّق فعفّ فهو شهيد، وقال بشّار بن بُرد العُقيلىّ

قُرْبُ دارِ الحبيب قُرّةُ عينٍ   وكأنّ البعاد فى القلب ثُكْلُ
إنّ مَوْتَ الذى يموت مِنَ الحُبِّ عفيفًا له على الناس فَضْلُ

ولبعض المتأدّبين

ليتنى مُتُّ والهوى داء قلبى   إنّ مَيْتَ الهوى لَمَيْتٌ شهيدُ

ولقد احسن جميل حيث يقول

الا ليت شِعْرى هل أَبِيتَنّ ليلةً   بوادى القُرَى انّى اذًا لسَعيدُ
يقولون جاهِدْ يا جميلُ بغَزْوةٍ   واىَّ جِهادٍ غيرَهُنّ أُريدُ
لكلّ حديثٍ بينهنّ بشاشةٌ   وكلُّ قتيلٍ بينهنّ شهيدُ ٧٥

ومَلْحٌ الحَكَمىّ حيث يقول

ولقد كُنّا رُوِينا   عن سعيدٍ عن قتادَهْ
عن سعيدِ بنِ المسيَّبْ   أنّ سعدَ بنَ عُبادَهْ
قال مَن مات مُحِبًّا   فلَهُ أَجْرُ الشهادَهْ

وٱعلم بانّ العشق يَحسن بأهل العفّة والوفاء ويقبح بأهل العهر والخَنى مع انّ الهوى قد فسد وقلّ الوفاء وكثرت الخيانة والغدر واستعمل الناس فى العشق شيعا ليس من سُنّة الظرف ولا من اخلاق الظرفاء وذلك ان احدهم متى ظفر بحبيبه واصاب الغفلة من رقيبه لم يعفّ دون طلب المعنى فهذا فسادُ الحبّ ودمارُ العشق وبُطلانُ الهوى وتكديرُ الصفاء، انشدنى عبد الحميد الملطىّ

قد فَسَدَ الحبُّ وهان الهوى   وصار مَن يَعشق مستعْجِلَا
يريد انْ يَنكح احبابَه   من قبل ان يَسهر او يَنحَلَا

ولاحمد بن ابى فَنَنٍ فى مثل ذلك

انا لا أَبْدَى بغدرٍ ابدًا فاذا ما غَدرتْ لم أَتْرُكْ
واجدًا منها بديلًا مثلَ ما وَجَدَتْ منّى بديلًا لا تَشُكّْ
أَتُرانى أَقعُدُ الليلَ لها ساهرًا أَطلبُ وَصلًا قد هَلَكْ
وهْى فيما تشتهى لاهيةٌ متّ إنْ دارَ بهذَيْنِ فَلَكْ
كان للناس وفاءٌ مرّةً فأنقضى وانحلّتِ اليومَ التِكَكْ

وحدّثنى ابو العيناء قال حدّثنى الجاحظ قال كتب بعض الظرفاء الى مُلْك جارية ابى جعفر

يا مُلْكُ قد صرتُ الى خُطّةٍ وكنتُ فيها منك ذا ضَيْمِ
يلومنى الناسُ على حُبّكمْ والناس أَولَى فيكِ باللَوْمِ

فكتبت اليه

إن تكنِ الغُلْمةُ هاجتْ بكمْ فسَكّنِ الغُلمةَ بالصَوْمِ
٧٩ ليس بك الشوقُ ولٰكنّما تَدورُ من هذا على الكَوْمِ

وأعلم انّ العشق لا يكون مع الفسق ومتى مازج العشقَ الفسقُ ضعُفت قُواه وانقصمت عُراه وهم لا يريدون غيرَ الرفث ويسمّونه مَسامير الحبّ، وزعموا انّ اسباب الحبّ لا تتّصل الّا به ولا يزال مُنْحَلًّا حتّى يشدّها ذلك وينشدون

العشق داءٌ دَوِىٌّ لا دواء له الّا العناقُ وافشاءُ السَريرات
وليس يلتذّ طيبُ العيش من احد الّا بعَضّك او رَشْف الثنيّات
ووَضْعك الصدرَ فوق الصدر تجمعُهُ ضَمًّا اليك على ظَهْرِ الحَشيّات

وينشدون ايضا فى مثل ذلك

رأيتُ الحبَّ ليس له دواءٌ سِوَى وَضْعِ البطونِ على البُطُونِ
والصاقِ الثنايا بالثنايا وأَخْذٍ بالمناكب والقُرونِ

وقد ناظرتُ بعضهم مرّةً من المِرَر فاحتجّ بخبر ابن عبّاس عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فاحتجّوا بظاهر الخبر ولم يَفحصوا عن التأويل وهذا خلاف ما يفعل اهل الظرف والادب وغير هذا جاء عن العرب،

وقد بلغنى عن الاصمعىّ انّه قال قلتُ لاعرابىّ مرّةً ما العشق فيكم قال النظرة بعد النظرة وان كانت القُبلة بعد القُبلة فهو الوصول الى الجنّة فقلت ليس العشق عندنا كذلك قال فما هو عندكم قلت تَفرق بين رجليها وتَحمل نفسك عليها فقال بأبى انت لستَ بعاشق انّما انت طالب ولد ❁

١٩ باب ما جاء فيمن تعفّف فى محبّته ورعى عقود عهود مودّته

وما وجدنا احدا من العرب يفعل ذلك ولا صمد نحوه وقد كان الواحد منهم يعشق من اوّل دهره الى اخره لا يحاول فسقا ولا يَقرب رفثا ولم يكن لهم مُراد الّا فى النظر ولا حظّ فى غير الاجتماع والمؤانسة والحديث والشعر كما قال الفرزدق

وجدتُ الحبَّ لا يشفيه الّا لقاءٌ يقتل العَلَلَ النِهالا
أُحبُّ مِنَ النساء وهنّ شتّى حديثَ النَزْرِ والحَدَقَ الكِلالا ٧٧
مَواقِعَ لِلحَرام وكلِّ نَحْسٍ وتُبدِلُ ما يكون لها حَلالا

وكان الواحد منهم اذا تعلّق خُلّةً لم يفارقها حتّى الممات ولم يشغل قلبه بغيرها ولم يهمّ بالسلوّ عنها وقصر طرفه عن من سواها وكذلك هى ايضا كانت له بتلك المنزلة فأيّهما هلك قبل صاحبه قتل الاخر نفسه فى اثره او عاش حافظا لودّه قائما بعهده لا ينسى ذكره ولا يصل غيره فاستحسن الناسُ المَلَل والاستبدال والغدر والانتقال وصار اشدّهم ظرفًا واحسنهم الفا يتعشّق السنين الكثيرة والدهور الطويلة ويتوهّم بفعله انّه عاشق فاذا فقد حبيبه يوما واحدا استبدل به سواه، وينشدون فى ذلك

افْخَرْ بِآخِرِ مَن بَليتَ بحبّه لا خيرَ فى حُبِّ الحبيب الاوّل
أَتَشُكُّ فى انّ النبىّ محمّدًا ساد البريّةَ وَهْوَ آخِرُ مُرسَلِ

وانا ابرأ الى الله ان يكون هذا من شعر ظريف او من فعل حصيف ولكن قد احسن ابو تمّام الطائىّ حيث يقول

البَينُ جرّعنى نَقيعَ الحَنظَلِ والبينُ اثكلنى وإن لم أُثكَلِ
ما حَسْرتى أن كِدتُ أَقضى انّما حَسَراتُ نفسى أنّنى لم أفعَلِ
نَقِّلْ فؤادَك حيث شئتَ من الهوى ما الحبّ الّا للحبيب الاوّلِ
كم منزلٍ فى الارض يألَفُه الفتى وحنينُه ابدًا لأوّلِ منزِلِ

على انّه ليس التنقّل من حبيبٍ اوّلٍ الى حبيب ثانٍ بحَسَن وانّما الحبّ ما اقام عليه القلب فلم يجد التخلّص منه الى غيره كما قال جرير

أخالدَ قد هَوِيتُك بعد هِنْدٍ فشيّبَنى الخوالدُ والهُنودُ
هَوًى بتهامةٍ وهوًى بنَجدٍ فتُبْلِينى التهائمُ والنُجودُ

ولا كقوله ايضا

أُحِبّ ثَرى نجدٍ وبالغَوْر حاجةٌ فغارَ الهوى يا عبدَ قيسٍ وأنجَدا

٧٨ ولا كقول الاخر

انّى سأُبدِى للحبّ فيما أُبدِى لى شَجَنانِ شَجَنٌ بنَجْدِ
وشَجَنٌ لى ببلادِ الهِنْدِ ، ولا كقولك الاخر

هوًى بالغور لى وهوًى بنجد فما ادرى أأُنجِدُ ام أُغورُ
بكلّ حاجةٌ وهوًى مُقيمٌ بقلبك قد تضمّنه الضميرُ
بشَرْقِيِّ العراقِ بباب عمرٍو وبالغَوْرَيْنِ زينبُ والقَدورُ

هذا والله من الفاظ الشعر اسمج جدًّا وقد كذب هؤلاء وادّعوا وجدًا وهل يجتمع وجدانِ فى موضع ولكن قد احسن جميل حيث يقول

وقلتُ لنِسْوانٍ تعرّضن دونَها اليكنّ إنّى غيركنّ أُريدُ

وحيث قال ايضا

وكم من بديلٍ قد وجدنا وطُرْفةٍ فتأبَى علىّ النفسَ تلك الطرائفُ

فهذا هو الصادق الهوى الخالص الوفاء لا جريرٌ وصاحبه ولا الذى يقول

أَرَى ذا فأَهواهُ وأُبصر غيرَهُ فأَترك ذا ثمّ أَستَبِدّ بذا عِشْقا
ثمانون لى فى كلّ يومٍ أُحِبّهمْ وما فى فؤادى واحدٌ منهمُ يَبْقى

تقبح الله هذا اللفظ لفظًا ولا أُعطِىَ قائلُه حظًّا فليس من شعرِ وامق بل هو من فعل مماذق ولا والله ما التنقّل من شأن الادباء ولا الاستبدال من فعل الظرفاء وانّما الهوى ما حسُن سريرتُه وهيهات أَنّ ذوو الوِداد الخالص والصفاء الدائم والحبّ اللازم وذوو الحفاظ ورُعاة العهود والمتمسّكون بالوفاء والراغبون فى صحيح الاخاء اليك فقد تنقّضتْ وثائق الحبّ وانقصمت عُرَى الهوى وتقطّعت اسباب العشق وتكدّر صافى المودّة ، والناس كما قال الشاعر

قَلّ الثقاتُ فما أَدرى بمن أَثِقُ لم يَبْقَ فى الناس الّا الزُورُ والمَلَقُ

وانّ الغدر فى النساء طبعٌ والمطل منهنّ غريزة وهو فى النساء اكثر ٧٩
منه فى الرجال، فقد انشدنى بعض الادباء

وكُنّا جعلنا اللهَ شاهدَ بَيْننا وفى الله بينُ المسلمين شهيدُ
فخُنْتِ بعهد الله لو تعلمينه وفيكنّ مَن ليست لهنّ عُهودُ

واعلم انّهنّ لا عهود لهنّ ولا وفاء لمحبّهنّ ولا دوام لودّهنّ وانّ اقبح ما رُوِى من غدرهنّ ما حدّثنيه ابن ابى خيثمة عن شيوخه انّ عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل كانت عند ابن ابى بكر الصدّيق رضى الله عنه فاحبّها حبّا شديدا شغلته عن تجارته فامره ابو بكر فطلّقها ثمّ اطّلع عليه وهو يقول

فلم أَرَ مثلى طلّق اليومَ مثلَها ولا مثلُها فى غير جُرمٍ تُطَلَّقُ
لها خُلُقٌ سهلٌ وحُسنٌ ومَنصِبٌ وخَلْقٌ سَوِىٌّ ما يُعاب ومَنطِقُ
أَعاتكَ قلبى كلّ يومٍ وليلةٍ اليكِ بما تُخفى النفوسُ معلّقُ
أَعاتكَ لا أَنساكِ ما حجّ راكبٌ وما لاح نجمٌ فى السماء محلّقُ

فرقّ عليه ابو بكر وامره فراجعها فقال لمّا رجعت اليه

أَعاتكَ قد طُلِّقتِ مِن غير بِغْضةٍ ورُوجِعتِ للأمر الذى هو كائنُ

كـذلـك امرُ اللهِ غـادٍ ورائحٌ   عـلى الناس فيـه أُلفةٌ وتَبايُنُ
وما زال قلبى لـلـتـفـرُّق بائنٌ   فقلبى لِما قد قرّب اللهُ ساكنُ
لِيَهْنِكِ أنّى لم أَجِدْ منك سخطةً   وأنّك قد جُلّت عليك المَحاسنُ
وأنّـكِ ممّن زيّـن اللهُ امـرَهـا   وليس لِما قد زيّن اللهُ شائنُ

فلم تزل عنده حتّى قُتِل يوم الطائف رُمِى بسهم فمات فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

أ آليتُ لا تنفكّ عينى حزينـةً   عليكَ ولا ينفكّ جِلدِى أَغْبَرا
فللّه عَيْنَا مَـن رأى مثلَه فتًى   اشـدَّ وأحمى فى الهياج واصْبَرَا
اذا شَرَعَتْ فيه الاسنّةُ خاضَها   الى الموت حتّى يَترك الرمحَ أشقرا

ثمّ خطبها عمر بن الخطّاب فتزوّجها فأولم عليها ودعا اصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال فقال له علىّ بن ابى طالب اِيذَنْ لى لأُدخل
٨٠ رأسى الى عاتكة أُكلّمها قال آفعلْ فادخل رأسه اليها فقال يا عُدَيَّةَ نفسها اهكذا كان قولك

أ آليتُ لا تنفكّ عينى سخينةً   عليك ولا ينفكّ جلدِى اغبَرَا

فبكت فقال له عمر ما دعاك الى هذا يا ابا الحسن فغفر الله لك انّهنّ يفعلن هذا قال اردتُ ان أُعلمها انّها لا عهدَ لهنّ فكثت عنده حتّى قُتل عنها قتله ابو لؤلؤة فقالت ترثيه

عـيـنِ جُـودِى بعَبْرةٍ ونحيبِ   لا تَمَلّى على الامير النَجيبِ
فَجَعَتْنى الـمَنُونَ بالفارس الـمُعْـلَمِ يومَ الـهـيـاجِ والتـأْنيبِ
عصمةُ اللهِ والمُعينُ على الـدَهْـرِ غـيـاثُ الملـهـوفِ والمكروبِ
قُـلْ لأهـل البأساء والضرِّ مُوتُوا   قـد سَقَـتْـه المَنونُ أُمَّ الرَّقوبِ

ثمّ تزوّجها الزبير بن العوّام فكثت عنده حتّى قُتل عنها منصرفا من الجمل بوادى السباع قتله ابن جُرْمُوز فرثته وفيه تقول

غَدَرَ ابن جُـرْمـوزٍ بفارسِ بُهمةٍ   يـومَ اللقاء وكان غـيـرَ مُـعَـرِّدِ
يا عمرُو لو نـبّـهـتَـه لَـوَجـدْتَـهُ   لا طائشًا رَعِشَ الجَنانِ ولا اليدِ

ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ إِن قَتَلْتَ لَمُسْلِمًا حلَّتْ عليكَ عقوبةُ المتعمِّدِ

فخطبها علىّ بن ابى طالب فبعثت اليه انّى لأضنّ بك عن القتل وانّما استحيَيْتُ فامتنعتْ وقد تزوّجت بٱثنين من بعد قولها

آليتُ لا تنفكّ عينى سخينةً عليك ولا ينفكّ جلدى اغبرَا

قال وحدّثنى ابو الفضل الرَبَعىّ قال حدّثنى ابو ربيعة العامرىّ الكوفىّ قال حدثنى علىّ بن عمرو الانصارىّ قال دخلت المُدِلّة البكريّة زوجة المغيرة بن ابى ضِمام البكرىّ وكان يحبّها حبّا شديدا على المغيرة بن ابى عَقيل تخاصم فى بعض امورها فلمّا خرجت المدلّة قال انتِ الذى يقول فيكِ المعذِّل

قل للمُدِلّة طال ذا التعديدُ فدَعِ التعلُّلَ والمِطالَ قليلَا

ويزيدها حَلْىُ النساء مَلاحةً ويزيد ذلك بعضهنّ خُبُولَا

قالت نعم قال فلِمَ تزوّجتِ بعده أُفّ لكنّ قالت أَتنصِفُ ما ٨٥ كنتُ بديًّا وما كنتُ بنبيًّا فضحك منها وامرها بالانصراف، ورُوِى ان امرأة من نساء العرب تزوّجت رجلا من خَثْعَم فوجد كلّ واحد منهما بصاحبه وجدا شديدا وانّهما تحالفا ان لا يتزوّج احدهما بعد صاحبه فمات قبلها فتزوّجت فلامها بعض اهلها وقالوا اين ما كنتِ تَجِدين به فانشأت تقول

وقد كان حُبّى ذاك حبًّا مبرِّحًا وحبّى لِذا اذ مات ذاك شديدُ

وكان هوایَ عند ذاك صَبابةً وحبّى لِذا طُولَ الحياة يَزيدُ

فلمّا مضى عادتْ لهذا مودّتى كذاك الهوى بعد الذهاب يَعودُ

وقال صالح بن حسّان لمّا احتُضِرَ حسن بن الحسن بن علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه كانت فاطمة بنت حسن بن علىّ جالسة عند رأسه تبكى فقال ما يُبكيكِ قالت على فراقك ابنَ عمّ قال مَهْ ما صنعتِ فايّاكِ ان تنكحى عبد الله بن عمرو بن عثمان وقد علم انّ احدًا لا يجترئ على خِطبتها غيره قالت ما كنتُ لِأفعل وهلك وله منها

عبد الله بن حسن وابراهيم بن حسن فلمّا انقضت عدّتها دعت مولاةً لها يقال لها زِبر فقالت ايتى عبد الله بن عمرو فقولى له أَعِرْنا بَغْلتك الشهباء برحالتها فانّى قد ارَدتُ ان اصير الى بعض اموال ولدى بالعالية فأتته فقال يا زِبرُ الَّوْ كان لى الى مولاتك سبيل آرحلوا لها البغلة فلمّا جاءت قالت هل لقيتيه قالت نعم قالت فما قال لك قالت قال لو كان الى مولاتك سبيل قالت ويلك واين المذهب عنه فرجعت زبير فدخلت عليه واعلمته فارسل اليها فخطبها فتزوّجته وولدت له الهيثم ومحمّدا ورُقَيّة وكان لها من الحسن ثلاثة ومن عبد الله ثلاثة، ورُوى عن سِماك بن حَرْب انّه قال كانت العرب تقول لم تُنْهَ امرأة قطّ عن رجل الّا تزوّجته، وقال ابن عبّاس حدثنى شيخ من بنى ضبّة قال كان رجل منّا ظريفا شريفا احتضر فبينما هو يجود
٨٢ بنفسه وبُنَىٌّ له يسمّى مَعْمَر يدبّ بين يديه فنظر اليه وبكى ثمّ التفت الى امرأته فقال يا هذه

انىّ لأخشى أن اموت فتنكحى ويُقذَف فى ايدى المَراضِعِ مَعمَرُ
فحالت سُتُورٌ بعده ووليدةٌ وأشغَلَهم عنه نُحورٌ ومِجمَرُ

قالت ما كنتُ فاعلةً قال الشيخ فوالله ما انقضت عنها عدّتها حتّى تزوجت بشابٍّ من الحىّ ورأيتُ مَعمَرًا كما وصف، قال وانشدنى بعض الشعراء

انّ مَن غرّه النساء بشىء بعد هند لَجاهلٌ مغرورُ
كُلُّ أُنْثى وإن بَدَا لك منها غايةُ الحُبّ حبُّها خَيْتَعورُ

وانّ الوفاء فيهنّ عزيز غيرُ موجود ووالله لئن كان كذاك وعُرِفن بذاك ففى الرجال مَن هو اكثر منهنّ غدرًا واسرع منهنّ ختراً واسمح منهنّ تنقّلا واقبح منهنّ تبدّلا، خُبّرتُ عن الاصمعىّ قال كان رجل من الاعراب يُظهِر الوجد لامرأته والحبّ لها وكانت تُظهِر له مثل ذلك فتعاهدا ألّا يتزوّج منهما الباقى بعد صاحبه فاخترمت المرأة قبله

فخطب الرجل امرأةً من يومه ذلك فقيل له أتخطب بعد يمينك وعهدك فقال

خطبتُ كما لو كنتُ قد مُتُّ قبلها لكانت بلا شكٍّ لأوّل خاطبِ
اذا غاب بَعْلٌ كان بعلٌ مكانَهُ ولا بُدّ من آتٍ وآخَرَ ذاهبِ

وخُبّرتُ انّ بعض ولاة العهود كانت له جارية فكان يُظهِر الميل اليها والاستهتار بحبّها وكان يقول لها اذا افضت الخلافة اليه ان يفضّلها على نسائه ويقدّمها فى البِرّ والكرامة عليهنّ فلمّا بلغ من ذلك امله جفاها واطّرحها وقلاها فكتبت اليه

ايـن ذاك الـوُدُّ والـقَـبـولُ واين مـا كنتَ لـنـا تقولُ

فكتب اليها

قد قال فى أشعاره لَبيدُ يـا حبّذا الطارفُ والتّليدُ

فعلمت أنّه لا حاجةَ له فيها فهذا فى القبح يتجاوز غدر النساء ويعلو على كثير من جنايات الاماء وانهنّ والله على ما فيهنّ من الغدر والخيانة والشرّ لربّما عشقن فاشتهرن ووفين فاحسنّ وانّ من حُسن ما ٨٣
بلغ من وفائهنّ ما صنعته ابنة الفَرافصة مع عثمان بن عفّان رضى الله عنه وكان من قصّتها انّ سعيد بن العاص تزوّج هند ابنة الفَرافِصة بن الأَحْوَص بن عمرو بن ثعلبة بن الحرث بن حِصْن بن ضمضم بن عدىّ بن جناب الكلبيّة فبلغ ذلك عثمان بن عفّان فكتب الى سعيد امّا بعدُ فقد بلغنى انّك تزوّجت امرأةً من كلب فاكتب الىّ بنسبها وجمالها فكتب اليه سعيد امّا بعدُ امّا نسبها فهى ابنة الفَرافِصة بن الاحوص وامّا جمالها فبيضاء مديدة والسلام فكتب اليه عثمان إن كانت لها اخت فزوّجْنيها فبعث سعيد الى ابيها فخطب اليه احدى بناته على عثمان فقال الفَرافصة لابن له يُدعَى ضَبًّا وكان قد اسلم وابوه نصرانىّ يا بُنىّ زوّجْ عثمان بن عفّان اختك فزوّجه فلمّا اراد حملها قال لها ابوها اى بُنيّةِ انّك

ستتقدمين على نساء قريش وهنّ اقدر على الطيب منك فأحفظى عنّى اثنتين تكحّلى وتطيبى بالماء حتّى تكون ريحك كريح الشباب المطهّرين فلمّا حُملتْ شقّ عليها الغُربة واشتاقت الى اهلها فقالت

ألستَ ترى يا ضَبُّ بالله انّنى مُصاحِبةٌ نحو المدينة أَركُبَا
اذا قطعوا خَرْقًا تَخِبُّ رِكابُها كما زعزعت ريحٌ يراعًا مقصَّبَا
لقد كان فى ابناء حِصْنِ بن ضَمضَمٍ نك الويلُ ما يُغنِى الخباءَ المطنَّبَا

فلمّا قدمت على عثمان بن عفّان قعد على سرير والقى لها سريرا حياله فجلست عليه ورفع العمامة عن رأسه فبدا الصلع فقال يأبنة القَرافصة لا يهولنّك ما ترين من الصلع فانّ من ورائه ما تحبّين قالت انّى لَمِن نسوةٍ احبُّ بعولتهنّ اليهنّ الكهول البيض السادة فقال امّا ان تقومين الىّ وامّا ان اقوم اليك فقالت ما تجشّمتُ من كراهة جنبات السماوة ابعدُ ممّا بينى وبينك ثمّ قامت اليه فجلست الى
٨٤ جانبه فمسح رأسها ودعا بالبركة وقال أطرحى عنك خمارك فطرحته ثمّ قال أخلعى درعك فخلعته ثمّ قال حُلّى ازارك فقالت ذاك اليك فحلّه فكانت من احظى نسائه عنده فلمّا كان يوم الدار اهوى رجل الى عثمان بالسيف فالقت نفسها عليه فضرب عجيزتها وكانت من اعظم النساء عجيزةً فقالت اشهد انّك فاسق لم تأتِ غضبًا لله ولا لرسوله فاهوى اليها بالسيف ليضربها فاتّقته بيدها فقطع اصبعَين من اصابعها فلمّا قُتل عثمان قالت فيه ترثيه

ألا انّ خير النلس بعد نبيّه قتيلُ التَّجُوبِيِّ الذى جاء من مصْرِ
وما لِىَ لا أَبكِى وتَبكِي قَرابتى وقد ذهبتْ عنّا فضولُ ابى عَمْرِو

فبعث معاوية بعد ذلك يخطبها فنزعت ثنيّتَيْها العُليا وقالت أذات عَروس هذا فهذا والله حَسَنٌ من وفاء النساء وقد تقدّم ذكر جماعة من اهل الوفاء اللاتى قتلن انفسهنّ فى اثر متعشّقيهنّ اغنى عن كثير من اخبارهنّ ، وقد رُوى ايضا عن ابى حَدردٍ الاسلمىّ قال نشأ

فينا غلام يقال له عبد الله بن علقمة فعلق جارية منّا يقال لها حُبيشة لم تكن من فخذه وكان يتحدّث اليها كثيرا فخرج ذات يوم من عندها فنظر الى ظبية على رابية فالتفت الى امّه وهو يقول

يا أُمَّتِى خَبِّرِينى غيرَ كاذِبَةٍ   وما يريد مَسُولُ الخُبْرِ بالكَذِبِ
حُبَيْشُ احسن ام ظَبْىٌ برابِيَةٍ   لا بل حُبيشةُ من ظبيٍ ومن ذَهَبِ

ثمّ انصرف من عندها مرّة اخرى فاصابته السماء فانشأ يقول

وما أَدرى اذا ابصرتُ يومًا   أَصَوْبُ القَطْرِ احسنُ ام حُبَيْشُ
حُبيشةُ والذى خَلَقَ الهدايا   على أَنْ ليس عند حُبيشَ عَيْشُ

فلمّا سمع بذلك قومه قالوا لامّه هذا غلام يتيمٌ لا مال عنده وآل تلك يرغبون عنكم فأَنظرى له بعض نساء قومه لعلّه يسلَى عنها فزوّجته جارية ذات جمال وكمال وزيّنتها باحسن زينة واقامتها بين يديه فلمّا نظر اليها قال مرعًى ولا كالسعدان فذهبت كلمته مثلا والسعدان نبتٌ يرعاه ابل الملوك فعلموا انّه لا ينصرف عن هواها فتواعدوا حُبيشة وقالوا اذا جاء فأَعرضى عنه وتجهّميه بالكلام رجاءَ أن ينصرف بعض الانصراف فلمّا رآها لم تستطع ان تفعل ما أُمرت به غيرَ انّها جعلت تنظر اليه وتبكى فعلم بقصّتها فانصرف وهو يقول

وما كان حُبّى عن نَوالٍ بَذَلْتِه   فليس بمُسْليه التجهُّمُ والهَجْرُ
سِوَى أَنّ دائِى منك داءُ مودّةٍ   قديمًا ولم يُمزَجْ كما مُزِجَ الخَمْرُ
وما أَنْسَ مِلْأَشياء لا انسَ دمْعَها   ونَظْرتَها حتّى يُغَيِّبَنى القَبْرُ

ثمّ مكثا على حالهما وطول وجدهما الى ان وافتهما خيل خالد بن الوليد يوم الغُمَيصاء فأُخذا فيمن أُخذ من الاسرى فأُوثقا رِباطا وهذا حديث مشتهر قد رواه محمّد بن حُميد الخراسانىّ عن سلمة بن الفضل عن محمّد بن اسحاق وحكاه المدائنى عن يعقوب بن عُتبة ابن المغيرة الثقفىّ عن محمّد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ عن ابى

حدرد الاسلمىّ عن ابيه قال كنتُ يوم الغميصاء وهو يوم بنى جَذِيمة فى خيل خالد بن الوليد المخزومىّ حين وجّهه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقتل واسر فقال لى فتًى منهم وقد جُمعت يداه الى عنقه ونسوة مجتمعات غير بعيد منه يا فتى هل انت آخِذٌ برمام ناقتى فقائدى الى هؤلاء النسوة فأقضى اليهنّ حاجة ثمّ ترى بعد ذلك ما بدا لك قلتُ يسيرٌ ما سألت فالحقته بهنّ فوقف عليهنّ فقال أسْلمى حُبيش على نفاد العيش قالت وانت فأسْلم سعيت سقاك ربّى الغيث ثمّ قالت وانت فحُيّيتَ عَشْرًا وسَبْعًا وِتْرًا وثمانيًا تَتْرًا فقال الفتى

أَرَيْتِك ان طالبتُكم فوجدتُكم   بحَلْيَةَ او أَلْفَيْتُكم بالخوانق
الم يك حقًّا أن يُنوَّل عاشقٌ   يُكلِّفُ ادلاجَ السُرى والودائق
فلا ذَنْبَ لى قد قلتُ اذ نحن جيرةٌ   أثيبى بوُدٍّ قبل احدى الصفائق
أثيبى بوُدٍّ قبل ان يَشْحَطَ النَوى   ويَنْأَى عدوٌّ بالمُحِبّ المُفارِق
٨٦ فانّىَ ما ضَيّعتُ سِرّ أمانة   ولا راقَ عينى بعد وجهك رائقُ
على انّ ما نال العشيرةَ شاغلٌ   عن الوُدِّ الّا أن يكون التوامُقُ

ثمّ بكى وبكت ثمّ انشأ يقول

فان يقتلونى يا حُبَيشُ فلم يَدَعْ   هواكِ لهم منّى سِوَى غُلّة الصَدْرِ
وانت التى أَحلَلْتِ جِلْدى على دَمى   وعَظْمى وأَسبَلْتِ الدموعَ على النَحْرِ

ثمّ انصرفتُ به فضربتُ عنقه فنظرتْ اليه فاقبلت حتّى اكبّت عليه، وقد فعلت ايضا مثل ذلك عفراء بنت عِقال بعروة بن حِزام لمّا بلغها موته استأذنت من زوجها فى زيارة قبره فخرجت فى نسوة لها حتّى وردت قبره فلمّا رأته من بعيد صرخت ثمّ دنت فرمت بنفسها عن راحلتها ثمّ جعلت تبكى وتنشهق الى ان خمد صوتها فدنوا منها فوجدوها ميّتة فدُفنت الى جانبه، وروى الاصمعىّ ايضا قال خرجتُ اريد بعض احياء العرب فجنّنى الليل وبتُّ فى جَبّان وتوسّدتُ قبرًا فسمعتُ فى الليل من القبر قائلا يقول

أَنْعَمَ اللهُ بالخَيالَيْنِ عينًا وبمَسْراكِ يا سُعادُ إلَيْنا
وَحْشَةٌ ما لقيتُ من خَلَلِ القَبْرِ عَسَى ان أراكِ او ان تَرَيْنَا

فأرقتُ له ليلتى فلمّا اصبحت دخلت للحىّ فاذا بجنازة قد أُقبل بها فسألتُ عنها فقيل هذه سُعادُ كانت تحبّ ابن عمّ لها وانّهما تعاقدا على الوفاء فهلك قبلها فلم تزل تبكى عليه فهى قد لحقت به فتبعتُهم حتى دُفنت الى جانب القبر الذى بتُّ عنده واذا هو قبر ابن عمّها فخبّرتهم بما سمعتُ وانصرفتُ، وروى انّ مالك بن عمرو الغسّانىّ تزوّج ابنة عمّ للنعمان بن بَشير الانصارىّ فاحبّ كلّ واحد منهما صاحبه وكان شجاعا بطلا مقداما فعهدت اليه الّا يباشر حربا ثمّ انّه غدا فلقى العدوّ فطُعن فقال وهو يجود بنفسه

الا ليت شعرى عن غزالٍ تركتُهُ اذا ما أتَتْه ميتتى كيف يَصنَعُ
أيَلبَسُ اثوابَ الحِداد تفجُّعًا على مالكٍ ام فيه للبَعْلِ مَطمَعُ ٨٧
فلو انّنى كنتُ المُؤخَّرَ بعده لما بَرِحَتْ نفسى عليه تَقطَّعُ

فلمّا اتاها خبره استمسك لسانُها حولا فقال رهطها وعشيرتها الّوْ زوّجتموها غيره لعلّها تسلَى وتُفيق فزوّجوها رجلا من ابناء الملوك فساق اليها هديّة عظيمة القدر فلمّا كان ليلة بنائه بها اخذت بعضادتَىْ الباب ثمّ انشأت تقول

يقول رجالٌ زَوِّجوها لعلّها تُفيقُ وتَرْضَى بعده بحليلِ
فأضمرتُ فى النفس التى ليس بعدهُ رجاءٌ لها والصِدقُ أفضلُ قيلِ
ابعد ابن عمرٍو سيّد القوم مالكٍ أُزَفُّ الى زوجٍ بعَضْبِ كليلِ
وخبّرنى اصحابُه انّ مالكًا خفيفٌ على العلّات غيرُ ثقيلِ
وخبّرنى اصحابُه انّ مالكًا ضَروبٌ بماضى الشَفْرَتَيْنِ صَقيلِ
وخبّرنى اصحابُه انّ مالكًا جَوادٌ بما فى الرَحْلِ غيرُ بَخيلِ
وخبّرنى اصحابُه انّ مالكًا ثَوَى وتُنادى صَحْبُهُ برَحيلِ
فما كان يَشْرِينى خَليلى بخُلّةٍ وما كنتُ أَشْرِى مالكًا بخَليلِ

فقال لها بعلها ارجعى الى اهلك ولك كلّ ما سُقتُ اليك مثلك فليتزوّج الرجال ، ومن حُسنِ وفائهنّ ايضا ما رواه الهيثم بن عدىّ فانّه كان فى بنى عامر بن صعصعة امرأة تُوُفّى عنها زوجها ولها ابنا عمّ فصارا الى بعض شيوخهم فقالا له فلانة جارية شابّة والقالةُ الى مثلها سريعة فوجّهْ اليها فلتحضر وأعرِضْ عليها أيّنا اهوى اليها حتّى يتزوّجها فوجّه الشيخ اليها فأتته فعرض عليها مقالتهما فاطرقت مليًّا تنكت الارض حتّى حفرت فيها حفيرةً وملأتها من دموعها وكان زوجها دُفن بمقبرة تُدعى بحَوْضَى فالتفتت الى ابنى عمّها وانشأت تقول

فإن تسئلانى عن هواىَ فانّه رَهينٌ بِحَوضَى ايُّها الفَتَيانِ
وإن تسئلانى عن هواىَ فانّه رهينٌ له بالحُبّ يا رَجُلانِ
وانّى لأَسْتَحْيِيهِ والموتُ دوننا كما كنتُ أستحيِيه حين يَرانى ٨٨
أَهابُكَ اجلالاً وإن كنتَ فى الثرَى لوجهك يومًا ان يَسُوْءَكَ مَكانى

وقامت فانصرفت فقال قد رأيتما وسمعتما فانصرفا وقد يئسا ثمّ لقياها يومًا فى المقابر وعليها مُصبَّغات وحُلِىٌّ وحُلَلٌ فقال احدهما لصاحبه ما ترى فى اىّ زىٍّ خرجت والله ما اراها الّا متعرّضةً للرجال هلمّ فلننظر ما تصنع فقربا منها فأتت القبر فالتزمته ثمّ انشأت تقول

يا صاحبَ القبر يا مَن كان يؤنِسُنى وكان يُحسِنُ فى الدنيا مُؤاتاتى
أَزورُ قَبْرَكَ فى حَلْىٍ وفى حُلَلٍ كأنّنى لستُ من اهلِ المُصيبات
اتيتُ ما كنتَ من قُرْبى تُحبُّ وما قد كان يُلْهيك فى ألوانِ لَذّاتى
ومَن يَرانى يرى عَبْرى مُفَجَّعَةً طويلةَ الحُزنِ فى زُوّارِ أمواتِ

ثمّ شهقت فماتت ، ومثل هذا واشباهه من الوفاء قليل فى النساء وهو من وفائهنّ عَجَبٌ والغدر عليهنّ اغلب اذ على ذلك طُبِع خُلْقهنّ وعليه جُعلت بِنْيَتُهنّ وسأصف لك جملةً من مكرهنّ لتقف به على غدرهنّ ان شاء الله ولا قوّة الّا بالله ۞

آخـر الجزء الاوّل من كـتـاب المـوشّـى

من أجزاء ابى الطيّب بن الوشّاء

والحمد لله كثيرًا وصلواته على محمّد نبيّه وآله وسلامه

وحسبى الله ونعم الوكيل

يتـلـوه الجـزء الـثـانى من كـتـاب الموشّى

الجزء الثاني

من كتاب الموشّى تأليف

ابى الطيّب محمّد بن اسحٰق بن يحيى

الوشّاء

رحمةُ الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم لا إلٰهَ إلّا اللّهَ وحده لا شريك له الحمد لله ربّ العالَمين وسلامٌ على عباده الذين اصطفى امّا بعد فانّه قد ذكرنا فى الجزء الاوّل من هذا الكتاب اشياء من عُيون فُنون الادب يرغب فيها ذوو الحِجَى وينتهى اليها ذوو النُهَى وقد مضى من الجِدّ عدّة ابواب فيها مَقنع لذوى الالباب ولا بدّ من خلطها بشىء من الهزل اذ فى ذلك ترويحٌ لقلوب ذوى العقل وآخِرُ ما ذكرنا فى الجزء الاوّل ذكرُ الوَفِيّات من النساء وانا أُتبِعه فى هذا الجزء بباب ذكر ذوات الغدر من الاماء ثمّ أصِلُه بما يتّصل وافصله من حيث ينفصل ان شاء الله وبه القوّة ۞

٢٠ باب صفة ذمّ القيان
ونفوذ حيلتهنّ فى الفتيان

اعلمْ انّه لم يُبتلَ احد من اهل المروّات والادب واهل التظرّف والارب ولا امتُحِنَ سراةُ الفتيان ببليّة هى اعظم من هوى القيان لانّ حبّهنّ حبٌّ كَذُوب وعشقهنّ عشقٌ مَشُوب وهواهنّ منسوب الى الملل ليس بثابت ولا متّصلٍ وانّما هو لطمعٍ وعَرَض وهنّ سريعاتُ الغرض يُستدلّ على ذلك بأفعالهنّ الرديّة واخلاقهنّ السيّئة وأنهنّ لن يقصدن إلّا

اهل النَشَب ويصدفن عن ذوى الحَسَب وانّ محبّتهنّ تظهر ما ظهرت علاماتُ اليسار والمال وتنتقل عند الافلاس والاقلال وليس اظهارهنّ للمحبّة ممّا ينعقد عليه منهنّ ذوو الآداب ولا بما ينخدع به لهنّ ذوو الالباب وكلّ ذلك منهنّ غرور وخداع وزُور ولا مَرجع له ولا محصول وانّما امرُهنّ عند ذوى الجهالة مجهول وما رأيتُ لكثير من الادباء الذين سلكوا سبيل التشبيب بالنساء رغبةً فى تعشّق الاماء وقد انشدنى بعض الظرفاء

ليس عشْقُ الاماء من شَكْلِ مثلى   انّما يَعشَقُ الاماءَ العَبيدُ
صِلْ اذا ما وَصلتَ حُرّةَ قومٍ   قد حماها آباؤُها والجُدودُ

ومن ادلّ الاشياء على خُبث سرائر الاماء انّ الواحدة منهنّ اذا رأت فى مجلسٍ فتى له غِنًى وكثرةُ مال ويسار وحُسنُ حال مالت اليه لتخدعه واقبلت عليه لتصرعه ومنحته نَظَرها وابدته بَصَرها وغمزته بطرفها واشارت اليه بكفّها وغنّت على كأساته ومالت الى مرضاته وشربت من فضلة كأسه واومأت الى تقبيل رأسه حتّى تُوقع المسكين فى حبالها وتُرهقه باحتيالها وتُعلّق قلبَه بحبّها وتُطمعه فى قُربها وتحويه بلُطف تملّقها وتستبيه ببديع تقنُّعها وبالمكر والخداع وتطلّبها للاجتماع وتباكيها لفرقته وتحازنها عند رَوْحته ثمّ تُرسل اليه بالرُسُل وتُعاديه بالتَخَتّل وتُخبره عن سَهَرها وتُنبئه عن فِكْرها وتشكو اليه القَلَق وتخبره بالأرَق وتبعث اليه بخاتمها وفضلةٍ من شَعْرها وقُلامةٍ من ظُفْرها وشظيّةٍ من مضرابها وقِطْعة من مسواكها ولُبانٍ قد جعلته عِوَضًا من قُبلتها ومُضْغة لتخبره عن نَكْهتها وكتابٍ قد نمّقته بطَرْفها 91 وطيّبته بكفّها وسَحّته بوَتْرٍ من عُودها ونقّطت عليه قَطَرات من دمعها وختمته بغاليةٍ قد عُدّل بالعنبر مَتْنُها واستمسك تحت الخاتم عَجْنُها وطبعت عليه بفصّ قد نقشت عليه بعضَ مُداعبَتِها وتمثّلت عليه ببعض مجانتها وضمّنت الكتاب شَكْوَى شوقٍ مريضٍ وصفةَ شوقٍ مُمرّضٍ

نسئله المؤاتاة على حبّها والاعانة على كَرْبها وأن يبعث يطلب زيارتها لتَقرّ بالنظر اليه عينُها ويتفرّج عنها حزنُها فيَطمَع الغمز فى قُربها ولا يَشكّ فى الكلام فى اخلاص حبّها فيَميلَ اليها بودّه وتُصْفيَه بمكنون حبّه حتّى اذا حَوَت عقله وصارت شغله واستمالت لبّه وسلبت قلبه واستمكنت من قربه ووثقت بصحيح حبّه وعلمت انّه غريقٌ فى بحر البليّة اخذت فى طلب الهدايا السريّة وتشهّت الثياب العَدَنيّة والأُزُر النَيْسابُوريّة والأشقاق الاجاجيّة والأردية الرشيديّة والعمائم السُوسيّة والتِكَك الابْرِيسَميّة والخفاف الزَنانيّة والنِعال الكَنْباتيّة والحَلَق المحشوية والعصائب المرصَّعة والدَسْتينَجات المفصّلة وخواتيم الياقوت المُثْمنة وتمارضتْ من غير سَقَم وشكت من غير أَلَم وفصدت من غير علّة وداء وتعالجت من غير حاجة منها الى الدواء لتجيئها هدايا ذوى الوَجْد فى المرض والفَصْد من القُمُص المُعَنْبَرة والغلائل المسّكة والأردية المرشوشة واللَخالخ المعجونة ومخانق الكافور المنظومة ومَراسل القَرَنْفُل المجمّرة والمسك الاذفر والعنبر الاشهب والعود الهندىّ والنَدّ الخزائنىّ والماوَرْد الجُورىّ والحُمْلان الحَوْليّة والجِداء الرُضّع والبطّ الصينىّ والفَرارِيج الكَسْكَريّة والدجاج الفائق والفِراخ المسمّنة والنبانيج المنضّدة ٩٣ بأنواع الرَياحين والفاكهة يَتبعها صنوفٌ من الشراب من المعسّل والدُوشاب والمطبوخ والمُشمّس ونبيذ السُكّر والقِشمِش ثمّ الدنانير الجُدَد الشهريّة والدراهم المسيّفة الداريّة فى خرائط الديباج الابريسميّة ومناديل الوَشْى الاعجميّة، فلا تزال فى هدايا متواترة وألطاف متتابعة وفى خلال ذلك العيدان العَرْعَر المَوْزُونة والمَضارِب المدهونة والاوتار الصينيّة حتّى اذا نفد اليسار وذهب الاكثار واتلف المال وجاء الاقلال واحسّت بالافلاس وتفريغ الأكياس اظهرت المَلَل واعلنت البَدَل وتبرّمت بكلامه وضجرت بسلامه وطلبت عليه العلَل. وتفقّدت منه الزَلَل وتتبّعت عليه سقطاته وتيمّمت عَثَراته واخذت فى الجفاء والعتاب

والقِلَى والابعاد وصرفت عنها هواه ومالت الى سواه ونفرت بعد القُرْب وابغضته بعد الحبّ فحينئذ يدرك المغرورَ النَدَم ويلحقه الأَسَف حين لا تُغْنى عنه الحِيلة ولا يُجدِى عليه اللَّهَف ويقع بين لَيْتَ ولَوْ وهيهات ولات حين مَناص ولا يقدر على ٱستئناف ما سلف من الايّام بعد الاشراف على ورود حِياضِ الحِمام، وقد انشدنى بعض الادباء لبعض المحدثين

صَحَوْتُ فأبصرتُ الغوايةَ من رُشْدِى — وأيقنتُ أنّى كنتُ جُرْتُ عن القَصْدِ
فلا يَعشَقَنْ مَن كان يَعشَقُ قَينةً — فما هو منها فى سعيدٍ ولا سَعْدِ
تَوَدُّك ما دامت هداياك جَمّةً — وتَرْفِدُك عشقًا ما غَنيتَ اخا رِفْدِ
اذا ما رأت فى مجلسٍ مَن تخالُه — غَنيًّا حَبَتْه بالتحيّة والوُدِّ
وغنّت على أقداحه كلَّ ما ٱشتهى — وقالت له ما ذا تُريدُ انا أفْدِى
وتُومِى اليه اشْرَبِ الرِطْلَ وٱسقِنى — فقد حُزْتَ قلبى واشتملتَ على وُدّى
فيَمْتَلِى المغرورُ عند مَقالها — سُرورًا يرى أنّ المقالَ على جِدّ
فانْ جاء وقتُ الانصراف تحازَنَتْ — لِفُرْقته حتّى يقوم على وَعْدِ
ويَغْدو اليه فى الفِراش رَسولُها — تُسائِلُه ما كان حالُك مِن بَعْدِى
ويا ليت شعرى كيف بِتَّ فانّنى — رَعَيْتُ نجوم الليل كَفّى على خَدّى
فلا يجد المغرورُ مِن دَفْعِ جِذْرِها — سُرورًا بتعجيل الزيارة مِن بُدّ ٩٣
وتُسرِعُ فى اتيانه لِيَظُنَّها — حَبَتْه بتعجيل المجيءِ على عَمْدِ
فانْ هِىَ جاءت عانقتْه وقبّلتْ — يَدَيْه وأبْدَتْ فَرْحةً قلّ ما تُجْدِى
وتَخْدُمُه عَمْدًا فان قال انّه — لَيَحْزُنُنى أَنْ تَصْنَعى هكذا عِنْدِى
تقول له ذا البيتُ بيتى وانّما — أُؤمّلُ أنْ يَبْتاعَنى سَيّدى وَحْدِى
فتُصبِحُ عينى بالوِصال قَريرةً — وآمَنُ مِن سَوْمِ التفرّقِ والبُعْدِ
فذا دَأْبُها حتّى يَعودُ من الهوى — سقيمَ فؤادٍ ما يُعيدُ ولا يُبْدِى
فتَفْصِدُ لا مِن حاجةٍ لِفِصادها — ولٰكنْ لتكليف الهديّة فى الفَصْدِ
فمن بين خَلْخالٍ يُصاغُ وخاتَمٍ — ومِن دُمْلُجٍ يُهدَى على أَثَرِ العِقْدِ

ومن ثَوْبِ خَزٍّ بعد وَشْىٍ ومُلْحَمٍ   ومن مُصْمَتٍ يُشرَى على أَثَرِ البُرْدِ
ويا لَكِ من مِسْكٍ ذَكِيٍّ وعنبرٍ   وعُودٍ وكافورٍ نَقِيٍّ ومن نَدِّ
فذا فعلُها حتّى اذا عاد مُفلسًا   تجنّتْ وأبدتْ جانبَ الهَجْرِ والصَدِّ
فقولا لِمَن يهوى القِيانَ تَفهَّمُوا   مَقالى فانّى قد نصحتُ لكُمْ جَهْدِى

وانشدنى بعض المحدّثين لنفسه

يا صاحِ إنّ القِيانَ للغُمْرِ الغِرِّ شِباكٌ يَصِدْنَ بالمَلَقِ
يهوين هذا ويشتكين لذا   وَجْدًا ويَرمُقن ذاك بالحَدَقِ
حتّى اذا ما اقتنصْنَ ذا حُمُقٍ   مُسْتَهْتَرًا واستمالَ للوَمَقِ
نفضْنَه واستلَخْن جِلدَتَهُ   سَلْخًا بطيبِ الدلالِ والفَنَقِ
وصار كالآسِ فى غَضارتِهِ   صِفْرًا بلا طارفٍ من الوَرِقِ
ناولْنَه المِسْحَ ثمّ قُلنَ له   جِئْنا به فى البَيَاضِ كاليَقَقِ

وانشدنى بعض الكتّاب لفضل الشاعرة

يا حَسَنَ الوجهِ سَيِّئَ الأَدَبِ   شِبْتَ وانتَ الغُلامُ باللَعِبِ
يا وَيْكَ انّ القيانَ كالشَرَكِ الـ   ـمَنصوبِ بين الغُرورِ والعَطَبِ
لا يتصدَّيْنَ للفقيرِ ولا   يَرمُقن الّا مَعادنَ الذَهَبِ
يَلحظن هذا وذا وذاك وذا   لَحْظَ مُحِبٍّ بطرفِ مُكتسِبِ
بينا تَشَكّى اليك اذ خرجَتْ   من زَفَراتِ الشَكْوَى الى الطَلَبِ

٩٤ وانشدنى احمد بن غزال لنفسه

اذا تعرّضتَ للقِيانِ   فمَثِّلِ الفَقْرَ بالعِيانِ
وأعزِمْ على فَلْسةٍ أَسافًا   أَمَضَّ من طَعْنةِ السِنانِ
كم من تُراثٍ ومن تليدٍ   وطارفٍ وادّخارِ ثانِ
أَتلفَهُ مُتلفٌ عليهِمْ   بالجَذْرِ والبَذْلِ والتَوانى
ما زال يَصْبُو الى خَلُوبٍ   تَغنّى به فوق كُلّ غانِ
اتّخذَتْه عشيقَ مالٍ   أَضْحَتْ تَهاواهُ باللِسانِ
حتّى اذا اختلّ ثمّ حسّتْ   بفَقْدِ فَعْلاتِه الحِسانِ

غنّتْهُ صوتًا لها عتيدًا   مُصَرِّحًا ليس بالمَعَانى
قد نَفِدَ الكِيسُ فاسْلُ عنّى   واشْتَقْ اذا اشتقْتَ بالأمانى

وانشدنى ايضا

ومُسْمِعَةٍ غنّتْ فملتُ بمُهْجتى   اليها لأَلْهُو والمُزاحُ بَسيطُ
فقالت على اسم الله ثِقْ بمودّتى   وصافِ كما صَافَى الخليطَ خليطُ
فأعرضتُ عنها وانقبضتُ كانّما   عَلَتْنى لديها نَعْسَةٌ وغطيطُ
فقالت وقد اخجلتُها لِتَغُرّنى   ورِقّةُ فَهْمى بالقيان مُحيطُ
أراكَ نشيطًا للسماعِ تُحِبُّهُ   ولستَ الى غير السماع نشيطُ
فقلتُ تُرانى وَيْكِ أَعشقُ قَيْنَةً   لها كلَّ يومٍ صاحبٌ وربيطُ
اذا خرجتْ من مجلسٍ وتبدّلتْ   سواه بديلًا اوّلون نبيطُ
وان ذُكِروا قالت ومَن كان حائكٌ   وآخَرُ منكودُ المعاشِ يَخِيطُ
لعمرك ما تهوَيْنَ الّا دراهمًا   ومن دونها حَزْمٌ علىّ سليطُ
وانّى وربِّ البيتِ واللهُ راحمٌ   أُفَكِّرُ فيه هل هواه قَميطُ
بعينى لِيَنْجُ قبل يَنفُضَ رِيشَه   وقبل يراه الناسُ وهو سقيطُ
هَوَانا هوًى يَزْوِى عن المرء نعْمَةً   ويُتركُ ربُّ القومِ وهو حطيطُ
فيَعْشَقُنا مَن فى يديه بضاعةٌ   سفيفٌ اذا بان الرَّجا وشريطُ

وقال ايضا فى قصيدة له

حتّى اذا وَلَّتِ الدراهمُ غَنّتْـــهُ وقد أَزمعتْ على الانقطاعِ
٩٥ أُسْلُ عنّى فلستُ أَصْلَحُ للضيـــقِ ولا يَحْسُنُ الهوى بالجِياعِ
عندها يأكُلُ المفرِطُ كَفَّيْـــهِ ويأوِى الى اخسّ البِقاعِ

وانشد للحكمىّ فى مثل ذلك

قُولا لِمَن يَعشَقُهُ قينةٌ   يَستَفُّ خُزْنًا قبل افلاسه
فقد ثَوَى فى كفّها نِيّةٌ   مُسرِعةٌ فى قَلْعِ أَضْراسه
تُواصِلُ العاشقَ حتّى اذا   ما أَخَذَ العشقُ بأنفاسه
وَلَّتْ بغَدْرٍ وقُرونُ الفتى   تَهتزُّ بالكَشْحِ على راسه

ومن احسن ما قيل فى ذلك قول الشاعر

ما للأَحِبَّةِ فى التخشُّع عارُ فٱخشعْ وان حافُوا عليك وجارُوا
سقْيًا ورَعْيًا للذين تحمّلوا ونَــأَوْا وما شُدّتْ لهم أَكْوارُ
كنّهم غَدَروا بعَهْدك فى الهوى وأَخُو القطيعةِ جائرٌ غدّارُ
ما ان يُبالُوا ان جَفَوْك وعرّجوا نَحْوَ المدينة أَوْطَنوا او ساروا
لا بل اشدُّهما عليك مُصيبةً أَن يفعلوا بك اذْ هُمُ حُضّارُ
لا تَعْتبَنّ على القيانِ ولا على زَهْوِ القيان فانّهنّ تجارُ
قَدِّمْ لهنّ مَلاهِيًا ومَضارِبًا ومَلاوِيًا يَحْظَى بها الزوّارُ
ان كنتَ صاحبَ لُطْفة وهَدِيّة فلَكَ الهوى منهنّ والايثارُ
او كنتَ صاحِبَ كيف انتَ ومرحبًا فٱرحلْ فعَيْشُك عندهنّ بَوارُ
ما بُدَّ من شىء والّا لم يَكُنْ لك ثَمَّ اقْبالٌ ولا ادْبارُ
لو كنتَ يُوسُفَ فى الجمال فانّه ما مثلُه فى حُسْنه دَيّارُ
ثمّ ٱمتنعتَ من الهديّة أنْكَروا منك الذى لا يُنكِرُ الأَحْرارُ
عندى من القَيْنات خُبْرٌ بيّنٌ ومِنَ الهديّة مُسنَدٌ آثارُ
زار ابنُ أَحْمَرَ ذاتَ يومٍ قينةً فى فِتْيَةٍ لهمْ نَدًى ووَقارُ
حتّى اذا غنّتْهمُ وسقتْهمُ وتجاوبَتْ فى كَفّها الأَوْتارُ
قالت لأَوّلِهمْ أَما لك صَنعةٌ فأجابها انّى فَتًى سِمْسارُ
قالت فأَهْدِ لنا ازارًا مُعْلَمًا فأبُو فُلانٍ ما عليه ازارُ
ثمّ ٱنْثَنَتْ لسُؤالِ آخَرَ منهمُ أَصْدُقْ فقال مُجيبُها عَطّارُ
٩٩ قالت فليس يُهِمّنا ما زُرْتَنا أَدْهانُنا والقُسْطُ والأَظْفارُ
واذا ابنُ أَحْمَرَ قد أَعدَّ جوابَها جَذَرَ السؤالَ كانّه قُسْطارُ
ثمّ ٱنثنتْ لسؤالِه فأجابها لا سُوقَ لى لكنّنى حَفّارُ
فاذا هممتِ بحَفْرِ قَبْرِكِ فٱبْعَثِى بقُضَيِّبٍ كى أَعرِفَ المقدارُ
فتلجلجتْ خَجَلًا وطَأطَتْ رأسَها واصابها عند الجواب حِصارُ
وكذا القيانُ ولا أَقولُ جماعةً فالناسُ فى أَخلاقِهمْ أَطْوارُ

ولابن احمر ايضا

عَذَّبَنى ذو الدَّلالِ بالنارِ   إن هامَ قلبى بذات أسْوارِ
ولا تعشّقتُ قينةً ابدًا   حتّى ترانى رَهِينَ أحْجارِ
كم من غَنِيٍّ تركْنَ ذا عَدَمٍ   أورثْنَه الذُلَّ بعد اكْثارِ
سلبنَ منه الفؤادَ بالنَّظَرِ الـرَّطْبِ وغُنْجٍ وغَمْزِ أبْصارِ
وبالتَّشاجِى أتلفن مُهْجَتَهُ   وحُسْنِ لحنٍ وقَرْعِ أوْتارِ
حتّى اذا ما مَضَتْ دراهمُهُ   وصار ذا فِكْرةٍ وتَسْهارِ
ناولنَه المِسْحَ ثمّ قُلْنَ له   بَيِّضْهُ بالنَّهْرِ نهرِ بَشّارِ
فلا تَغُرَّنّك قينةٌ ابدًا   ودَعْ وِصالَ القيان فى النارِ
فليس فى الغَدْرِ عندهنّ اذا   هَوَيْنَ او شِئْنَ ذاك من عارِ

واحسن ابن الجهم حيث يقول

فأطْلقْ يَدًا فى بَيْتِهِ بتفضُّلٍ   وعَدِّ عن المولى وما شئتَ فافْعَلِ
أشِرْ بيَدٍ واغمِزْ بطرفٍ ولا تَخَفْ   رقيبًا اذا ما كنتَ غيرَ مبخَّلِ
ووَلِّ عن المِصْباحِ والْحَ ونَمِّهُ   فان خَمَدَ المصباحُ فادْنُ وقَبِّلِ
وسَلْ غيرَ ممنوعٍ وقُل غيرَ مُسكَتٍ   ونَمْ غير مذعورٍ وقُمْ غير مُعْجَلِ
لك البيتُ ما دامتْ هداياك جَمَّةً   وكنتَ مَلِيًّا بالشراب المعسَّلِ
تُصانُ لك الأبصارُ عن كلّ نَظْرةٍ   ويُصغَى اليكمْ بالحديثِ المُقَلْقَلِ

واعلم انّه لا وفاء لهنّ ولا حفاظَ عندهنّ ولا يَدُمْن على وُدٍّ ولا يَفين لعاشقٍ بعهدٍ وهواهنّ مشترَكٌ وحُبُّهنّ مقتسَمٌ، وقد انشدنى بعض الادباء

استَخْبِرَا زينبَ عن قَوْلها   فى رَجُلٍ يَعْبُدُ رَبَّيْنِ ٩٧
أذاك منه حَسَنٌ جائزٌ   أمْ ليس يَرضَى اللهُ دِينَيْنِ
حَسْبُكِ يا زينبُ من هُجنةٍ   يَسترزِقُ الدهرَ على اسْمَيْنِ
فلا تُريدى جَمْعَ هذا وذا   فالغمْدُ لا يَجمع سيفَيْنِ
وأنشِدى الامرَ الى واحدٍ   ولا تكونى ذاتَ بَعْلَيْنِ

لا يَحمل المنبرُ رِدْفًا ولا — يَصلحُ مِلْكًا بين اثْنَيْنِ
وعادةُ السَّوْء اذا استحكَمَتْ — على أمرئٍ شرٌّ من الدَّيْنِ
لستُ وإن كان الهوى غالبِى — أَقْنَعُ بالشَّيْن على الشَّيْنِ
يَحلُبُ غيرى وأكون الذى — يَرضَى من العَنْزِ بقَرْنَيْنِ

واحسن ابو ذُؤيب حيث يقول

تُريدين كَيما تجمعينى وخالِدًا — وهل يُجمَع السيفانِ ويحكِ فى غِمْدِ
وكنتَ كرَقْراقِ السراب اذا جرى — بقومٍ وقد بات المطىُّ بهم تَخْدى

وقال اخر

الا يا عاشقَ القينات جهلًا — اردتَ بأن تكون ابا البُغُولِ
أترضَى للهوى مَن ليس يرضى — على ضِيقِ الهوى أَلْفَىْ خليلِ

وليس هوى القيان بمحمود عندى ولا عند ذوى الادب واهل النُهى والارب ولا لاكثرهم ميلٌ اليه ولا حرصٌ عليه وان كان قد انشدنى صديق لى قوله فيهنّ

زَعَمُوا خُلّةُ القيانِ غُرورٌ — كلُّ زَعْمٍ من المقالة زُورُ
قَسَمًا لَلقيان بالعهد أَوْفَى — من جَوارٍ تَضُمُّهنّ الخُدُورُ
انّما زَخْرَفَ المفاليس هذا — حين قلّتْ صحاحُهم والكُسُورُ
اهلُ هذا الزمان أَطْرَى من الآ — سِ وكلٌّ مُمَوَّهٌ مستورُ

واحتجّ فى ذلك بانّ هوى القيان على ما فيهنّ من العيوب اسرعُ الى النفوس واوقعُ فى القلوب واغلقُ بالارواح واخلقُ للنجاح وهنّ اقربُ املا واقلُّ عَلَلا والظفر بهنّ اسرع من الظفر بربات الخدور والمحتجبات
٩٨ وراء الستور وانّهنّ مزورات واولئك معدومات، وزعم من طلب القينة الجَدْوَ لمولاها من عشقها وكثرة مؤنتها عليه وطلبها لما لديه ومسئلتها الهدايا واللَطف والبرّ والتُحف انّما هو من رغبتها فى هواه وميلها الى رضاه ولانّها تؤثره على العالَمين وتشتهى قربه دون سائر المحبّين لانّه اذا وافى جَدْوَها من عند عشيقها مع تتابُع ألطافه وكثرة برّه وإسلافه

رغب المولى فى صفاته وطمع فى استصفائه فاخلاها معه الايّام الكثيرة والليالى المتتابعة فهذه جملة من القيان لمن عشق ورغبة فيمن ومق وليس ذاك عندنا كذلك وانّما هى حيلة ممّن احتجّ لهنّ بالوفاء وهنّ معروفات بالغدر والجفاء ولو كان ذلك كما زعموا لم تتغيّر له عند اختلاله ولا قلّته عند اقلاله بل كان يكون منها عند ذلك الاسعاف على هواه والمواساة فى نفسها فى الحياة ولكن هو كما قال المؤمّل ابن اميل

والغانيات كذاك هنّ غوادرٌ أَبَدًا حبالُ وصالهنّ تُجذَّمُ
يَخلُبن بالنَظَر الفتى ويَعِدْنَهُ نَيْلًا ودون عِداتهنّ الأَنجُمُ

وكما قال بشّار بن بُرد

فوالله ما ادرى وكلُّ مُصيبةٍ بأىّ مَكيدات النساء أُكادُ
غُرورٌ مَواعيدٍ كأنّ جَداءها جَدَى بارقاتٍ مُزْنُهنّ جَمادُ

ومع ذلك فلا نفاقَ للشيوخ عندهنّ ولا لذوى القبح والعدم مطمع لديهنّ على انّهنّ يحتملن القبح والشيب مع اليسار ويكرهنهما مع الفقر والاقتار فاذا اجتمع القبح والشيب مع الافلاس فى اىّ انسان كان من الناس فليس عندهنّ مطلب ولا لديهنّ سبب ولذلك قال العطوىّ

تاهتْ علىّ بحُسنها وجمالِها وتقول لى يا شيخُ انت مُخادِعُ
شيخٌ وافلاسٌ وقُبحٌ ظاهرٌ أَطَمِعتَ فينا اخلفتْك مَطامعُ
فأجَبْتُها الافلاسُ يُذهبه الغِنَى والشيبُ يُذهبه الخِضابُ الناصعُ
قالت فقُبحُ الوجه فيه حيلةٌ والقُبحُ ليس له دواءٌ نافعُ ٩٩
يا صِدْقَها ما كان اوضَحَ حُجّتى لو كان يَدفع قبحَ وجهى دافعُ

وقال بعض الاعراب

طويلاتُ اعناقٍ سِباطٌ أكُفُّها رقيقاتُ اوساطٍ نِبالُ المَآكِمِ
تأزّرْنَ رملًا وارتَدَيْنَ بحُلّةٍ مِنَ الروض ريّا زَهْرُها جدُّ ناعِمِ
وتَصرِفُ وُدّى نحوهنّ صبابةً ويَصرِفن عنّى الوجهَ نحو الدراهِمِ

ومثل ذلك ما رُوى عن نُصَيْب انّه قال لقيتْنى بالطواف امرأة دحداحة مزّاحة فقالت أأنت نُصيب فقلت نعم قالت ألست القائل

اذا البِيضُ لا يأنِينَ فى الحبّ رِقّةً يُعابُ ولا يأخذن فى الودّ درهَمَا
وانْ هُنّ يُدنِينَ الكريمَ بوُدّهِ لهنّ ويَرفضن الدقيقَ المُلَوّمَا

قالت لا اراك تكتب الّا درهمك فأعضض ببظر امّك من ابن تمتشط احدانا اذنْ، وانشدنى بعض الادباء

واذا قلتُ لها جُودى لِمَنْ قد براه الحُبُّ قالت لى أَجَلْ
انتَ صرّافٌ فآتيك له ام بكفّيك نُقودٌ تُحتمَلْ
قلتُ ما تَهوَين الّا مُوسِرًا ذا هِبات وعطاء وحُلَلْ
فاجابتْنى بصوت مُسمِع كُفَّ عنّا انت واللهِ مُقِلّْ
ايّها الناسُ ألا أُخبِرُكُمْ ليس للحُبّ مع الفقر عَمَلْ

ولقد احسن ابو الشيص حيث يقول

حَسَرَ المَشيبُ قناعَه عن رأسه فرَمَيْنَه بالصَدّ والاعراضِ
ثِنْتانِ لا تصبو النساء اليهما حَلْىُ المَشيب وحُلّة الانفاضِ
فوُعودُهنّ اذا وَعَدْنك باطِلٌ وبُروقُهنّ كواذبُ الايماضِ

وروى عمر بن شبّة عن موسى بن اسمعيل المنقرىّ قال كان المخبّل السعدىّ يعشق امرأة من قومه فانلف عليها كلّ ما يملكه حتّى صار يبيع البَعر فاتاها يوما فزبرته وطردته فانصرف وانشأ يقول

اذا قلّ مالُ المرء قلّ صديقُه وأَوْمَتْ اليه بالغيوب الاصابعُ

وقال الاصمعىّ عشق رجل امرأةً واظهرت له مثل ذلك فبعثت اليه يوما تستهديه مالا فتعذّر عليه ووجّه بنصف ما طلبت فغضبت وهاجرته فكتب اليها

يا ايّها الغَضْبانُ أن سامنى ما مثله ثقلٌ على المُوسِرِ
فجُدتُ بالنصف له كاملًا فقال ليس الحبُّ للمُقْتِرِ
هَبْنى غريمًا لكِ يا مُنْيَتِى ما يُقبَلُ النصفُ من المُعسِرِ

فكتبت اليه

إن كنتَ في حالك ذا عُسرةٍ   فَدَعْ طِلابَ الشادنِ الاحوَرِ
ما إن منحناك الذى نِلْتَه   دون ذوى البَهْجة من مَعشَرِ
الّا لِتقضِى حاجتى كلَّها   فى حالِ ذى العُسرة واليُسْرِ

وقال الاخطل يصف نفورهنّ عن المشيب وغدرهنّ بالكهول والشيب

واذا دَعَوْنَك عَمَّهنّ فانّه   نَسَبٌ يزيدك عندهنّ خَبالا
واذا وَعَدْنك نائلًا أخلفنَه   ووجدتَ عند عِداتهنّ مِطالا

وقال القُطامىّ ايضا

واذا دَعَونك عمّهنّ فلا تُجِبْ   فهُناك لا يجدُ الصفاءُ مكانا
واذا رأَيْنَ من الشباب لُدُونةً   فعسى حِبالُك أن تكون مِتانا

وقال جرير

رأتْ مَرَّ السنينَ أَخَذنَ منّى   كما اخذ السِرارُ من الهلالِ
فقالت فِيمَ انت من التصابى   متى عهدُ التشوّقِ والدَلالِ
فما ترجو وليس هوى الغوانى   لاصحابِ التنَحنُحِ والسُعالِ

وقال ايضا

واذا الشيوخُ تعرّضوا لمودّةٍ   قُلن الترابَ لكلّ شيخٍ أَدْرَدَا
تَلقى الفتاةُ من الشيوخ بَلِيّةً   إنّ البليّةَ كلُّ شيخٍ أَرْمَدَا

وقال امرؤُ القيس

اراهنّ لا يُحبِبن مَن قلّ مالُهُ   ولا مَن رأين الشيبَ فيه وقَوَّسَا

وانشدنى بعض الكتّاب لأبى الشِبْل

عَذيرى من جوارى الحَىِّ اذ يَرغبن عن وَصْلى ١٠١
رأين الشيبَ قد أَلبَسَنى أُبَّهةَ الكَهْلِ
فأعرضن وقد كُنّ اذا قيل ابو الشِبْلِ
تساعَيْنَ فرَقّعن الكُوَى بالاعين النُجْلِ

وأُنشِدتُ لغيره

رأين الغوانى الشَّيْبَ لاحَ بعارِضِى   فأعرضن عنّى بالخدود النواضرِ
وكُنَّ اذا ابصرننى او سمعن بى   سَعَيْن فرقّعن الكوَى بالمَحاجِرِ

وهنّ على ما فيهنّ من سرعة الملل وما طُبِعن عليه من البدل متمكّنات من القلوب مُبَرّآتٌ عند محبّتهنّ من العيوب وانّ من محمود مذاهب الظرفاء الميلُ الى مغازلة النساء ومداعبة القينات وحبُّ النساء عندهنّ من حسن الاختيار وهو اشبه بمذاهب ذوى الاخطار وليس هوى الغلمان عندهنّ بمحمود ولا هو فى سِيَرهم موجود وانّما آثروا هوى النساء على الغلمان ومدحوهنّ بكلّ لسان لمليحِ براعتهنّ وتكاملِ ملاحتهنّ وعجيبِ شكلهنّ وبديعِ دلّهنّ وفيهنّ ايضا خصال محمودة وملاحة موجودة إن عُدِمَت من الجمال وُجِدت فى العقل وإن عُدمت من العقل وُجِدت فى الدلال وروائحهنّ اذكى وهواهنّ للقلوب انكى والعشق بهنّ اليق وهنّ للرجال اوفق، وقد قال بعض الشعراء فى ذلك وملّح

أُحِبّ النساء وذِكرَ النساء   ويُعجِب قلبى لذيذُ الغناء
وهل لذّةُ العيش إلّا النساء   وحُسنُ الغناء وشُربُ الطِلاء

وقال الفرزدق

مَنَعَ الحياءُ من الرجال ونَفْعُها   حَدَقٌ تُقَلِّبُها النساءُ مِراضُ
وكأنّ أفئدةَ الرجالِ اذا رأوْا   حَدَقَ النساء لمثلها أغراضُ

وقال دعبل بن علىّ الخزاعىّ

أَحَبُّ ذخيرةٍ واحَبُّ عِلْقٍ   الىَّ الغانياتُ وان غَنينا
١٠٢ وكُلُّ بُكاءِ رَبْعٍ او مَشيبٍ   نُبَكّيهِ فهُنَّ به عُنينا

وقال بعض الادباء

فلو أنّى رأيتُ الناسَ يومًا   ووُلّيتُ الحكومةَ والخصاما
لقَرّتْ عينُ مَن يهوى الجَوارِى   وعاقبْتُ الذى يهوى الغُلاما
سألتُك أيُّما أحلى حديثًا   وأطيبُ حين تعشقُه ٱلتزاما

أجارِيَةٌ منعَّمةٌ رَداحٌ تريدك للغَرام بها غرامًا
أو أمرَدُ مُنْتِنُ الابْطَيْن منه له رُمحٌ كرُمحك حين قامًا
يُريدك للدراهم لا لحُبٍّ وتلك تَذوب من كَلَفٍ سَقامًا

وانشدنى علىّ بن العبّاس الرُّومىّ لنفسه

نَيْكُك الغلمانَ ما أمْكَنَك النِسْوانُ أفْنُ
انّما يُمشَقُ فى الظَّهْرِ اذا أعْوَرَ بَطْنُ

وما رأينا احدا من العرب المتقدّمين والشعراء المفضّلين صمّدوا فى اشعارهم الى غير ذكر النساء ولا صدّروا قصائدهم الّا بالتشبيب بوصف النساء هذا حسّان بن ثابت الانصارىّ شاعر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول

يالَ قومٍ هل يَقتُلُ المرءَ مثلى واهِنُ البَطْشِ والعظامِ سَؤُومُ
شأنُها العِطْرُ والفِراشُ ويَعلو ها لُجَيْنٌ ولُؤلُؤٌ منظومُ
لو يَدِبُّ الحَوْلِىُّ مِن وَلَدِ الذَّ رِّ عليها لأنْدَبَتْها الكُلُومُ

وقد كان النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ينصب له منبرا فى مسجده ويدعو الناس الى استماع شعره وهو يشبّب قصائده بهذا وما اشبهه من ذكر النساء وهذا كعب بن زهير ينشد للنبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى مسجده

بانت سُعادُ وقَلْبِى اليومَ متبُولُ متيّمٌ عندها لم يُفْدَ مغلُولُ
أكْرِمْ بها خُلّةً لو أنّها صَدَقَتْ مَوْعودَها ولَوَ انّ النُصْحَ مقبُولُ

ويمدح النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى قصيدته هذه فيقول فيها

انّ الرسولَ لَنُورٌ يُستضاء به وصارمٌ من سُيُوفِ الله مسلولُ

والنبىّ صلّى الله عليه وسلّم يومئ الى الناس فى مسجده أن اسمعوا ١٠٣
شعره ولو كان ذكرُ النساء فى الشعر منكرًا لكان النبىّ صلّى الله عليه وسلّم اولى مَن انكره ولو كان ذكرُ غير النساء اولى بالتقدمة فى الشعر من ذكرهنّ لكان النبىّ صلّى الله عليه وسلّم اولى مَن امر بذلك واستقبحه

ولو كان ايضا فى الشعر ذكرُ النساء من الرفث والفحش والخنى لكان ما قيل فى رسول الله من المديح احقّ بأن يُسقَط منه ذكرُ القبيح كما أُسقط ذكرُ المذكورة ووصفُ تعشّقهم من هذه الاشعار ومن نظائرها من مديح ذوى الاخطار وما وجدتُ ذلك فى شىء من اشعار المتقدّمين وانّما عُرِف الآن فى شعر المحدثين واين ظرفُ النساء وحُسنُهنّ من غيرهنّ واين ملاحةُ سلامهنّ وحلاوةُ كلامهنّ ومستحسَنُ مداعبتهنّ ومحبوبُ معاتبتهنّ ومليحُ مراسلتهنّ لا سيّما ان شُبْنَ هواهنّ بالغيرة على محبّتهنّ والتدلُّلِ على متعشّقيهنّ وصددن من غير زَلَل وهجرن من غير مَلَل وهنّ والله فى كلّ احوالهنّ القاتلاتُ بأفعالهنّ وصالُهنّ ختلٌ وصدُّهنّ قتلٌ وهنّ المالكاتُ للقلوب السالباتُ للعقول اذا خلون مزحن وان ظهرن نظرن فقتلن بلحظ عيونهنّ وصرعن بكسر جفونهنّ واحيَيْن بقولهنّ الكاذبِ ووعدهنّ الخائب فلا شىء احسنُ من مطلهنّ ولا ألذّ من خُلف وعدهنّ وقد استحسنت الشعراء ذلك منهنّ ومدحته فى كثير من الاشعار فيهنّ، اخبرنى احمد بن يحيى عن الزبير بن بكّار عن سليمان بن عيّاش السعدىّ عن ابيه عن جدّه قال حدّثنى السائب راوية كثيّر قال كان كثيّر رجلا مذبوبا لا يستقرّ فى مكان فقال لى ذات يوم أذهب بنا الى ابن ابى عتيق نتحدّث عنده فاتيناه فاستنشد ابن ابى عتيق كثيّرا فانشده

١٠٤ أبائنةٌ سُعدَى نَعَمْ سَتَبِينُ كما انْبتّ من حَبْلِ القَرِينِ قَرِينُ
أأن زُمّ أجمالٌ وفارَقَ جيرَةٌ وصاح غرابُ البَينِ انتَ حزينُ
كانّك لم تَسمع ولم ترَ قبلها تفرُّقَ أُلّافٍ لهنّ حَنينُ
حنينٌ الى أُلّافهنّ وقد بدا لهنّ مِنَ الشَكّ الغداةَ يَقينُ

حتّى اذا بلغ الى قوله

فأَخْلفن ميعادى وخُنّ أمانتى وليس لِمَن خان الامانةَ دينُ

فقال ابن ابى عتيق اوَعلى الدين محبتُهنّ يابن ابى جُمْعة ذلك املح

لهنّ وأَدْعَى للقلوب اليهنّ عُبيد الله بن قيس الرقيّات اشعر منك حيث يقول

حبّذا الادلال والغُنُجُ والّتى فى طَرفها دَعَجُ
والتى إن حَدَّثَتْ كَذَبَتْ والّتى فى وَصْلها خَلَجُ
وترى فى البَيْتِ صُورتها مثلَ ما فى البيعة السُرُجُ
خَبِّرونى هل على رَجُلٍ عاشقٍ فى قُبلة حَرَجُ

فقال لا ان شاء الله وانصرف، وقال القطامىّ يستحسن ذلك من أفعالهنّ ويصف ملاحة اعتلالهنّ

وأرى الغوانىَ انّما هِىَ جِنّةٌ شِبْهُ الرِياحِ تُلَوِّنُ الأَلْوانا
واذا حَلَفْنَ فهنّ اكذَبُ حالِفٍ حَلِفًا واملحُ كاذبٍ إيمانا

وقد احسن محمود الورّاق حيث يقول

اصطبِحْ كأْسَ شرابٍ وأْغتبِقْ كأْسَ تَصابِى
وأْجعَلِ الايّامَ قَسْمًا بين عَتْبٍ وعِتابِ
ووِصالٍ وأْهتِجارٍ وبِعادٍ وأْقتِرابِ
وأْجتِنابٍ فى دُنُوٍّ ودُنُوٍّ فى أْجتِنابِ
ورَسولٍ بكِتابٍ وانتِظارٍ لِلجَوابِ
وقُنُوعٍ من حبيبٍ بالمَواعيدِ الكِذابِ
ليس فى الحُبِّ ولا الصَبْوَةِ حَظٌّ للصَوابِ

وقال بعض المُحدَثين

ليس يُستحسَنُ فى حُكم الهوَى عاشقٌ يُحسِنُ تأليفَ الحُجَجْ
بُنِىَ الحبُّ على الجَوْر فَلَوْ أنصَفَ المعشوقُ فيه لَسَمُجْ

وقال اخر واحسن فى قوله

ألا انّنى راضٍ بما حَكَمَتْ جُمْلُ وانْ كان لى فيه البَلِيّةُ والقَتْلُ
فكُرُّوا علىَّ العَذْلَ فيها فانّنى رأيتُ الهوى فيها يُجَدِّدُهُ العَذْلُ
وما كان جِئتُها لبَذْلٍ رَجَوْتُهُ لَدَيْها فأَخْشَى أن يُغيِّرهُ البُخْلُ

ومن ذلك قول جَميل بن معمر العُذرىّ

ولستُ على بَذْلِ الصَفاء هَوِيتُها   ولكنْ سَبَتْنى بالدَلال مع البُخْلِ

وقال ايضا

ويَقُلْنَ أنّك يا بُثَيْنَ بخيلةٌ   نفسى فِداؤُكِ من ضَنينٍ باخِلِ

ويقلن أنّك قد رَضيتَ بباطلٍ   منها فهل لك فى أعتزالِ الباطلِ

ولَباطلٌ ممّن أَلَذُّ وأشتَهى   أدْنَى الىّ مِنَ البَغيض الباذلِ

ودخلت عَزّة على هشام بن عبد الملك بن مروان فقال يا عزّة اتعرفين قول كثيّر

وقد زعمتْ أنّى تغيّرتُ بعدها   ومَن ذا الذى يا عَزَّ لا يتغيّرُ

تغيّرَ جِسْمِى والخليقةُ كالّذى   عَهِدْتِ ولم يُخبِرْ بسِرِّك مُخْبِرُ

فقالت ما اعرف هذا ولكنّى اعرف قوله

كانّى أُناجِى صَخْرَةً حين أعْرَضَتْ   من الصُمِّ لو يَمْشِى بها العُصْمُ زَلَّتِ

صَفُوحٌ فما تَلْقاكَ الّا بخيلةً   فمن مَلَّ منها ذلك الوَصْلَ مَلَّتِ

وانشدنى احمد بن عُبيدٍ لِرفاعة الفَقْعَسىّ

الم تَعْلَما أَمْ لا وكلُّ بَلِيّةٍ   من الدهر يَفْنَى بؤسُها ونَعيمُها

ولم تَجِدا بَلْجاء الّا بخيلةً   وإن أيسَرَتْ وٱحتاجَ يومًا غريمُها

وانشدنى محمّد بن يزيدٍ لكثيّر عزّة

وكَمْ من خليلٍ قال لى هل سألْتَها   فقلتُ نعمْ لَيْلَى اضَنُّ خَليلِ

وأَبْعَدُه نَيْلًا وأسْرَعُه قِلًى   وإن سُئِلَتْ نَيلًا فشَرُّ مُنيلِ

وانشدنى احمد بن يحيى لجميل بن معمر العُذرىّ

١٠٦ وهَجْرُكِ مِن تيْمَا بَلاءٌ وشِقْوَةٌ   عليكِ مع الشَوْقِ الذى لا يُفارِقُ

ألَا انّها ليستْ تجودُ لذى الهوى   بَلِ البُخْلُ منها شيمةٌ وخَلائقُ

وانشدنى ابن ابى خَيْثَمَة لعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود

وزادَكَ اغراءً بها طُولُ بُخْلِها   عليك وأَعْرَى لَحْمَ أعظُمِك الهَمُّ

ومثله قولِ الاحوص بن محمّد الانصارىّ

وزادنى كَلَفًا بالحبِّ أن مَنَعَتْ   أَحَبُّ شىء الى الانسان ما مُنِعَا
كَمْ من دَنِيٍّ لها قد كنتُ أَتْبَعُه   ولو صَحَا القلبُ عنها كان لى تَبِعَا

وقال جرير يذكر طول المطل والخُلف

واذا وَعَدْنَكَ نائلًا أَخلفنَه   واذا طُلِبْنَ لَوَيْنَ كلَّ غريمِ
يَرمِين من خَلَلِ السُتُورِ بأعيُنٍ   فيها السَقَامُ وبُرْءُ كُلِّ سَقيمِ

وقال ايضا

لَعمرُ الغوانِى ما جَزَيْن صَبابَتِى   بهنّ ولا يُحْبِبْن نَسْجَ القصائدِ
رأيتُ الغوانِى مُولَعاتٍ بذى الهوى   بِطُولِ المُنَى والخُلْفِ عند المَواعِدِ

وقال ايضا

الم تَرَنى بَذَلْتُ لهنّ وُدّى   وكذَّبْتُ الوُشاةَ فما جَزَيْنَا
اذا ما قلتُ جازَ لنا التَقاضِى   بَخِلن بعاجِلٍ ومَطَلْن دَيْنَا

وقال ايضا

يقلن اذا ما حَلَّ دَيْنُك عندنا   وخيرُ الذى يُقضَى مِنَ الدَيْنِ عاجِلُهْ
لكِ الخيرُ لا نَقْضِيك الّا نَسِيئةً   من الدَيْنِ او عَرْضًا فهل انت قابِلُهْ

وقال ايضا

واذا وَعَدْنَكَ نائلًا أَخلفْنَه   وجَعَلن ذلك مثلَ بَرْقِ الخُلَّبِ
إنّ الغوانِىَ قد قَطَعن مَوَدَّتِى   بعد الصفا ومَنَعن طِيبَ المَشْرَبِ

وقال كعب بن زهير

كانت مَواعيدُ عُرْقُوبٍ لها مَثَلًا   وما مواعيدُها الّا الأباطيلُ
فلا يَغُرَّنْك ما مَنَّتْ وما وَعَدَتْ   إنّ الأمانِىَ والأَحلامَ تَضْليلُ

وقال نُصَيْب

أَللبَيْنِ يا لَيْلَى جِمالُك تُرحَلُ   لِيَقْطَعَ منّا البَيْنُ ما كان يُوصَلُ
١٠٧ تُعَلِّلُنا بالوَعْدِ لَيْلَى وتَنْثَنِى   بمَوْعودِها حتّى يموتَ المعلَّلُ

وقال كثيّر

وإنّى لَأَرضَى مِن نَوالِكِ بالذى   لَوَ ٱبْصَرَه الواشِى لَقَرَّتْ بَلابِلُهْ

بَلَى وبأن لا أستطيعَ وبالمُنَى وبالوَعْدِ والتَسْويف قد مَلَّ آمِلُهْ

وقال اخر

يا رَبِّ خُذْ لى مِنَ المِلاحِ فَقَدْ هِجْنَ لِقَلْبِى مِنَ الهوى خَبَلَا
مِنَ اللَّوَاتى يَقُلن لَنْ ونَعَمْ وهَا وحتّى وقَدْ وسَوْفَ ولَا

والذى جاء فى ذلك كثير يطول شرحُه ويُعْيِى وصفُه وقد مضى من الفصل ما فيه كفاية لذوى العقل وقد افردنا كتاب القيان لذمّ عُظْم القيان فأغنى ما فى ذلك الكتاب عن تكثير هذا الباب فاعرفه ان شاء الله، واعلم انّ الهوى والحُبّ والبُخل والعشق والغزل يَحسن بأهل النعمة واليسار ويُزرى باهل الاملاق والاقتار ولسنا نقول انّه محرّم على هؤلاء لاعسارهم ولا محلّل لأُولئك ليسارهم وليس بالغِنَى ما يُدخِل اهلَ الجهالة فى الوصف ولا بالفقر ما يُخرِج اهل الادب من الظرف وقد قال بعض الشعراء

قد يُدرِك الشَرَفَ الفَتَى ورِداؤُه خَلَقٌ وجَيْبُ قميصه مرقوعُ

وليس اسباب الهوى مبيّنة عن اليسار والسعة والغَناء والبذل والعطاء والنفقات الغزيرة والصِلات الكثيرة والهبات الهنيّة والهدايا السريّة والمُختَلّ المُعدِم والمُقِلّ المُعسِر لا حيلةَ له فى ذلك فمَن تعرّض للهوى ومال الى الصِبَى لم يحسن ذلك به لافلاسه وقلّة ذات يده واقلاله وما هلك امرؤٌ عرَفَ قَدْرَه، واجهلُ الناس مَن عدا طَوْره وقد قال بعض السخفاء يعيب بجهله على الظرفاء الم يعلم انّه لا يكون لفقير ظرفٌ ولا يُرفَع اليه طَرْفٌ ولا يقع عليه وصفٌ والفقير مذمومٌ بكلّ لسان
١٠٨ والغنىّ محبَّب الى كلّ انسان وانشد قول عروة بن الورد

ذَرِينى للغِنَى أَسْعَى فانّى رايتُ الناسَ شَرُّهُمُ الفقيرُ
وأَحقَرُهم وأَهوَنُهم عليهم وان أَمْسَى له كَرَمٌ وخِيرُ
يُباعِدُه الدَنِىُّ وتَزدَرِيه حَليلَتُه ويَنْهَرُه الصغيرُ

وقد اخطأ العائب لهم فى مقاله وتكسّع فى خيرته وضلالته لأنّ عروة

لم يذهب الى ثلب الادباء ولا الى تعنيف الظرفاء وانّما عنّف على طول الاهمال وحثّ على تكسّب الاموال وهذا مثل قول الاخر

لعمرُكَ إنّ المالَ قد يَجعل الفتى   نَسيبًا وانّ الفقْرَ بالحُرّ قد يُزْرِى
وما رَفَعَ النفسَ الدنيّةَ كالغِنَى   ولا وَضَعَ النفسَ الكريمةَ كالفقْرِ

ومثل ذلك قول الاخر

الفَقْرُ يُزْرِى بأقوامٍ ذوى حَسَبٍ   وقد يُسوِّدُ غيرَ السَيِّدِ المالُ

وكقول الاخر

أَجَلَّكَ قومٌ حين صرتَ الى الغِنَى   وكلُّ غَنِيٍّ فى العُيُونِ جَليلُ
اذا مالتِ الدُنيا الى المرء حوَّلَتْ   اليه ومالَ الناسُ حيث تَميلُ

فهولاء لم يذهبوا الى تفنيد المتظرّفين ولا الطعنِ على المتفنّنين وكيف والتظرُّفُ بهم أَليَقُ وسمةُ الظرف عليهم أصدقُ وهذا الباب قد ذكرتُه على جملته فى كتاب نظام التاج فى صفة الأَنْوَك المرزوق والظريف المحتاج وجعلنا جملة ما مرّ فى كتابنا نصفةً بيننا وبين مَن زعم انّ الامر ليس كذلك والذى زعم انّه لا يكون للفقير ظرف قد تجاوز فى الجهالة والسخف بلى انّ الظرف بذى التقلّل مليح ولكنّ الهوى والعشق بهم قبيح وذلك انّ الفقير إنْ طلب لم يَنَلْ وإن رام بُلوغًا لم يَصِلْ وإن استوصل لم يوصّل فهو كَمِدُ القلب عازِبُ اللبّ حزينُ النفس ميّتُ الحِسّ ذاهِلُ العقل بعيدُ الوصل فتركُه التعرُّضَ لِما لا ١٠٩ يقدر على بلوغ اتمامه أَولَى من تلبُّسه بما يزيده فى اغتمامه وقد يجوز ان يكون ظريفا بغير عشق كما كان عاشقا بغير فسق لانّه لا تهيّأ له اقامةُ حدودِ العشق والظرفِ بلباقته ونظافته وتخلُّقه وتملّقه ومداراتِه ومساعدتِه ولا يتهيّأ له القيامُ بحدود العشق اذ لا مالَ له فيُعينه على هواه ولا مقدُرةَ له فتُبلّغه رضاه وإن بُلِيَ بمن يستهديه ويستكسبه ويطلب برّه ويريد فضله وهو لا يقدر على ذلك فهى الطامّة الكبرى والمصيبة العظمى والحسرة الّتى تبقى والكمد الذى لا يفنى

فليتحرّز الاديب من الهوى قبل وقوعه فى العطب وليتحفّظ منه قبل طلبه التخلّص من شركه فلا يقدر على الهرب وقلّ من رايتَ وقع فى هوى فنجا من غُلّـه او امكنه التخلُّص من حبله ولن يقـدر على التخلّص من الـهـوى بعـد الـوقـوع فى دَرَك البلا الّا مالكٌ لقلبه مانعٌ لـغَـرْبـه حـازمٌ فى فعله جامعٌ لعقله فانّ الاديب اذا كان بهذه الصفة ورأى آيات الملل وعلامات المذل وامارات الـغـدر ودلالات الـهـجـر بادر فريستَه وتخلّص مُهْجتَه وزجر قلبه وصرف حبّه ولم يُقم على طول الجفاء ولم يعرّض نفسه لطول البلاء ولم يستعبدها بالتذلّل والخشوع والتضرّع ولكنّه يصرفها صرفَ مقتدرٍ عَيوف ويمنعها منعَ مالكٍ عَزوف وقد شرحتُ لك ما قيل فى المصارمة بابًا لتقف عليه ويَبين لـك صحّة ما فيه ان شاء الله ولا قوّة الّا بالله ✿

٢١ باب ما جاء فى مصارمة ذوى الغدر والمـبـادرة عـنـد المـلـل والهجر

١١٠ اعـلـمْ انّ صَبـرَ المحبّ على هجر الحبيب تجرُّعُه للغُصَص والتعذيب ومعالجةُ الزفير والنحيب وتـقـلـقُلُ القلبِ لِفَـرَقِ الوجيب من العجز الظاهر والموتِ الحاضر والمبادرةُ بالانصراف بـعـد تـغـيّـر الأُلّاف من الحزم المكين والرأى الرصين وانّ من احسن ما قـيـل فى المصارمة قـول زهير ابن ابى سلمى حيث يقول

الا يالَ قومٍ للصِبَى اذ يقودنى ‫ ‬ وللوصْلِ من أَسْمآ اذا أنا طالبُهْ
فـلَيْتَكَ قَاليِنى فلا وَصْلَ بيننا ‫ ‬ كذلكَ مَن يَستَغْنِ يَستغْنِ صاحِبُهْ

وممّا يتعلّق بهذا قول المتلمّس

فـإنْ تُقبِلى بالوُدّ نُـقبِـلْ بمثله ‫ ‬ وإلّا فـإنّـا نحن أَنْأَى وأَشْمَسُ

ومثله قول نافع بن خَليفة

بـآيَـةِ ما قـالت غَنِيتَ بغَيْرِنا ‫ ‬ ونحن سنَغْنَى عنك مِثْلًا ونَصْدِفُ

وقال اخر

فان تُقبِلى بالودّ نُقبلْ بمثله   وان تُدبرى أُدْبِرْ الى حال باليَا
ألمْ تَعلمى انّى قليلٌ لُبانَتى   اذا لم يكن شئٌ لشىءٍ مُؤاتيَا

وقال اخر

فان تُقبِلى بالودّ نُقبِلْ بمثله   وان تُؤذِنينا بالصريمة نَصْرِمِ

ومثله قول عمر بن ابى ربيعة

سَلامٌ عليها ما احبّتْ سلامَنا   فإنْ كَرِهتْه فالسلامُ على أُخْرَى

ومثله قول الاخر

وكنتُ اذا خليلٌ رام صَرْمِى   وجدتُ لَدَىَّ مُنفَسَحًا عَرِيضَا

واجاد ابو ذُويب الهذلىّ حيث يقول

فان وَصَلَتْ حبلَ الصفاء فدُمْ لها   وان صرمتْه فانْصرفْ عن تَحامُلِ

ومثله قول ابراهيم بن العبّاس

بقَلْبى من هوى البيضِ انْصِرافُ   وتُعجِبُنى من البِيضِ القِضافُ
فإنْ أَنْصَفْنَ فى وُدّى والّا   فليس علىَّ من قلبِى خِلافُ

وقد احسن الذى يقول

۱۱۱ كَمْ مِن أخى ثقةٍ قد كنتُ آمُلُه   هَبَّتْ عليه رِياحُ الغدرِ فانْتقضَا
أعملْتُه حِينَ لم أمْلِكْ صِيانتَهُ   ثمّ انْقَبضتُ بوُدّى مثلَ ما انْقبَضَا
وقلتُ للنفس عُدّيه فتًى نَزَحَتْ   به النَوَى او من القَرْضِ الذى انْقرَضَا
فما بكيتُ عليه حين فارَقنى   ولا وجدتُ له بينَ الحشا مَضَضَا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

أميطى الهوى ان شئتِ عنّى فانْقُضى   عُهُودَ الهوى واسترزِقِى اللهَ فى سَتْرِ
فلو كنتِ لى عَيْنًا اذًا لفقأْتُها   ولو كنتِ لى أُذْنًا رميتُك بالوَقْرِ
ولو كنتِ لى كَفًّا اذًا لقطعتُها   ولو كنتِ لى قلبًا نزعتُك من صَدْرِى
سألْتُك هل للناقِضِ العهدَ والذى   يَجُونُ سِوَى الاعراضِ والصدِّ والهَجْرِ
فان شئتِ فاقْلِينى وان شئتِ فاعرِضى   فواللهِ ما أمسيتِ منّى على أمْرِ

ولقد احسن الخليع حين يقول

هَوِيتُكُمُ جُهْدِي وزِدتُ على الجُهْدِ ولم أَرَ فيكم مَن يُقيمُ على العَهْدِ
فان أُمْسِ فيكم زاهدًا بعد رَغْبةٍ فبعد ٱختبارٍ كان فى وَصْلكمْ زُهْدى
لعمرى لقد أُغضيتُ فيكم على التى تُجرِّعنى المكروهَ من غُصَصِ الحقْدِ
تأنّيْتُكم بُقْيَا الصديقِ لتَقصدوا وتأبَوْنَ الّا أن تَجوروا عنِ القَصْدِ
تَعَزَّوْا بيأْسٍ عن هواى فانّنى اذا ٱنصرفَتْ نفسى فهَيْهاتَ من رَدّى
أَبَى القلبُ الّا نَبْوَةً عن جميعكُمْ كنَبْوتكم عنّى ففى السُحْقِ والبُعْدِ
أَرَى الغدرَ ضِدًّا للوفاء وانّنى لأَعلمُ أنّ الضدَّ يَنْبو عن الضدِّ
اذا خُنْتُمُ بالغَيْبِ عَهْدى فما لكُمْ تُدِلُّون ادلالَ المُقيمِ على العَهْدِ
صِلُوا فٱفعلوا فعْلَ المُدِلِّ بوصله والّا فصُدُّوا وٱفعلوا فعْلَ ذى الصَدِّ
فكَمْ من نذيرٍ كان لى قبلُ فيكمُ وهأَنَذا فيكُمْ نذيرٌ لمَن بَعْدى
فوَا أَسَفًا من صَبْوَةٍ ضاعَ شُكْرُها مَضَتْ سَلَفًا فى غيرِ أَجْرٍ ولا حَمْدِ

وانشدنى بعض المحدثين

هجرتُ حبيبًا كنتُ أَحسبُ انّنى سأَقضى حَياتى قبلَ هجرانه وَجْدَا
وذلك أنّى كنتُ صَبًّا بحُبّه أُجاوِزُ للافراط فى حبّه الحَدَّا
فقابلَنى من قلّة الحفظ للوَفا بأن خانَنى وُدّى ولم يَرْعَ لى عَهْدَا
فقلتُ لقلبى بالمَلامة فٱصطبِرْ ورُمْ سَلْوَةً تلقى بسَلْوَتك الرُشْدَا
١١٣ فطاوَعَنى قلبى فبتُّ مُسَلِّمًا أُفتِّشُ عن وُدّى فلا أَجِدُ الوُدَّا

وانشد ابو الطيّب لنفسه فى مثل ذلك

عَتَبْتُ عليكم مرّةً بعد مرّةٍ وأَفرطتُ فى التعذالِ واللَوْمِ والزَجْرِ
فلمّا رأيتُ القولَ ليس بنافعى ولا النَهْىَ مقبولًا لدىّ ولا أَمْرِى
زجرتُ فُؤادى زَجْرةً عن هواكُمُ وقلتُ له سِرًّا فأَصْغَى الى سِرِّى
أَفِقْ كَمْ يكون الهجرُ ممّن تُحبّه وهجرُ الذى تهوى أَحَرُّ من الجَمْرِ
وصَبْرُك لو تدرى على الهجر ساعةً وقد كنتَ ترجوه احرُّ من الجَمْرِ
تَعَزَّ فانّ الغدر منه سَجِيّةٌ ولا داءَ أَدْوَى من مُعالجةِ الغَدْرِ

تَعَزَّ فانّ اليأس يُذهِبُ بالهوى   ولا شىء أَشْفَى للفؤاد من الهَجْرِ
تعَزَّ وداوِ القلبَ منك بهَجْرِه   ففى الهجر لو يأتى شفا غُلّة الصَدْرِ
فطاوعنى قلبى فبتُّ أَرَى الهوى   وما كنتُ فيه كالجُنُون أوِ السِحْرِ
واصبح قلبى فارغًا من هواكُم   كأنْ لم يكن عاناه فى سالفِ الدَهْرِ
واضحى وما فيه من الحبّ والهوى   اذا قيس مقدارُ العَشيرِ من الذَرِّ

ولقد احسن الذى يقول

وَدِدْتُك لمّا كان وُدُّك خالصًا   وأعرضتُ لمّا صار نَهْبًا مقسَّمَا
ولن يَلبث الحَوْضُ الوثيقُ بناؤُهُ   على كَثْرةِ الوُرّادِ أن يتهدَّمَا

وقال اخر

لا أشْتَهِى رَنْقَ الحِياضِ ولا التى   تُخاض ويَغشاها المطرَّحةُ الجُرْبُ
ولا أشتهى الّا مَشارِبَ أُحرِزَتْ   عن الناس حتّى ليس فى مائها عَبُّ

وانشدنى احمد بن يحيى

وانّى لَأستحيى مِنَ الله أن أُرى   رديفَ وِصالٍ او علىّ رديفُ
وأَشرَبَ رَنْقًا منكِ بعد مَوَدّة   وأرضى بحَبْلٍ منك وهو ضعيفُ
وانّىَ للماء المُخالِطِ للقَذى   اذا كَثُرَتْ وُرّادُه لَعَيُوفُ

ومثله قول الاخر

لقد زعمتْ ريّاك انّك غادرٌ   وانّك للشُرب الغَداةَ عَيُوفُ
لقد كذبتْ ما إن أَعِيجُ بمَشْرَبٍ   أُجاجٍ وما لى فى الوصال رَديفُ

واخبرنى احمد بن يحيى عن الزبير بن بكّار قال كان نُصَيْبٌ يأتى خُلّةً ١١٣ له بالأبْواء وكان اذا اتاها رحّبت به امّها واكرمته وفرشت له الى جنب ابنتها فجاء يوما وعندها فتى اصفر كانّه مُسْرٍ يتولّج عليهم بيتهم بغير اذن ويختلط بهم اختلاطا يكرهه نصيب فوثب الى رحله فشدّه على راحلته فعلقت به الجارية وقالت الا تبوء عندنا يا ابا محجن كعادتك فقال

اراكِ طَمُوحَ العين طارفةَ الهوى   لِهذا وهذا منكِ وُدٌّ مؤالِفُ

فإن تَحملی رِدْفَیْنِ لا آلُ منهما   فجِیئِی بفردٍ إنّنی لا أُرادِفُ

وانشدنی ابراهیم بن محمّد النحوی لنفسه

یا مَن تَوَهَّمَ أنّنا نَهواهُ   ونَذوبُ شَوْقًا إن نأى مَثْواهُ

كذَبَتْكَ نفسُك فی بِعادك راحةٌ   اذ كنتَ ممّن مُهْجتی تسلاهُ

لا یَجمع القلبُ القریحُ صبابةً   وتَأَذِّیًا منه بمن یهواهُ

لكنْ اذا حلّ الأذى صَرَفَ الهوى   فأنزاح عن قلبِ المحبّ هواهُ

ومثل ذلك قول اسماء بن خارجة الفزاریّ

خُذی العفوَ منّی تستدیمی مودّتی   ولا تَنطقی فی سَوْرتی حین أَغْضَبُ

فانّی رایتُ الحبَّ فی القلب والأذى   اذا اجتَمَعا لم یَلبثِ الحبُّ یَذْهَبُ

ومثله قول الاخر

وصلتُك لمّا أن رایتُك واصِلًا   وباعدتُ حبلَ الوصلِ لمّا بدا لَكَا

توهّمتُ منك الحفظَ والرَّعْیَ للهوى   یكون فلمّا أن رایتُ فَعالَكا

زجرتُ فؤادی واجتَنَبْتُك بعد ما   رایتُ ونَحَّیْتُ الهوى عن أثائكا

فإن قال قومٌ إنّ فی الناس عاشقًا   سَلا سُرعةً یومًا فانّی ذالِكا

وانشدنی غیره ایضا

منحتُكمُ صفوَ المودّة والهوى   وأفرطتُ حتّى جُزتُ فی ذلك الحَدّا

واعطیتُكم منّی القیادَ ولم اكُنْ   لأُعطِیَه مَن أهوى ولو شَقَّنی وَجْدا

فقابلتُمونی ضدَّ ما قد منحتُكمْ   وما كان حَقّی أن أُقابَلَه ضدّا

فقد نلتُ ممّا كان منّی من الهوى   وآلَیْتُ ألّا أُخلصَ الحبَّ والوُدّا

فإن شئتمُ جُذّوا الوصالَ من الهوى   وان شئتمُ خُونُوا القطیعةَ والعَهْدا

فأنّی بَرِیٌّ لا ذكرتُ مودّةً   ولا عِشْتُ إلّا سامِرِیًّا كذا فَرْدا

وانشدنی ایضا لنفسه

مَن سَلا عنك فَاْسْلُهُ   لك فی الناس مِثْلُهُ

لا تقولنّ لِمْ وكَمْ   وعَسَى او لَعَلَّهُ

فالعَسَى یَعقدُ الهوى   والتَعَزّی یَحُلُّهُ

كلّ حُبّ اذا ٱنقضى بعضُه هانَ كُلُّهُ

وانشدنى ابو عبد الله بن مُسرِف لنفسه

أُدْنُ من كلّ صاحب يَدْنُ شبرًا منك بالوصل والوِداد ذِراعَا
واذا ما نَأَى ذراعًا فزِدْهُ انت بالهجر والقطيعة باعا
ثمّ لا تَطعَنَنّ يومًا عليه بعُيُوب وإن شَنَاك سَماعَا

وهذا الباب على كثرته واتّساع القول فى صحّته يعزّ على الاديب فعلُه ويمنعه من اتيانه شغلُه لانّه لا يقدر احد على التخلّص من الهوى بعد الوقوع فى شَركه واشرافه على مَهول مهلكه الّا بعد همّ دخيل وسقمٍ طويل وفكرٍ قاتل وشغلٍ شاغل فتحرُّزُ ذوى النُّهَى من الهوى بالنزوع اولى من اعمال الحيلة فى طلب التخلّص والرجوع واعلم انّه لا يصلح العشق الّا لأربعة لذوى مروّة ظاهرة او زيّ طاهرة او ذى مالٍ واسع او ذى ادبٍ بارع ويقبح ممّن سواهم لانّ الفقير اذا تعدّى طوره ورام ان يجاوز قدره قبح ذلك به كما انّه يقبح بذى الغنى تركُ التعرّض لاسباب الهوى وذلك لصغر نفسه الدنيّة وسقوط همّته الرديّة لا يمنعه من طلبه قلّةُ ذات يده ولا تعذُّرُ الجَدّ بل فسادُ الطبع وعدمُ الحاسّة وموتُ الذّات وبعدُ فان كنّا فى تقدُّمنا فى غرض خطابنا وفصول كتابنا باباحة العشق والهوى ودعَوْنا اليه الادباء وحثثنا عليه الظرفاء وملأنا بذلك كتابنا فانّا نفرد للنصيحة فيه بابًا يميل اليه اهل التدبير واهل المعرفة والتبحّر ويرغب فيه العاقل ويزهد فيه ١١٥ الجاهل لانّى لم أُخْلِه من كلام منثور وشعر مشهور فقفْ على ما اصّلتُ يبنْ لك ما فرّعتُ ان شاء الله

٢٢ باب النهى عن الهوى

والتعرّض لاسباب الضنى

اعلمْ انّه يقبح بالرجل الاديب والعاقل اللبيب ان يستخذى فى هواه

ويملك قلبَه سواه ويكون خادِمَ قلبه واسيرَ حبّه لا سيّما مع تغيّر الزمان وغدر الاحباب والخلّان ما يجد فيهم خليلا صادقا ولا يصاحب الّا مائقا ثمّ أنّ اجهل الجهالة واضلّ الضلالة صبرُ الفتى الاديب على غدْر الحبيب فانّ الصبر على الخيانة والغدر يضع من المروّة والقدر، وقد قال بعض الشعراء فاحسن

وانّى وإن حَنَّتْ اليكم ضمائِرِى فما قَدْرُ حَيٍّ ان يَذِلَّ له قَدْرِى

فلا ينبغى لأحد ان يَذِلّ لهواه فيُشمِتَ بنفسه اعداه ولا يركن الى واحدة من النساء الحرائر والاماء فكلّهنّ فى الغدر سواء وما لواحدة منهنّ عهد ولا وفاء، ولقد احسن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حيث يقول

الا ايّها القومُ المُحِبّون وَيحكُمْ تَعَزَّوْا عن الأحباب وٱحتَسِبوا الأَجْرَا

فما واحدٌ منهم بِوافٍ لواحد وصاحِبَتى تَجزِى وفائى لها غَدْرَا

فلو كنتُ مِن صَخْرٍ لما كنتُ صابرًا وما انا من صخرٍ وما أَترُكُ الصَبْرَا

وقد بلغنا انّ ببعض بلاد الهند قوما لا يعشقون ويرونه ضربا من السحر والجنون وذلك لمن فيهم الفلسفة ولهم الحكمة والتجربة وزعموا انّ سبب العشق سبب النوى وفيه المَذَلّة والعَناء ومنه يكون السقم والضنى واكثرُ مَن فى النساء وفاء اسرعُهنّ خيانةً وجفاء واعطاهنّ حلفا وايمانا اسرعُهنّ خبثا وسلوانا فيا رحمتى للادباء وشفقتى على الظرفاء فما
١١٩ أَطْوَلَ بلاءهم واكثَرَ شقاءهم واسخَنَ عيونهم يُبتلى العزيزُ منهم بالذليلة والكثيرُ منهم بالقليلة والشريفُ بالدنيّة والنبيلُ بالزريّة فيَطول فى عشقها سهرُه ويَكثر فى امورها فكرُه وتنهلّ عليها اذا نأت دموعُه ويطول لديها اذا قربت خضوعُه وهى تُظهر له المحبّة وتُبدى له الرغبة وتحلف بالايمان المُحرِّجات والعهودِ الموكّدات أنّه حظُّها من الادميّين وشغلُها دون سائر العالَمين وتُريه الجزع عند الفراق والفرحَ عند التلاقى فتملأ قلبَه همّا وتُورِثه ضنًى وسقما وهى تكاتب سواه ولا

تَعبأُ بهواه لها فى كلّ زاوية ربيط وفى كلّ محلّة خليط لم يَعدُها قول الشاعر

فيا مَن ليس يُقنعُها مُحبٌّ   ولا أَلْفا محبٍّ كلَّ عامِ
أَظُنُّكِ من بَقِيّةِ قومِ موسَى   فهُمْ لا يَصبِرون على طَعامِ
أَتَيْتُ فؤادَها اشكو اليه   فلم أَخلُصْ اليه مِنَ الزِحامِ

ولا قولُ الذى انشدنى قوله ايضا

الخانُ يَعجِزُ عن قومٍ اذا كثُروا   لكنّ قلبَكِ مثلُ الخانِ أَضعافُ
فى كلّ يومٍ له خمسون يَعشقُهُمْ   فى كلّ شَهرٍ له أَلْفٌ وآلافُ

وحكى الهيثم بن عدىّ انّ رجلا من العرب هوى جارية فتمسّك بودّها وركن الى محبّتها ثمّ اطّلع على انّها لا تردّ يد لامس فقطعها وانشأ يقول

ألا حَيِّ أَطْلالًا لِواسعةِ الحَبْلِ   أَلوفٍ تُسوِّى صالحَ القومِ بالرَذْلِ
فلو انّ مَن اضحى بمُنعَرَجِ اللِوى   الى الرَمْلةِ القُصْوَى بساقطةِ النَعْلِ
جُلوسًا الى ان يَقصُرَ الظِلُّ عندها   لَراحوا وكُلُّ القومِ منها على وَصْلِ

ومِن اكثر المُحال واحمق المَقال قناعة المرأة بصديق وصبرها على رفيق احسنُ مَن فيهنّ حالا واقلّهنّ اشغالا مَن لها صاحبٌ مشهور وخليلٌ مستور وربيطٌ تراسله وصديقٌ تجامله وإن كان ذلك لا لمالٍ ولا ١١٧
لطمعٍ وآمالٍ فقد كنّا تقدّمْنا فى باب صفة القينات وما طُبِعن عليه من المكر والخِيانات انّهنّ يكتسبن بالهوى والعشق ويُدارين بالتملّق والرفق وليس بنات البيوت فى الخدور وربّات الحِجال والقصور كذوات المذق من القينات وكذوات التكسّب من المتقنّيات فانّ هؤلاء معروفات بطلب الدراهم والاموال منسوبات الى التكسّب بتعشّق الرجال لا يقدم عليهنّ الّا مغرور ولا يثق بهنّ الّا مسحور وانّما يذهب على اهل الالباب واهل التظرّف والآداب مكرُ البنات المخدَّرات والغوانى المحجّبات اللواتى لم ترهنّ العيون ولم تكثر فيهنّ القالة والظنون اللواتى يبذلن

نفيسَ الاموال لمن يتعشّقنه ويعنّين من راسلنه وكاتبنه وتزعم انّهنّ وراء الحجاب ودون الاقفال والابواب وانّهن لا فرجَ لهنّ الّا فى المكاتبة ولا فرحَ الّا فى المراسلة ولا سرورَ الّا فى النظر من بعيد ولا يقدرن على اللقاء الّا فى الخروج فى كلّ عِيد وأولئك اللواتى تخفّ امورهنّ وتَعنِى سرائرُهنّ ويطمع الجاهل فيهنّ ويصبو النزق اليهنّ ويثق بحبّهنّ الاحداثُ والاطفال ولا يتمسّك بمودّتهنّ الّا الجُهّال مع انّ مكرهنّ اخفَى من الخيال واعظمُ من راسيات الجبال تنفذ حِيَلُهنّ على الرجال ويتمكّن كيدُهنّ من الأبطال وفيما خبّر الله جلّ ثناؤه فى بعض القرآن من عظيم كيدهنّ ولُطف حِيَلهنّ ما يُغنِى عن شرح كثير من سِرّهنّ وانّ فى قصّة زَليخا ويُوسُف ما يستغنى به ذوو العقل والافهام من مكرهنّ القوىّ وكيدهنّ الخفىّ ولن يحترز منهنّ الّا المجرَّب ويتّقى منهنّ الّا المدرَّب فانّ ذا الحنكة اذا كان بهنّ عليما وكان فى امورهنّ حكيما اخذ من حبّهنّ عَفوَه وشرب من هواهنّ ١١٨ صفوَه ولم يعلق بهنّ فؤاده ولم يملكن قياده وذلك لحسن الحال والرخىّ البال لم تُورّقه الغموم ولم تُنضجه الهموم لا كالذى غلب عليه الشقاء وأُتيح له البلاء فركن الى حبّهنّ ودعته الرغبة الى ودّهنّ فتمكّن منه الهوى وتفرّد به الضنى وتلك لا تَشعر بسهره ولا تعبأ بفِكَره وبالله أُقسمُ صادقا لو حلفتُ انّهنّ لا يعرفن شيئا من الوفاء ما حنثتُ ولو بحث المغرورُ بهنّ المخدوعُ بحبّهنّ عن صحيح اخبارهنّ وفحص عن مكنون اسرارهنّ لَوقف على صُورة غدرهنّ ولَبان له جملةٌ من مكرهنّ ولُهنَّ عليه بعد الكرامة ولَرجع على نفسه بالملامة كما انشدنى بعض الادباء لنفسه

أَوَصْلَكِ أَرْجُو بعد ان رَثَّ حَبْلُهُ لقد ضلّ سَعْيِى اذ رَجوتُ مَلُولَا
أَتُوبُ اليكِ اليومَ من كلّ تَوْبَةٍ فقد هُنْتَ فى عَيْنِى وكنتَ جَليلَا
اذا لم يَجِدْ الفى عن الغدر مَذْهَبًا وجدتُ الى حُسْنِ العَزاء سَبيلَا

فوالله لا أُرضيْتُ داعيةَ الهوى … اليك ولا اغضبتُ فيك عَذُولَا

وانشدنى ايضا

سأَغْدِرُ حتّى تَعجبوا من خِيانتى … فما لِىَ ذَنْبٌ غيرُ حُسنِ وَفائى

ولولا أُمورٌ عارضتْ ما سبقْتَنى … الى الغَدْرِ حَقًّا لو تُرِكْتَ ورائى

سأُنْزِفُ دَمعِى حَسْرَةً وتندُّمًا … على ما مضى مِن صَبْوتى وعَنائى

وانشدنى للحُسين الخليع

تُراكَ على الايّام تَنجو مسلَّمًا … ولستَ تَرى من غَدْرةٍ ابدًا بُدًّا

الستَ الذى آليتَ بالله جاهدًا … يمينًا وخُنْتَ اللهَ مَوْثقَه عَمْدَا

ألا فى سبيل الله وُدٌّ بذلتُهُ … لِمَن خانَنى وُدّى ولم يَرْعَ لى عَهْدَا

عَدِمتُكَ من قلبٍ أقامَ لغادرٍ … على العهد حتّى كاد يَقتُلُنى جِدًّا

ومن ذلك قول الحَكَمىّ

ألا فى سبيل الله وُدٌّ بذلتُهُ … لِمَن لم يكن منّى لمِعْشارِهِ أَهْلَا

سِوَى ما اذا فكّرتُ فيه وجدتَنى … أَفُوزُ به أنّى اكتَسَبتُ به عَقْلَا

١١٩

وانشدنى بعض الادباء لنفسه

تَوَافَيْتَ لى حتّى حسبتُك مُغْرَمَا … واعرضتَ حتّى خِلْتُ نفسِىَ مُجْرِمَا

وما لكَ شىءٌ منهما غيرُ أنّنى … اراكَ ترى نَقْضَ المَواثيقِ مَغْنَمَا

وما كنتُ ادرى كيف يَصبرُ عاشقٌ … ولا كيف يَسلَى بعد ان يتتيَّمَا

فأنقذْتَنى بالغدر من غَمْرةِ الهوى … وعلّمتَ قلبى الصبرَ حتّى تَعَلَّمَا

ولو لم تُخَلِّصْنى بغدرك لم أَجِدْ … الى سَلْوةٍ حتّى القيامةِ سُلَّمَا

فلم تَرَ عينى قبل شَخْصِك ظالمًا … تَعمّدَ أَن يَجنِى فأَصبحَ مُنْعِمَا

فجُوزِيتَ عنّى بالذى انت اهلُهُ … فكلُّ امرِئٍ يُجْزَى بما قد تَيَمَّمَا

سيَنْدَمُ انسانٌ لعهدِ خليلِه … وقَلَّ لِمَن لم يَرْعَ أن يتندَّمَا

وانشدنى ايضا

يا قلبُ قد بانَ مَن كَلِفتَ به … فخَلِّ عنكَ البُكاءَ من أَثَرِهْ

شُغْلُكَ بالفِكْرِ فى تغيُّرِه … اعظَمُ ممّا لَقِيتَ من حَذَرِهْ

فقد يَسلَمُ العاجزُ الضعيفُ وقدْ　　تَتْلَفُ رُوحُ القويِّ من غِيَرِهْ
وقد يَفُوتُ القريبَ مَطلبُهُ　　وقد يَؤُوبُ البعيدُ من سَفَرِهْ
فإن يُذِقْكِ الوصالُ حَسْرتَهُ　　فقد جَنَيْتِ اللذيذَ من ثَمَرِهْ
فَٱرْحَلْ فمَن لا يَحِلُّ مَوْرِدُهُ　　يُفْضِ بهِ صَفْوُهُ الى كَدَرِهْ

ولقد احسن الحكميّ حيث يقول

ايّها المُنْتابُ عن عُفُرِهْ　　لستَ من لَيْلى ولا سَمَرِهْ
لا أَذُودُ الطيرَ عن شَجَرٍ　　قد بَلَوْتُ المُرَّ من ثَمَرِهْ

وانشدنى محمّد بن خلف احد الفقهاء واحسن فى قوله

اذا كنتُ لا أَنْفَكُّ منك مروّعًا　　بغَدْرٍ فانّ الهجر ليس برائعِ
اذا خانَنى مَن كنتُ أهوى وِصالَه　　فلستُ بجَنّاتِ الخُلودِ بقانعِ
أَبَتْ عَزَماتى أن يَقودَ زِمامُها　　الى غادرٍ بالعهد ذُلُّ المَطامعِ
فَيَا مَن به كانت حَياتى حبيبةً　　الىَّ ومَن لَوْلاهُ قَلّت رَوائعى
تَعَزَّ بيأسٍ عن تذكُّرِ ما مضى　　فلستُ لمن لم يَرْعَ عهدى بتابعِ
١٣٠ وانّى وإن لم يَرْقَ دمعى تأسُّفًا　　عليك فما قلبى اليك براجعِ

واجود ما قيل فى هذا الباب قول ابى ذُؤَيْب الهُذَلىّ

فإن تُعرِضى عنّى وان تتبدّلى　　خليلًا واحداكنّ سُوءٌ قِصارُها
فانّى اذا ما خُلّةٌ رَثَّ حَبْلُها　　وجَدَّتْ لِصُرْمى وٱستمرّ عِذارُها
وحالت كحَوْلِ القَوْسِ طُلّت وعُطّلتْ　　ثلاثًا فأَعْيَى رَدُّها وظِهارُها
فانّى قَمِينٌ أن أُوَدِّعَ عَهْدَها　　بحَمْدٍ ولم يُرفَعْ الينا شَنارُها

واحسن محمّد بن عبد الله بن طاهر حيث يقول

الم تر أنّ المرءَ تَدْوَى يمينُه　　فيَقْطَعُها عَمْدًا ليَسْلَمَ سائرُهْ
وكيف تراه بعد يمْناه صانعًا　　بمَن ليس منه حين تَدْوَى سَرائرُهْ

فهكذا لعمرى ينبغى ان يفعل الادباء وبمثل هذا فليتّعظ الظرفاء وقد يجب على العاقل المتأدّب وذوى الحُنْكة والتجارب ان يجعل المرأة بمنزلة الريحانة يتنعّم بنضرتها ويتمتّع بزهرتها حتّى اذا جاء اوانُ جفافها

وحالت عن حالها فى وقت قطافها نبذها من يده والقاها وباعدها من مجلسه وقلاها اذا لم يبق فيها بقيّة لمستمتع ولا لذّة لمتمتّع ولله درّ الذى يقول

تمتّعْ بها ما ساعفَتْك ولا تكُنْ … عليك شَجًا فى الحَلْقِ حين تَبِينُ
وإنْ هِىَ اعطَتْكَ اللِيانَ فانّها … لآخَرَ من خُلّانِها سَتَلِينُ
وان اقسمَتْ لا يَنقُضُ النأْىُ عَهْدَها … فلَيس لمخضوبِ البَنانِ يَمينُ

ومثل ذلك قول النَمِر بن تَوْلَب

وكلُّ خليلٍ عَلَتْهُ الرِعا … ثُ والحُبلَاتُ كَذُوبٌ مَلِقْ

ومن جيّد ما قيل فى هذا الباب ممّا يجب قبوله على ذوى الالباب قول الحكم بن معمر الخُضْرىّ احد بنى حِصْن بن مُحارِب

وبعضُ الهوى داءٌ وفى اليأس راحةٌ … اذا انْبتّ وصلٌ لو نَبَا بك مَنْزِلُ
وذو العقل لا يَأْسَى على وَصْلِ خُلّةٍ … اذا لم يكن يومًا عليها مُعَوَّلُ
فلا تَرضَ بالامر الذى ليس بالرِضَى … اذا كنتَ تَعْتامُ الامورَ وتَفْصِلُ
اذا المرءُ لم يُحبِبْكَ الّا تكرُّهًا … فَدَعْه ولا يَعْجَزْ عليك التَحَوُّلُ
وفى الارض أكفاءٌ وفيها مُراغَمٌ … عريضٌ لِمَن خاف الهَوانَ ومَرْحَلُ
وأن يُقطَعَ الامرُ الذى انت قادرٌ … على جَذّهِ منه أعَفُّ وأجْمَلُ

والكلام فى هذا الباب مطّرد والقول فيه منسرد ولكن كرهتُ به اطالة الكتاب واقتصرتُ على قليل من الخطاب وابديتُ نصيحتى للادباء واهل المعرفة والعقلاء واخبرتُ بما صحّ عندى وبالغتُ فى النصيحة جُهْدى فان رغب فيها راغبٌ فغيرُ ملوم وان زهد فيها زاهدٌ فغيرُ مذموم وانا اعود الى ذكر الظرف والهوى فقد مضى من هذا الباب ما كفى، واعلم انّ للعشق سُنّة مقصودة وللظرف شرائع محدودة ورايناا اربابه واهله وطُلّابه متّبعين لسُبْلها متمسّكين بحبلها متى حالوا عنها سُمّوا بغير اسم الظرفاء عند اهل الظرف ودُعوا الى غير سُنّة العُشّاق والادباء ولهم فيما استحسنوه من

الزىّ والطيب والثياب والهدايا والطعام والشراب حدٌّ محدود مستحسن معلوم وزىٌّ بين الطائفتَيْن مقسوم لا الرجال يتجاوزون ما حُدّ لهم الى حدّ متظرّفات النساء ولا النساء يتجاوزن حدّهنّ الى حدّ الرجال الظرفاء وانا اصف لك زىّ الفريقَيْن من الظرفاء والمتظرّفات واشرح لك ما عليه هولاء وهولاء من الزىّ والهيئات ان شاء الله ❁

۲۳ باب ذكر زىّ الظرفاء فى

اللباس المستحسن عند سَرَوات الناس

اعلمْ أنّ من زىّ الرجال الظرفاء وذوى المروّة الادباء الغلائلُ الرقاق والقُمُص السِفاق من جيّد ضروب الكتّان الناعمة النقيّة الالوان مثل الدَبيقىّ والجَنّابىّ والمبطّنات التاختَج والخامات ودَراريع الدرجرد والاسكَنْدَرانىّ والمُلْحَم الخَزّىّ والخُراسانىّ ومبطّنات القُوهىّ الرَطْب وأُزُر القَصَب الشَرْب والأَرْدِيَة المُحَشّاة العَدَنيّة والطَيالسة المُلْحَم النَيْسابُوريّة والمُصْمَتة الدَبيقيّة والجِباب النيسابوريّة والمُصْمَتة الطِرازيّة
۱۲۲ والوَشْى السَعْديّة والخُزوز الكوفيّة والمَطارِف السُوسيّة والأَكْسيَة الفارِسيّة والطَيالسة التُومُسيّة الزُرق السُلُوليّة وكلّ ما اشبه ذلك وقاربه ودنا منه وصاحبه وليس يُستحسن لبس الثياب الشَنِعة الالوان المصبوغة بالطيب والزعفران مثل المُلْحَم الاصفر والدبيقىّ المعنبَر لانّ ذلك من لبس النساء ولبس القينات والاماء وقد يلبسون ذلك فى الفصد والعلاجات ووقت الشراب والخَلَوات الغلائلَ الممسّكة والقمصَ المعنبرة والاردية الملوّنة والازر المعصفَرة وربّما استعملوها لفرشهم ولبسوها فى وقت قصفهم وتظرّفوا بها فى مجالسهم وتخفّفوا بها فى منازلهم والظهورُ فيها قبيح بالسوقة والظرفاء مستحسن من اهل النعَم وابناء الخلفاء وليس يُجيز اهلُ الظرف والادب لبسَ شىء من الثياب الدنسة مع غسيل ولا غسيلا مع جديد ولا

الكتّان مع المَرْوِىّ ولا البابِياف مع القُوهىّ ايضا واحسنُ الزىّ ما تشاكل وانطبق وتقارب واتّفق ❊

٢٤ باب زىّ الظراف فى التكك والنعال والخفاف

ومن زيّهم لبسُ النعال الزيجيّة والشاخان الكَنْباتيّة والمشعَّرة اليمانيّة والحُذْو اللطاف والمختّمة للخفاف ويشرك اسودُها بأحمر واصفرُها بأسود ويلبسون الخفاف الهاشميّة والمكسورة الكُتّابيّة ومن الأَدَم الثخين والاسود الرزين بالجوارب الخزّ والمِرْعِزّى والقزّ ويعيبون لبس الاحمر من الخفاف ولبس الدارشيّة للخفاف ويتخذون التِكك الابريسميّة والتكك الخزّيّة والمَطارِف القُطنيّة والمنقوشة الأَرْمَنيّة ❊

٢٥ باب زيّهم المخصوص فى الخواتيم والفصوص

التختّمُ بالعقيق الاحمر والفيروزَج الاخضر والفضّة المُحْرَقة والياقوت ١٣٣
الاسماجونىّ والبجاذىّ الخراسانىّ والمعرانيّة الحمر والياقوتيّة الصفر واليمانيّة السود الحسنة القدود على الخواتيم المِهْرانيّة والمضروبة المتوكّليّة ولا يتختّمون بالذهب وليس من زىّ ذوى الادب وانّما هو من لبس النساء ولبس الصبيان والاماء ❊

٢٦ باب زيّهم فى التعطّر والطيب
الذى من خالفه كان غير مصيب

ومن زيّهم فى التعطّر والطيب بالمسك المسحول بماء الورْد المحلول واستعمال العُود المعنْبَر بماء القَرَنْفل المخمَّر والندّ السلطانىّ والعنبر البَحْرانىّ والعَبير والذرائر المفتوقة بالعبائر وسوى ذلك من الطيب لا يقربونه والكافور لعلّة بَرْده لا يستعملونه الّا من حرارة ظاهرة او من علّة غالبة

او موضوعا على الجمر مخلوطا بعبير المسك وزعفران الشَّعْر وهو بهذه الصفة اطيب البَخُور، ولبس البَرْمَكيّة وما اشبهها عليهم بمحظور وانّ الجيّد من البرمكيّة من البَخُور الذكيّة وانّما يكره استعمالها المتظرّفون اذ هي ممّا يستعملونه المتقلّلون وكذلك اجتنبوا ماء الخلوق لانّه من طيب النساء والغاليةَ اذ هي من طيب الصبيان والاماء، ولا يستعملون شيئا من الطيب الذَفِر ممّا يبدو له لون ويبقى له اثر وفي ذلك حديث مأثور عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم انّه قال طيبُ الرجال ما ظهر رائحتُه، ومتى استعملوا شيئا من الغالية او طيب النساء كانت في اصول الشَّعْر بحيث يُشَمّ ولا يُرى له اثر ۞

١٢٤ ٢٧ باب في متظرّفات النساء

في اللباس المخالف لزيّ الظرفاء

لبس الغلائل الدُخّانيّة والأَردية الرشيديّة والشُروب المزنّرة والاردية الطَبَريّة والقَصَب الملوّن والحرير المعيّن والمَقانِع النَيْسابُوريّة وأُزُر المُلْحَم الخُراسانيّة والجُرْبّانات المَخانقيّة والكِمام المفتوحة والسَراويلات البيض المذيّلة والمَعاجِر السود المسنْبَلة ولا يلبسن شيئا من النِكَك ولا شيئا من المرشوش والمطيّب ولا النقيّة الالوان ولا من الثياب البياض الكتّان الّا ما كان ملوّنا في نفسه او مصبوغا من جنسه او مغيّرا بلون من اجناس الممسّك والمصنْدَل واجناس المعنْبَر والمسنْبَل لِيحوّل بالطيب عن تلك الحال اذ لبسُ البَياض عندهم من زيّ الرجال ولا يلبسن ايضا من الثياب الاصفر والاسود والاخضر والمورّد والاحمر الّا ما كان جنسه الصفرة والتزريق والخضرة والتوريد والحمرة مثل اللاذ والحرير والقزّ والديباج والوَشْي والخزّ لانّ لبس المورّد والاحمر والسنيرى الاخضر انّما هو من لبس النساء النَبَطيّات ولبس الاماء المتقيّنات والبياض عندهم من لُبس المهجورات والازرقُ والحِداد من لبس

الارامل والمقرّعات واحسن الذى عندهم ما ذكرناه ولبس يتجاوز حدّ ما رسمناه ۞

باب زيّهنّ المخالف لزىّ الرجال ٢٨

فى لبس التكك والخفاف والنعال

لبس النعال الكَنْباتيّة المشعّرة والمدهونة المخصّرة والخفاف الزنانيّة والمكسورة والرّهاويّة والتكك الابريسميّة والرجال يشركونهنّ فى التكك الابريسميّة ولا يشركن الرجال فى التكك الديباج المنسوجة وشرّابات ١٢٥ الابريسم المفتولة والزنانير العِراض ولا يذهبن فى الوانها الى البياض ولا ما كان منها كثير الالوان والتخطيط ويتطيّرن من الالوان وقد يلبسن ايضا التكك الخزّيّة المُطْرَفة القُطْنيّة ومن زيّهنّ ايضا فى الطيب الذى ليس للرجال فيه نصيب استعمالُ اللخالخ والصندل والصَبّاح والقرنفل الساهريّة والأنْقال والمعجونات والزعفران والخَلوق وماء الخلوق والكافور وماء الكافور والمثلّثة الخزائنيّة والبَرْمكيّة السُلْطانيّة وسائر صنوف الادهان من البَنَفْسج والزَنْبق والبان الّا انّهنّ اجتنبن استعمال النُرْشنام والرجال لا يستعملون شيئا من ذلك والنساء يستعملن جميع طيب الظرفاء والظرفاء لا يستعملون شيئا من طيب النساء ومن زيّهنّ المعلوم فى لبس الحَلْى المنظوم لبسُ مخانق القرنفل المخمّر ومراسل الكافور والعنبر والقلائد المفصّلة والمَعاذات المُخرّمة بشرّابات الذهب المشبّكة والابريسميّة المسلسلة واتّخاذ السَبَج اللطاف من المخروطة لخفاف ومثل السَبَج لحلك والكَوْهر والكرك والبلّور النقىّ وحبّ اللؤلؤ السرىّ والحبّ الاحمر والكاربا الاصفر وسائر صنوف الياقوت والجوهر وينظمن بالحبّ وصنوف الجوهر كرازنهنّ وينقشن بالابريسم والذهب عصائبهنّ ويتّخذن خواتيم المُقْرنة والمناقير المُطْبَقة بفصوص الياقوت الاحمر والزُمُرّد الاخضر والأسمانجونى والاصفر ولا يحسن بهنّ التختّم بالمينا والعقيق والفضّة والحديد والملوّح

والفيروزج والبجادى والمسانيج وذلك من لبس الرجال والاماء وليس من لبس متظرّفات النساء ولا يتّخذن منها ما ضاق وعسُر ولا ما جفا

١٣٦ وكبُر وقد تطيّر بعض الظرفاء من هديّة الخاتم وزعموا انّه يدعو الى القطيعة وتهاداه اخرون واقاموه مقام التذكرة والوديعة فامّا الذين تطيّروا منه فينشدون

وما كان هذا الهجرُ من طُول بِغْضة ... ولكنّ بعضَ المَزْحِ للمرء قاتلُ
مزحتُ لِحَيْنى مرّةً بخواتيمٍ ... لآخُذَه حلّتْ علىّ النوازِلُ
فصدّتْ ولم تَعلَمْ علىّ خِيانةً ... وطُولُ صدودِ الخِلِّ للعقل سامِلُ

وينشدون ايضا

انّى مزحتُ ولم أعلمْ بخاتَمه ... فكان منه آبتداءُ الهجرِ والغَضَبِ
قد كنتُ ما قال اهلُ الظرف أُنْكِرُهُ ... وكان قولُهمُ عندى من اللَعِبِ
أنّ الخواتيمَ فيها قَطْعُ وَصْلِكُمُ ... فقلتُ هذا لَعمرى غايةُ الكَذِبِ
حتّى آبْتُليتُ فكان الحقَّ قولُهمُ ... أَخْذُ الخواتيم فيه اكثرُ العَطَبِ

وانشدنى صديق لى فى ضدّ ذلك

يقولُ أُناسٌ فى الخواتيم أنّها ... تُقَطِّعُ أَسبابَ الهوى وأَقُولُ
بأنّ خواتيمَ المِلاحِ وَصُولةٌ ... وخاتمُ مَن تهوى المِلاحُ وَصُولُ

والعلّة فيما كرهه الظرفاء وتطيّر منه الادباء من هديّة التكّة والخاتم حتّى صار مستفيضا فى العالم انّ هذين وحدَيْهما من جميع اللباس أن يُستطرفا فيُستلبا ويُستحسنا فيُستوهبا وانّ الواحد اذا اهدى الى خليله وارسل الى حبيبه بخاتمه او تكّته ففقد ذلك من يده او حُزّته بعثه باعثٌ من غيرته على قطيعته وهجرته فامّا من يتلقّى هديّة آخائه بالقبول وينُزلها منه بالمنزل الجليل ويحفظها كحفظه لبصره ويشفق عليها من الدهر وغيره فهو آمنٌ من المجانبة مستريحٌ من المعاتبة وقد رايناهم ربّما اهدوا ذلك فيُهدونه على سبيل البيع ويأخذون منهم الشىء الطفيف اليسير كالدرهم الصغير والقطعة من البَخور

فيخرج بهذا البيع عن حدّ الهديّة ويأمنون ما فيه من مكروه البليّة وقد بلغنى انّ ابا نواس دخل على خالد خَيْلَوَيْه فنظر فى اصبعه ١٢٧ الى خاتم فقال أَرِينيه فدفعه اليه وكان علامة بينه وبين جارية يحبّها فانصرف فاستعمل واحدا على مثاله ثمّ بعث به اليها فانكرت الفصّ فبعثت به اليه ولم تأتيه فدخل على خياله فلمّا رآه مثل بين يديه وانشأ يقول

تَفديكَ روحى يأَبا جعفرٍ   جاريةٌ كالقَمَرِ الأزْهَرِ
تعلّقتْنى وتعلّقتُها   طِفْلَيْن فى المَهْدِ الى المَكْبرِ
كنتُ اليها نَتهادَى الهوى   بخاتمٍ لى غيرِ مُستَنْكَرِ
فأنكرَتْه اذ رأتْ فَصّهُ   فأدركتْها غَيْرةُ المُنْكَرِ
قالت لقد كان له خاتمٌ   احمرُ يَهديها الينا سَرِى
فاليومَ قد علّقَ غَيْرِى فقد   أَهْدَى له الخاتمَ لا أمْتَرِى
آمنتُ بالله وآياته   انْ انا لم أهجُرْه فليَصْبِرِ
او يأت بالحُجّة فى تُهْمَتى   ايّاه فى خاتمه الأحْمَرِ
فأرْدُدْه تَرْدُدْ وَصْلَها انّها   قُرّةُ عينى يأَبا جَعْفَرِ

فاخرجه من اصبعه فدفعه اليه فهذا دليل على اجازة تهادى الخواتيم وحفظها لأربابها وشدّة الغضب والغيرة عند ذهابها، فامّا الطعام فعيوبه اشدّ الاشياء على الظرفاء ضررًا وهم من عيوبه اشدّ توقّيًا وحذرا لتكاثف عيوبه وكثرة معيبه وانا ابيّن لك زيّهم فى ذلك وما استحسنوه فى ذلك واستعملوه وما استقبحوه فاجتنبوه ان شاء الله ۞

باب ذكر زىّ الظرفاء فى الطعام ٢٩
الذى بانُوا به عن منزلة اللئام

اعلمْ انّ اوّل ما استعملوه تصغيرُ اللُّقَم والتجالُل عن الشره والنَّهَم واكلُ الاوساط الرقاق والبزماوَرد الدقاق وليس يأكلون العَصَبَة والعَضَلَة ولا

١٢٨ العِرْق والكُلْوة ولا الكَرِش والقِبّة ولا الطِحال والرِئة ولا يأكلون القديد ولا يأكلون الثريد ولا ما فى القِدْر من الوَرَق ولا يتحسّون المَرَق ولا يتبعون مواضعَ الدَسَم ولا يملَعون ايديهم بالزَهَم ولا يجلّلون المِلْح وهو عندهم من اكبر القُبح ولا يكوكبون فى الخَلّ ولا يمعنون فى اكل البَقْل ولا يأكلون الطَلْع لشَبْه رائحته برايحة الماء الدافق ولا يمشّشون من العِظام كراديسَ قَصَب الساق الغليظ وانّما مُشاشهم ما لان وصَغُر ولا ما غلظ وكبُر ويأخذون ما ثقل من المشاش على ظهور الاصابع ويطرحونه ناحيةً من الخِوان ولا يزقّمون ما بين ايديهم من الرُغفان ولا يتعدّون مواضعهم ولا يلطعون اصابعهم ولا يملعون باللُقم افواههم ولا يدسّمون بكُبرها شفاههم ولا يقطّرون على اكفّهم ولا يحجلون فى مَضْغهم ولا يأكلون بجانبَىْ الشِدْقَيْن ولا يزاوجون بين الاثنين ولا يجاوزون ما بين ايديهم شىء من الفُتات ولا يأكلون قِدرًا بائتة ولا قدرًا مُسْخَنة ولا يَغمسون فى مَرَقة ولا يصعون لُقْمة ولا يأكلون شيئا من الكُوريج والصِحْناة ولا الرَبيْثاء والسُمَيْكات ولا شيئا من الكَواميخ والمالح واكْلُ ذلك عندهم من الفضائح الّا انّ القينات المتظرّفات والنساء القَصْريّات رُبّما تظرّفن بأكل المالح والمملوح فى منازل متعشّقيهنّ وبيوت مُرابطيهنّ فيذهبن مذهبَ طرح المؤونات وخفّة النفقات ولا يأكلون الجَراد والارْبِيان لعلّة شبههما بالاشياء القبيحة من الحَيْوان ولا يأكلون الحُبُوبَ التى تُهيّج الارياح وتولّد القرقرة والانتفاخ ولا يأكلون فى النهار اكثر من اكلة ويُكثرون القيام فى مجالسهم ولا يُكثرون من الضحك والكلام عند حضور المائدة والطعام
١٢٩ ولا يتخلّلون على المائدة قبل ان تَفرُغ ولا يحقّرون لمجيئها قبل ان تُوضَع واذا غسلوا ايديهم لم يطلبون الغسل قبل طلب ايتائها من الوسخ والكدر ولم يقصدوا التقصير الذى يبقى منه رائحة الغَمَر وكذلك ايضا اذا تمندلوا فعلوا كفعلهم اذا غسلوا فامّا النُقْل فانّهم يُحضرونه موائدهم ويُطعمونه ولائدهم ولا يكثرون من اكله ولا يأتون على

كلّه وانّما يعبثون منه بالشيء اليسير من النَعْنَع ويجتنبون من ذلك الهِنْدبا والأُكْشوث لبَرْدهما والفُجْل والحُرْف لنَتْنهما والكُرّاث والبَصَل لرائحتهما والقَدّاح والحَنْدَقُوقا لخشنهما ولانّهما ايضا يُخضّران الاسنان والعُمور ويُحدِثان الرائحة والتغيير ولن يقع الثُوم فى قِدْر فيذوقونه ولا البصل فيَقربونه ولا يلفظون بأسم الطَرْخُون لابتداء اسمه وشناعة لفظه فيكنون عنه فيُضيفونه الى النَعْنَع وقد سمّاه بعضهم بَقْلة الجِياع وسمّاه اخرون كافور الفُؤاد وكلٌّ يقصد الى معناه والخَسّ لا يقربونه لموضع تَفْقِئته والخِيار لا يأكلونه لعِلّة بَرْده والجِزَر يتحالّون عن مسّه ولا يرون النظر اليه دون اكله وكذلك القِثّاء والهِلْيَوْن ولموضع النَوَى ايضا رغبوا عن اكل الزيتون ورغبوا عن اكل ما خالطه النوى من فاكهة الصيف والشتاء مثل القَسْب والبُسْر والمشقّق ايضا والتَمْر وكذلك سائر الارطاب والمِشْمِش والنَبْق والعُنّاب وكذلك فى الخَوْخ والشاهلُوج والاجّاص وهو عندهم من اكل العوامّ لا من اكل الخواصّ ولا يَنفُق عندهم الرُمّان والتين وهذان عندهم والبِطّيخ مِن تهجين خاصّة اذا انشقّت الرُمّانة وتصدّعت البطّيخة اذا انكسرت وجَوْزة ولَوْزة وتينة ومَوْزة ولا يدفع بعضهم الى بعض وَرْدةً واحدة ولا نَبْقة واحدة ولا لوزة واحدة للتسفيل ١٣٠. ولِما يقع فيه من التمثيل ولا تقول منظرّفة لاخرى هذه وَرْدتك ولوزتك ونبقتك وجوزتك ورمّانتك وتينتك وذلك عندهم اجلّ العيوب تشمأزّ منه القلوب ويجتنبون له اشدّ الاجتناب ويكتئبون له امرّ اكتئاب وكذلك لا تقول واحدة لاخرى اَرفعى رجلك ولا ذيلك ولا اُقعدى عليه ولا اَدخليه وأَخرجيه ولا اُصعديه ولا صُبّيه ولا اَنفخيه ولا سَيّبى ولا سَرّحى ولا شيلى ولا اَنتحى ولا اَعمَلى ولا قد عملت ويجتنبون ذلك وما اشبهه من الكلام ممّا كثُر استعمالُه فى خطاب العوامّ ولا يكادون يلفظون به ولا يُطيف بألسنتهم ولا يجيزونه فى شيء من مخاطبتهم ويحذرونه ويتوقّون منه ويعيبون المتكلّم به ويُعرِضون عنه ۞

٣٠ باب ذكر زيّهم فى الشراب
الذى يتخيّره ذوو الالباب

امّا ما عليه الظرفاء واهل المروّة والادباء فانّهم لا يشربون من الشراب اسوده ولا يشربون الّا اجوده مثل المشمّس والزّبيبىّ والمعسّل والمطبوخ والطلاء والمعدّل ولا يقربون ما لآءمه الخثر ولا ما خالطه الكَدَر ولا يشربون الّا ما صفا من الشراب ويتجاللون عن المسكورى الدُوشاب اذ هو من شراب العامّة والرَعاع وشُربِ السُوقة والاتباع ولا ينتقلون على شرابهم بالاشياء الرذلة مثل الباقلّى والبَلّوط والبُسْر المقلوّ والقَريثاء والحِنطة والغُبَيْراء والشاهْبَلّوط والخُرْنُوب الشأمىّ وما اشبه ذلك من
١٣١ الأنقال واكثر ما ينتقل به المتظرّفون ويعبث به المتزيّكون مَمْلوح البُنْدُق ومقشّر الفُسْتُق والمِلْح النَفْطىّ والعُود الهِندىّ والطين الخراسانىّ والمِلْح الصَنْعانىّ والسَفَرْجَل البَلْخىّ والتُفّاح الشأمىّ ويتّخذون من كلّ شىء من الآنية اسراه ومن الزجاج اجوده وأنقاه، وامّا ما اجتنبوه من الهدايا وتخوّفوا من هديّته البلايا فأشياء يكثر بها العَدَد ويطول بها الأَمَد وانا اذكر من يسيرها ما يُستدلّ به على كثيرها ۞

٣١ باب ذكر الاشياء التى ينطيّر الظرفاء
من اهدائها
ويرغبون عنها لشناعة اسمائها

فن ذلك الأُتْرُجّ والسَفَرْجَل والشَقائق والسُوسَن والنَمّام وأَطْباق الخلاف والغَرْب وٱلبَان، فامّا الأُتْرُجّ فانّ باطنه خلاف ظاهره وهو حسن الظاهر حامض الباطن طيّب الرائحة مختلف الطعم ولذلك يقول فيه الشاعر

أَهْدَى له أَحبابُهُ أُتْرُجّةً   فبَكَى وأَشْفَقَ من عِيافةِ زاجِرِ

خافَ التلوُّنَ اذْ اتتْه لانّها   لَونانِ باطنُها خِلافُ الظاهرِ
فَرِقَ المتيَّمُ من حُموضةِ لُبِّها   واللونُ زيَّنَها لعَيْنِ الناظرِ

وامّا السفرجل فلانّ فيه اسم السفر وقد قال فيه الشاعر

مُتحفى بالسَفَرْجَل   لا اريدُ السَفَرْجَلَا
لِسمُه لو عرفتَهُ   سَفَرٌ جَلَّ فاعْتَلَى

وقال اخر

أَهْدَتْ اليه سفرْجَلًا فتطيَّرَا   منه وظلَّ متيَّمًا مستَعْبرَا
خافَ الفِراقَ لأنّ اوّلَ اسمهِ   سَفَرٌ فحُقَّ له بأنْ يتطيَّرَا

واما الشقائق فلشَطْرِ اسمه ولقولِ الشاعر فيه

لا ترانى طِوالَ دَهْرِى أَهْوَى الشَقائقَا
اِنْ يكن يُشبِهُ الخُدُو دَ فنِصْفُ اَسمهِ شَقَا

وقال اخر

١٣٢ لا يُحِبُّ الشقائقَا   كلُّ مَن كان عاشقَا
اِنّ نِصْفَ اسمه شقآءٌ اذا فُهِمَتَ ناطِقَا

واما السُوسَن فلانّ اسمه السُوء وقال فيه الشاعر

سُوسَنَةٌ أَعطيتنيها وما   كنتَ باعطائكها مُحْسِنَهْ
شَطْرُ اَسمِها سُوءٌ فان جئتَ بالْـآخِرِ منها فَهُو سُوءُ سَنَهْ
وانتِ اِنْ هاجَرْتِنى ساعةً   قلتُ أَتَتْ من قِبَلِ السُوسَنَهْ

وقال اخر

يا ذا الذى اهدَى لنا سُوسَنَا   ما كنتَ فى اهدائه مُحْسِنَا
أَوّلُه سُوءٌ فقد ساءَنى   يا ليت أنّى لم أَرَ السُوسَنَا

واما الياسمين فلمبدأ اسمه تُطُيِّرَ منه ولقول الشاعر

انّى لَأَذْكُرُ بالرَيْحانِ رائحةً   منها فللقلب بالريحان ايناسُ
وأَمنَحُ الياسمينَ البُغضَ من حَذَرى   لليأْسِ اذْ كان فى بعض اَسمهِ يأْسُ.

وقال اخر

أبصرتُهُ فى المَنامِ ناوَلَنى من كَفّهِ الياسمين والغَرَبا
فكان يأْسٌ فى الياسمين وفى الغَرْبِ ٱغترابٌ يا شُؤْمَ ما وَهَبا

وقال اخر

اهدى حبيبى ياسمينًا فَبى مِن سِرّهِ الطيرةُ وِسْوَاسُ
اراد ان يُوئِسَ من وصلهِ اذ كان فى شَطْرِ ٱسمهِ اليَاسُ

واما النمّام فلشناعة اسمه وقول الشاعر فيه

حَيّيتُها بتحيّةٍ فى مجلسٍ بقضيبِ نَمّامٍ من الرَّيْحانِ
فتطيَّرَتْ منه وقالت أَقْصِهِ لا تَقربنّ مُضيّعَ الكِتْمانِ

واما الآسُ فقد تطيّر منه قوم وزعموا انّه ايأس وتفأّل به اخرون وزعموا انّه مُواساة وأَساس قال الشاعر

ما أَحسَنَ الآسَ فى عينى وأَطْيَبَهُ لولا ٱتّصالُ حروفِ الآس باليأسِ
ماضَرَّمَن كان أَهدى الآسَ من يَدِهِ لو قال رَيحانةً يعنى به الآسِي
١٣٣ لولا الذى أَتّقى مِن طِيرتى بهما ما فارَقا ابدًا تاجًا على رَاسِي

كذلك تطيّروا من الخِلاف لموضع الخُلْف والغرب للاغتراب والبان للتباين ورُوى عن كثيّر عزّة انّه بلغه انّها عليلة وانّها تتشوّقه فخرج يريدها وهى بمصر فراى غُرابا ساقطا على بانة ينتف ريشه وبطائره على رأسه فتطيّر من ذلك واتى عرّافا من نَهْد اخبره بما راى فآيسه من حياتها واخبره بوفاتها فلمّا وصل الى مصر خُبّر بموتها فانشأ يقول

فما أَعْيَفَ النَهْدىّ لا دَرّ درُّهُ وأَعلَمَهُ بالزَجْرِ لا عَزّ ناصِرُهْ
رايتُ غُرابًا ساقطًا فوق بانةٍ ينتّفُ اعلى ريشهِ وبطايِرُهْ
فامّا غُرابٌ فٱغتِرابٌ من الهوى وبانٌ فبَيْنٌ من حبيبٍ تُعاشِرُهْ

وقال ابو الشيص

أَشاقَكَ والليلُ مُلْقِى الجِرانِ غُرابٌ ينوحُ على غُصْنِ بانِ
أَحَصُّ الجَنَاحِ شديدُ الصِياحِ يُبَكّى بعينَيْنِ ما تَدْمَعانِ
وفى نَعَباتِ الغرابِ ٱغتِرابٌ وفى البان بَيْنٌ بعيدُ التَدانِى

وقال بعض الاعراب

وكنتُ قد ٱندَمَلْتُ فهاجَ شَوْقِى بُكاءُ حَمامتَيْن تَجاوَبانِ
تَجاوَبَتا بلَحْنٍ أَعْجَمِىٍّ على غُصنَيْن من غَرْبٍ وبانِ
فقلتُ لصاحبىَّ وكنتُ أَحْرَى بزَجْرِ الطَّيرِ ما ذا تُخبِرانِ
فقالا الدارُ جامعةٌ بسُعْدَى فقلتُ بَلَ أنتُما متيَمِّنانِ
وكان البانُ أَن بانت سُلَيْمَى وفى الغَرْبِ ٱغترابٌ غيرُ وانِ

وقال نُصَيْب

أَلا راع قلبى مِن سَلامةَ أَن غَدَا غُرابٌ على غُصْنٍ من البانِ يَنْعَبُ
فأَزْجُرُ ذاكَ البانَ بينًا مُواشكًا وغَرْبةَ دارٍ ما تَدانَى فيَصْقَبُ

وقد استحسنوا هدايا كثيرة وتفألوا فيها بقول الشاعر وإن كان بعضها ممّا ذكرناه انّهم لا يتهادونه من طريق الظرف واجتنبوه لعلّة التسفيل ١٣۴ واحبّوه من حسن التفوّل فى ذلك الرُّمّان وهو ممّا ذكرناه انّهم لا يتهادونه لما فيه من التسهيل وما يقع فيه مَن التمثيل وكذلك الشاهلوج والنَبق والورد والبنفسج فامّا الرُّمّان فقد قال فيه الشاعر

اهدَتْ اليه بظرفها رُمّانَا تُنْبيه أَنّ وِصالَها قد آنَى
قال الفتى لمّا رآه تفوُّلًا وصلٌ يكون متمَّمًا أَحْيانَا
رمٌ يَرُمُّ تشعُّثى بوصالِها لقد التفوُّلُ صادقًا قد كانا

وامّا الشاهلوج فهو ممّا فيه النوى وقد تهاداه قوم لموضع تفوّل الشاعر به اذ يقول

اهدَتْ اليه الآنَ شاهَلُّوجَا تُنْبيه أَن لو جاء كان وَلُوجَا
فمضى على فألِ الهديّة جاسِرًا عمدًا فصار مُداخِلًا خِرِّيجَا

وامّا النبق فهو يُستقبل وقد قال فيه الشاعر

ايا أَحْسَنَنا خُلْقا ومَن فات الورَى سَبْقَا
تفأَّلتُ بأن تَبْقَى فأَهْدَيْتَ لنا النَبْقَا
فأَبقاكَ الالهُ النّا سِ ما سَرَّكَ أن تَبْقَى

وأَشْقَى اللهُ شَانِيكَ   وحاشى لك أن تَشْقَى

وامّا البنفسج ايضا فقد قال فيه الشاعر

اهدَتْ اليه بَنَفْسَجًا يُسليهِ   تُنْبيه انّ بنفسها تَفْديه
فأرتاحَ بعد صبابةٍ وكَآبةٍ   ورجَا لحُسْنِ الظنّ أن تُدْنيه

واما الخَوْخ فقد اطنبوا فى وصفه واكثروا من مدحه وزعموا انّه اشبه شىء بالخدود من التفّاح واقرب شبها بالوجنات الملاح لانّه يشاركها فى البياض والسُمرة والادمة والصفرة والتوريد والحمرة والزَغَب الليّن البَشَرة وهو اطيب مَلْثَم واعذب مُقبَّلٍ واذكى مَشَمّ وهو عند طائفة من اهل
١٣٥ الهوى اجلّ مرتبةً من التفّاح لولا ما خالطه من النوى الذى يشمأزّ منه الظرفاء ويشناه الادباء وانّه مفقود والتفّاح موجود، واما الورد فقد تفألّ به كثير من الظرفاء وذكره كثير من الشعراء انشدنى بعض الادباء

اهدَى له وردًا فأَخبَرَ أنّه   فى الوارِدِينَ ولم يكن وَرَّادَا
فأرتاح من فَرَحٍ بطِيبِ وُفودِهِ   وغَدَا له وَرْدُ الحياء فِرَادَا

وليس عندهم فى الروض شىء يشبهه ولا فى عروض الروض ما يدركه وقد ذكرت ذلك فى باب لطيف لرغبتى فى اقتصاد التأليف فقف عليه واعرفه ✿

٣٣ باب ما قيل فى صفة الورد
ومحلّه من قلوب ذوى الوجد

اعلمْ انّ اهل الظرف قد اكثروا من تفضيل الورد ومدحته الشعراء وقد اطنبت فيه وافرطوا فى نعت حسنه واشتهوا رائحته حتّى شبّهوه بالوجنات الحمر وقايسوه الى الخمر ومثّلوه بالاشياء الملاح كفعلهم بالتفّاح وهما عندهم فى مرتبة واحدة قال العبّاس ابن الاحنف

أُبْغِضُ الآسَ والخِلافَ جميعًا   لِمكان الخِلافِ واليأسِ منْهَا
وأُحِبُّ التُفّاحَ والوردَ حتّى   لَو وَزَنْتُهُ بالجبال وَزَنْهَا
أَشْبَهَا رِيقَها ونَكْهَةَ فيها   فهُما يُنْبِئان بالطَيْب عَنْهَا

وقال اخر

عشيّةَ حَيّانى بوَرْدٍ كأنّه   خُدودٌ أُضيفَتْ بعضُهنّ الى بَعْضِ
ووَلّى وفِعْلُ الخَمر فى حَرَكاتِهِ   فِعالُ نسيمِ الريحِ بالغُصْنِ الغَضِّ

وقال اخر

يَضحكُ الوردُ الى وَرْ   دِ بخَدَّيْكَ مُقِيمِ
جَمَعَا شَكْلَيْن وَقْفَيْنِ   لألحاظِ النَديمِ
غيرَ أَنّ المِسكَ أَوْلَى   بكِ فى كلِّ نَسيمِ ١٣٦

وقال اخر

سيَعلمُ الوردُ أنّى غيرُ ذاكرِهِ   اذا الخُدودُ اعارتْ حُسْنَها بَصَرِى
كَمْ بين وردٍ مُقيمٍ فى أماكِنِهِ   وبين وردٍ قليلِ المَكْثِ فى الشَجَرِ
هذا جَنِيٌّ مَصُونٌ فى مَنابِتِهِ   وذاك مُمْتَهَنٌ فى كلِّ مُختَصَرِ

وقال عبد الله بن عبد الله بن طاهر

مرّتْ وفى كفّها وردٌ فقلتُ لها   حَيِّى مُحِبَّكِ قالت عنه لى شُغُلُ
فقلتُ بُخْلًا فقالت قد وهبتُ له   وردًا جنيًّا وذا بالكفّ يُبتذَلُ
إن كان لم يَجْنِه منه أَنامِلُهُ   فقد جَنَتْه له الأَلحاظُ والمُقَلُ

وقال اخر

وَرْدُ خَدَّيْكَ مُقيمُ   أَبَدًا ليس يَرِيمُ
انا منه فى نعيمٍ   ما بَدَا منه نَعيمُ

وقال اخر

تَمَتَّعْ مِنَ الوردِ القليلِ بَقاؤُهُ   فانّك لم يَفجَعْكَ الّا فَناؤُهُ
وودِّعْه بالتقبيل والشمّ والبُكا   وَداعَ حبيبٍ بعد حَوْلٍ لقاؤُهُ

وقد تطيّر منه اخرون وسمّوه الغدّار وغضّوا دونه الابصار لقلّة لبثه

ويسبير مكثه وسرعة زواله وتغيُّره وانتقاله وخُبّرتُ انّ قينةً اهدت الى ربيط لها غصن آس فسُرَّ به وانشأ يقول

والآس يَبقي وإنْ طال الزمانُ به   والوردُ يفنى ولا يبقى على الزَمَنِ

واهدت له وردا تطيّر منه وقال

انتِ وردٌ وبقاءُ الوردِ شَهْرٌ لا شُهُورُ
يَذهبُ الوردُ ويفنى   والى الآس تَصيرُ

فكتب اليه بعض اخوانه

سُرَّ بالآس الذى اهدَتْ له   ثمّ لمّا أَهْدَتِ الوردَ جَزِعْ
ذاك أنّ الآسَ باقٍ دائمٌ   ولأنّ الوردَ حينًا يَنْقَطِعْ

١٣٧ وقال بعض الشعراء

وَصَلتَ وكان الوردُ اوّلَ ما بَدَا   فلمّا تولّى الوردُ وَلّى مع الوَرْدِ
فيا ليتَ أنّ الورد آسٌ فانّه   يَدومُ على الحالَيْنِ فى الحَرّ والبَرْدِ

وفضائل الورد اكثرُ من ان يُحصى عددُها او يُبلغ امدُها وقد افردت لذلك كتابا بوّبتُه ابوابا وترجمتُه بكتاب العقد وشحنتُه بفضل الورد فاغنى ما فى ذلك الكتاب عن اعادة ذكره فى هذا الباب، والتفّاح اعظم عندهم قدرا واجلّ امرًا واعلى درجةً وارفع رتبةً لسلامته من البياض والتوريد وقد ذكرتُ فضائل التفّاح فى كتاب التفّاحة فى غير باب فاغنى عن اعادته فى هذا الكتاب غيرَ انّى اذكر فى كتابنا هذا جملةً ممّا وصفتْه به الادباء ومدحته به الشعراء ولستُ اذكر فى عرض هذا الكتاب شيئا ممّا فى ذلك الكتاب لأن لا يُبتلى بشىء من المِحَن فيُنسَب الى ضِيق العَطَن وبالله التوفيق ۞

٣٣ باب ذكر التفّاح وما

كره الادباء من اكله

اعلمْ انّ التفّاح عند ذوى الظرف والعُشّاق وذوى الاشتياق لا يعدله

شىء من الثمر ولا النَوْر والزَهْر كيف وبه تهدأ اشجانهم وببرودة تسكن احزانهم وعنده يضعون اسرارهم واليه يُبدون اخبارهم اذ كان عندهم بمنزلة الحبيب والانيس وبموضع الصاحب والجليس وليس فى هدايام ما يعادله ولا فى ألطافهم ما يشاكله لغلبة شبهه بالخدود المورّدة والوجنات المضرّجة وهو عندهم رهينة احبابهم وتذكّر اصحابهم الى وُرْدته يتطرّبون وبرؤيته يستبشّرون ولهم عند نظرهم اليه انين وعند استنشاق رائحته حنين حتّى انّ احدهم اذا غلب عليه القَلَق وازعجه الأَرَق لم يكن ١٣٨ له معوّل الّا عليه ولا مشتكى الّا اليه، وانشدنى بعض اهل الادب

لمّا نَأَى عن مجلسى وجهُهُ ودارت الكأْسُ بمَجْرَاهَا
صيّرتُه تُفّاحةً بيننا اذا ذكرناه شَمَمْناهَا
واهًا لها تُفّاحةً أشبَهتْ خَدَّيْه فى بَهْجتها وَاهَا

وقال الحكمىّ

تُفّاحةٌ جاءتْ وقد عُلّقتْ وركّبتْ بالورد والآسِ
أَشرَبُ من كأسى على ريحِها بالرَغْم من أهلى وجُلّاسى

وقال اخر

تُفّاحةٌ أُهديَت ظَرْفًا معضّضةٌ وقد جَرَى ماء ثَغْرى فى ضَواحِيها
بيضاء فى حُمرة عُلّت بغاليَة كانّما جُنيَتْ من خدّ مُهْديها
قد أَتحفَتْنى بها فى النوم جاريةٌ روحى من السُوء والأَسقام تَفْديها
لو كنتُ مَيْتًا ونادتْنى بنَغْمتها نَخلتُ للصوت من لَحْدى أُلَبّيها

وقال اخر

حَيّاهُ مَن يهوى بتُفّاحة قد عَضّ اعلاها بأَسْنانه
جادَ ولم يَبخَلْ بها بعد ما عَذّبه دهرًا بهِجْرانه

وقال اخر

تُفّاحةٌ تأكل تُفّاحةً يا ليتنى كنتُ الذى يُوكَلُ
فالثَمْرَ والثَغْرَ لكَى أَشتَفِى بعِلّة الأَكل ولا أُوكَلُ

وقال اخر

تُـفّـاحةٌ من عند تُفّاحةٍ . قـريـبـةُ العَهْد بكَفّيْـهـا
أَحْبِبْ بها تُفّاحةً أشبهَتْ حُمرتُها حُـمـرةَ خَدّيْـهـا

وقال اخر

تُـفّـاحةٌ حمراء منقوشةٌ رَكّبتُـهـا فى خُضْرة الآسِ
فلم تـزَلْ فى كفّ نَدْمانِنا تَـدورُ مِن كأسٍ الى كاسِ

وقال اخر

٣٩ تُـفّـاحةٌ من عند تُـفّـاحةٍ ضمَّخها المُهدِى لها بالعَبيرْ
يا مُـهـدِىَ الحَسْرة يا قاتِـلِى اهدَيْتَ لى واللهِ قَصْمَ الظُّهورْ
قد كنتُ فى بحرَيْن من حُبّكم فصِرتُ مُذْ أُهدِيتُها فى بُحُورْ

وقال اخر

فلو أنّى آشتكَيْتُ لِأَجْلِ حُزْنِى ومـا أَلْـقـاهُ فى دارِ الخُـلُـودِ
وكان طعامُنا فـيـهـا جـنـيًّـا مِنَ الـتـفّـاحِ والـوردِ النضيدِ
لقلتُ دَعُوا لها حِصَصى فانّى أُشـبّـهُـهـا بـألـوانِ الخُدُودِ

وقال اخر

حَـيّـاهُ مَن يـهـوى بتُـفّـاحةٍ قد جُنيَتْ باللحظِ من خَدّهِ
معضوضـةٌ باللحظِ محفوفـةٌ بـعَـسْـكَـرِ الآجـالِ من صَـدّهِ
لـو شَمَّها الخَلْقُ لَماتـوا معًا لـعُـشْـرِ ما يـلـقـاه من جُهْدهِ

وقد مضى من هذا الباب مقنع وهو كثير متّسع ولهم اشياء من زيّهم جليلة ونُتَفٌ من مناقبهم نبيلة انا اصفها لك فى موضعها واقطعها من مقاطعها منها السواك الذى صيّروه كأحد الفروض الواجبة والامور الارادية وقد شرحتُ فيه بابا لتقف عليه ان شاء الله ۞

٣٤ باب ما جاء فى السواك

وما قيل فى عود الاراك

اعـلـمْ انّ من زىّ الظرفاء واهـل المروّة والادباء وارباب الديانة والـتـرفّـل

استعمال السواك والتسوّك فهو انبل النظافة واحسن الطهارة واكمل المروّة ويرغب فيه اهل الظرف والفتوّة وله خصال مستحسنة وهو ايضا من السُنّة، وقد رُوى فى الخبر المأثور عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم انّه قال طَهّروا افواهكم فانّها مَسالك التسبيح، وعن ابى بكر الصدّيق رضى الله عنه انّه قال السواك مَطهرة للفم مرضاة للربّ، وحدّثنا ابى قال حدثنا ابن ابى شيبة عن عبد الله بن ادريس عن محمّد بن اسحاق عن عبد الله بن ابى بكر عن عمر عن عائشة قالت قال رسول ١٤٠ الله صلّى الله عليه وسلّم السواك مطهرة للفم مرضاة للربّ، وعن علىّ ابن ابى طالب عليه السلام انّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم كان اذا قام من الليل تسوّك، وعن ابى المَليح عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لقد امرتُ بالسواك حتّى حسبتُ ان يكون يُكتَب علىّ، وعن ابن ابى مُليكة قال عائشة تقول مات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى بيتى وليلتى ويومى وبين سحرى ونحرى وخلطتُ ريقه بريقى فقلتُ يا أمّ المؤمنين وكيف خلطتِ ريقه بريقك قالت دخل عبد الرحمن ابن ابى بكر وبيده سواك فنظر اليه النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فقلتُ قد أشتهى السواك فاخذتُ سواكه فمضغتُه ثمّ اعطيتُه فاستاك عليه السلام فلم يُشغل النبىّ صلّى الله عليه وسلّم نزول الموت عن طلب السواك اذ هو اظرف ما استُعمل وانبل ما استُحسن لانّه يبيّض الاسنان ويصفّى الاذهان ويطيّب النكهة ويُطفئ المرّة وينشّف البلغم ويشدّ اللثة ويقوّى العمور ويجلو البصر ويُحدّ النظر ويفتح السُدَد ويشهّى الطعام وقد استعملوا امر المساويك الأراك والسُكّر واصول السُوس وعود المَحْلب وعروق الاذْخِر وعُقَد العاقِرْقَرحا وكلّما اغربوا فى اتّخاذ ذلك كان اكمل لظرفهم وابلغ فى معانى وصفهم وللمساويك اوقات معلومات ومواضع محدودات لا تُستعمل فى غير اوقاتها ولا يُتجاوز بها عن ساعاتها فجائزٌ استعمالها بالغدوات والعشيّات واوقات

الظهيرات وقبل الغداة وبعد الصلوة وعلى الريق وعند النوم وفى نهار الصوم ولا يجوز السواك عندهم فى مواطن شتّى منها الخلاء والحمّام وقارعة الطريق ومحفل الناس ولا يستاك احدهم وهو قائم ولا متّكئ ولا
١٤١ نائم ولا حيث يراه احد ولا يستاك ويتكلّم والسواك فى الخلاء والحمّام من فعل السفلة والعوامّ وهو ايضا يُرخى اللثة ويغيّر النكهة وليس ذلك عندهم من فعل الادباء ولا من فعل ذوى المروّة والظرفاء وقد اتّخذ اهل الظرف للمساويك طسوتا لطافا واباريق الشَبَه لخفاف وكراسى الآبنوس المصدّفة والخَيْزُران المشبّكة والأحقاق المخروطة والمسواكدانات المدهونة والسَنونات المعمولة ووقّتوا له الاوقات المعلومة التى جعلوها كالفرائض المكتوبة والسُنَن المفروضة يتأقّبون لوقته ولا يستعملون رأس المسواك مدّة طويلة وذلك عندهم من الافعال الذليلة ويتّخذون لها اللفائف الخزّ وعصائب القزّ ليصونوها بذلك عن الدنس ويوقّوها من الغبار والنجس وقد تهادى ايضا اهل الظرف المساويك واقاموها مقام الرهينة والتذكرة والوديعة والقُبلة كما فعلوا باللُبان الممضوغ والتفّاح المعضوض
وقال العبّاس بن الاحنف

طال لَيْلى بجانبِ المَيْدانِ ۝ مَعْ جَوارِى المهدىّ والخَيْزُرانِ
ارسلتْ باللُبان قد مضغَتْهُ ۝ بين تُفّاحتَيْن فى رَيْحانِ
وبمسواكها الذى آختاره اللــهُ لفيها من طيّبِ الأغْصانِ
فكأنّى وجدتُ رِيحًا من الفِرْ ۝ دَوْس فاحتْ من رِيحِ ذاك اللُبانِ

وقال ايضا

ولمّا وهبتُمْ خاتَمًا فرَدَدْتُه ۝ لمعرفتى أنّ الخواتيمَ تَقْطَعُ
فأُهدى سواكًا مَسّ فاكِ فانّه ۝ يُسكّنُ نارًا فى جَوَى القلبِ تَلْذَعُ

وقال بشّار بن برد العُقيلىّ يذكر ذلك ايضا

تسوّكَتْ لى بمسواكٍ لِتُعلِمَنى ۝ ما طَعْمُ فيها وما هَمّتْ باصلاحِ
لمّا اتانى على المسواك رِيقُتُها ۝ مثلوجةً كزُلالِ الماء بالرَاحِ

قبّلتُ ما مسّ فاها ثمّ قلتُ له   يا ليتنى كنتُ ذا المسواكِ يا صاحِ

وقال ايضا

يا أَطيبَ الناسِ رِيقًا غيرَ مختَبرٍ   الّا شهادات أَطرافِ المَساويكِ ١٤٢
انّ الذى راحَ مغبوطًا بنعْمته   كَفٌّ تَمسُّك او كفٌّ يُعاطيكِ
ولو وهبتِ لنا يومًا نَعيش به   أَحْيَيْتِ نفسًا وكانت من مَساعيكِ
يا رحمةَ الله حُلّى فى مَنازِلنا   حَسْبى برائحةِ الفِرْدوْسِ من فِيكِ

وقال ايضا

يَطيبُ مسواكُها من طِيبِ نَكْهتِها   وإن أَلَمّ بجِلْدٍ جِلدُها طَابَا

وقال اخر

وبرّاقةٌ تَفترُّ عن متبسَّمٍ   كنَوْرِ الأَقاحِى طَيِّبِ المتذوَّقِ
اذا مَضَغَتْ بعد ٱمتناعٍ مِنَ الضُحى   أَنابيبَ عيدانِ الأَراكِ المخلَّقِ
سَقَتْ شُعَبَ المسواكِ ماءَ غَمامةٍ   فضيضًا بمَمْزوجِ العُقارِ المصفَّقِ

وقال جرير

ما ٱستوصَفَ الناسُ من شىءٍ برِزْقِهم   الّا أَرَى أُمَّ نُوحٍ فوق ما وَصَفُوا
كأنّها مُزنةٌ غرّاءُ رائحةٌ   او دُرّةٌ لا يُوارِى لونَها الصَدَفُ
مكسورةُ الثَدْيِ فى لُبٍّ يزيّنُها   وفى المَناصِبِ من أَنيابِها خَجَفُ
تَسقِى غَمامَ نَدَى المسواكِ رِيقَتُها   كما تَضمَّن ماءَ المُزنةِ الرَصَفُ

وقال الفرزدق

نَعَوْن بقُضْبانِ الأَراكِ التى جَنَى   لها الرَكْبُ من نُعمانَ ايّامَ عَرَّفُوا
فمُجْن به عَذْبَ الرُضابِ عِذابُهُ   رِقاقٌ وأَعلى حيث رُكِّبْنَ أَعْجَفُ

وقال ذو الرمّة

جرى الإسْحِلُ الأَحوَى بطِفْلٍ مطرَّفٍ   على الغُرّ من أَنيابِها فَهْىَ نُصَّعُ

وقال اخر

نظرتِ بعينَىْ شادِنٍ وتبسَّمْتِ   بظَمْياءَ عن غُرٍّ لهنّ غُروبُ
جرى الإسْحِلُ الأَحوَى عليهنّ اوجرى   عليهنّ من ماءِ الأَراكِ قَضيبُ

وقال جرير

يجرى السواكُ على أَغَرَّ كأنّه   بَرَدٌ تحدّر من مُتونِ غمامِ
اقْرَا السلامَ على سُعادَ وقُلْ لها   يومًا تَرُدّ رسولَنا بسلامِ

١٤٣ وقال ايضا

انّ الشّقاء وانْ ضَنّتْ بنائلها   فَرْعُ البَشامِ الذى تجلو به البَرَدا
ما فى فُؤادك من داءٍ يُخامرهُ   الّا التى لو رآها راهبٌ سَجَدا

وقال جميل بن معمر

بثَغْرٍ قد سَقَين المسكَ منه   مساويكُ البَشامِ ومن غُرُوبِ
ومن مَجْرَى غوارِبِ أُقْحُوانٍ   شَتيتِ النَبْتِ فى علمٍ خصيبِ

وقال اخر

وغادَيْنَ بالقُضْبانِ كُلَّ مُفلَّجٍ   به الظَلْمُ لم يُفلَلْ لهنّ غُروبُ
رُضابًا كطَعْمِ الشُهْدِ يجلو مُتُونَهُ   من الأَيْكِ او غَضّ البَشامِ قضيبُ
أُولائكَ لولا هُنّ ما سُقتُ نِضوةً   ولا قابَلَتْنى فى البِلادِ جَنُوبُ

وقال ايضا

اذا الريحُ من نحوِ الشَمالِ تنسّمتْ   وجدتُ لِرَيّاها على كَبِدى بَرْدا
تخيّرْتُ من نُعمانَ عودَ أَراكةٍ   لهِنْدٍ ولكنْ مَن يُبلّغه هِنْدا

وانشدنى ابو علىّ الحسن بن عُليلٍ العنزىّ قال انشدنى الزبير بن بكّار قال انشدنى ابو مسلم الكلابىّ لمهدىّ بن الملوَّح الكلابىّ

نَبيتُ لَيْلَى وقد كُنّا نُبَخّلُها   قالت سقى اللهُ ذاك المَرْبَعَ الجَدِبا
يا حبّذا راكبًا كُنّا نَهُشّ له   يُهْدِى لنا مِن أَراكِ الموسِىّ القُضُبا

وقال القطامىّ

منعّمةٌ تجلو بخُوطِ أَراكةٍ   ذَرَى بَرَدٍ عذبٍ شَتيتِ المَناصبِ
كأنّ فضيضًا من غريضِ غمامةٍ   على ظمأٍ جادت به امُّ غالبِ
لُمستهلِكٍ قد كاد من شدّة الهوى   يموت ومن طُولِ العِدات الكواذبِ

وقال بعض الاعراب وتُروى للأُمَيْلس

منعّمةٌ هيفاءُ عجزاء خَدْلةٌ تَمُسُّ مَثانى شَعْرِها قُضُبًا خَزْلا
وتجلو بمسواكِ الأَراكِ مفلَّجًا عِذابَ الثَّنايا لا قِصارًا ولا ثُعْلا

وقال العَطَوِىّ

عندكنّ الفؤادُ والقلبُ رَهْنٌ فى يَدَىْ ذاتِ دُمْلُجٍ ووِشاحِ
وثَنايَا رقيقةٍ كغديرٍ من مُدامٍ وروْضةٍ من أَقاحِ ١٤٤
فمَساويكُها بها كلَّ يومٍ فى رِياضٍ مِنَ ٱصطباحِ الراحِ

وقال علىّ بن الجهم

حَجُّوا مَواليكِ يا بُرْهانُ وٱعتَمَرُوا وقد أَتَتْكِ الهدايا من مَواليكِ
فأَتْحِفينِى ممّا أُتحِفُوكِ به ولا تكُنْ تُحْفَتِى غيرَ المَساوِيكِ
ولستُ أَرضاه حتّى تُرسِلين به ممّا جَلَا الثغرَ او ما جال فى فِيكِ

ولأبى الطيّب فى ذلك

شَهيدِى على طِيبِ اللِثاتِ وريقِها أَنابيبُ عِيدانِ الأَراكِ المفرَّعِ
كأَنّ حَبابَ الريقِ حين تَمُجُّه على شُعَبِ المسواكِ غيرُ ممزَّعِ
رَشاشُ ذَكيِّ المسكِ شِيبَ بعَنْبرٍ اوِ الراحِ من صفوِ العُقارِ المُشَعْشَعِ

وقال مروان بن ابى حفصة

شِفاءُ الصَّدَى ماءُ المَساوِيكِ والذى ٱجْتَنَى الريقَ من خَمْلٍ يُنازِلُها طِفْلُ
فيا حبّذا ذاك السواكُ وحبّذا به البَرَدُ العَذْبُ الغريضُ الذى يَجْلو

واحسن محمّد بن عبد الله بن طاهر حيث يقول

واذا سأَلْتُكِ بعضَ ريقِكِ قلتِ لى أَخْشَى عقوبةَ مالكِ الأَمْلاكِ
أَيجوز عندكِ أَن يكونَ متيَّمٌ يهواكِ عندكِ دون عُودِ أَراكِ
ما ذا عليكِ جُعِلتُ قَبْلكِ فى الثَرَى من أَن اكون خليفةَ المِسْواكِ

وهذا باب تطنب فيه الشعراء ويتّسع لها القول فى ذكره وقد مضى من بعضه ما اغنى عن شرح كلّه، وانا اصف لك جملة من جميل مناقبهم وما يُؤْثَر من حسن مذاهبهم ان شاء الله تعالى ۞

٣٥ باب صفة ذوى التظرّف

ومباينتهم لذوى التكلّف

اعلمْ انّ من كمال ادب الادباء وحسن تظرّف الظرفاء صبرهم على ما تولّدت به المكارم واجتنابُهم لخسيس المآثم واخذُهم بالشِيَم السنيّة والاخلاق الرضيّة وأنّهم لا يداخلون احدا فى حديثه ولا يتطلّعون على قارٍ فى كتابه ولا يقطعون على متكلّم كلامه ولا يستمعون على مُسِرٍّ
١٤٥ سرّه ولا يسعلون عمّا وُرِى عنهم علمُه ولا يتكلّمون فيما حُجِب عنهم فهمُه يعسرّعون الى الامور الجليلة ويتبطّؤن عند الاشياء الرذيلة فهم امراء مجالسهم بهم يُفتح عَسِرُ الاغلاق وبهم يتألّف متنافرُ الاخلاق تسمو اليهم الآماق وتنثنى عليهم الاعناق ولا يطمع فى عيبهم العائب ولا يقدر على مثالبهم الطالب ألا ترى انّهم لا يتنخعون ولا يتبصّقون ولا يتثاءبون ولا يستنثرون ولا يتجشّؤن ولا يتمطّؤن وذلك عيب عند الظرفاء مكروه عند العلماء وفيه حديث مأثور حدّثنيه عُبيد بن شَريك قال حدّثنا ابن ابى مريم قال اخبرنى يحيى بن ايّوب قال اخبرنى ابن عجلان عن سعيد المُقبِرىّ عن ابى هُريرة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انّه قال انّ الله يحبّ العُطاس ويكره التثاؤب وانّ احدكم اذا قال هاها فانّ ذلك الشيطان يضحك فى جوفه، والظرفاء لا يتثاءبون ولا يتمطّون ولا يوقعون اكفّهم ولا يشبّكون اصابعهم ولا يمدّون ارجلهم ولا يحكّون اجسادهم ولا يمسّون آنافهم خاصّةً اذا كان احدهم بين يدى خليله او ربيطه او حبيبه او مَن يحتشمه ومن يُكرمه ولا يدخل احدهم الخلاء من حيث يراه احد ولا يبول بين يدى احد وليس من زيّهم الاقعاء فى الجلسة ولا السرعة فى المشية ولا الالتفات فى طريق قصدوه ولا الرجوع فى طريق سلكوه ولا ينفضون الغبار عن ارجلهم فى المواضع المكنوسة ولا يستريحون فى الاماكن المرشوشة ولا يجلسون فى مجلس

فينتقلون منه ولا يقعدون بحيث يُقامون عنه ولا يشربون ماء الاحباب ولا الماء فى دكاكين الشراب ولا ماء المساجد والسبيل وذلك مشنىّ عند ذوى العقول ولا يدخلون دكّان هرّاس ولا دكّان روّاس ولا يجتازون بدكّان مرّاق ولا يأكلون شيئا ممّا يُتّخذ فى الاسواق ١٤٩ ولا يأكلون على قارعة الطريق ولا فى مسجد ولا فى سوق وفى ذلك حديث مأثور وخبر مشهور حدّثنيه احمد بن الهيثم المعدّل قال حدّثنى سهل بن نصر واسحاق بن المنذر قالا حدّثنا محمّد بن الفُرات قال حدثنى سعيد بن لقمان بن عبد الرحمن الانصارىّ عن ابى هُريرة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال الاكل فى السوق دناءة، وظريف لا يأخذ شَعره فى دكّان حجّام ولا يدخل بغير مئزر الى الحمّام وقد حدّثنى احمد بن محمّد بن غالب صاحب الخليل قال حدثنى احمد ابن عبد الله بن هَشيم عن مغيرة عن ابراهيم قال النظر فى مِرآة الحجّام دناءة، وحدّثنا احمد بن محمد بن غالب قال حدّثنا اسمعيل ابن محمّد بن راشد بن سعيد عن عكرمة عن ابن عبّاس قال من قلّة مروّة الرجل نظره فى مرآة الحجّام واطّلاعه فى بيت الحائك، وقد ينبغى للظريف ان يدخل الحمّام على خلوة لئلّا ينظر فيه الى سَوءة ولا يمدّ عينه الى احد ولا يعلّق ثوبه على وَتَد ولا يُدلى رجله فى البئر التى ينصبّ اليها الماء فانّ ذلك ممّا يفعله الادنياء ولا يدلك يديه بخرقة فانّ ذلك ممّا يستعمله السخفاء ولا يتمرّغ على حرارة ارض الحمّام فانّ ذلك ممّا يفعله سفلة العوامّ بل ينبغى له ان يدخله متّزرا ويقعد فيه معتزلا ولا يقعد مستوفزا على رجله فانّ ذلك طعنٌ على عقله ولا يميلَ مضطجعا بل ينتصب متربّعا حتّى اذا نصب العَرق من بدنه وتحدّر على جسده وكان عرقه بين الكثير والقليل نشّفه عن بدنه بمنديل ثمّ دعا لرأسه بالغسول والأُشنان المنخول فان كان من اهل المروّات والنِعَم واهل البيوتات والقدَر ممّن لا يُنسب فى فعله

الى شيء ليس من شكله فليبتدئ دخوله لحمّام بالامساك عن الكلام والتجرّع من الماء لحارّ ثلاث جُرَع وليقعد للعرق فوق نطع حتّى اذا ١٤٧ عرق سلت بدنه وجمع عرقه فوزنه وهذا الفعل لا يصلح الّا لذوى نعمة او شريف او متأدّب فيلسوف وامّا سائر الناس من اهل الظرف فانّهم يُنسبون بهذا الفعل الى السخف، ولا ينبغى لظريف ان يمشى بلا سراويل ولا يتّزر بمنديل ولا يمشى محلولَ الازار ولا مُسبَلَ الازار ولا يماكس فى الشرَى ولا يركب حمار الكرَى ولا ينزل فى خراب ولا يقبض على كتاب ولا يشارط صانعا ولا يصاحب وضيعا ولا يشاتم رفيقا ولا يغتاب احدا ولا يذكر بسوء اخا ولا ينمّ بسريرة ولا يظهر خبيئة ولا يخون عهدا ولا يخلف وعدا ولا يضرّب بين اثنين ولا يُفسد بين خليلين ولا يسعى الى سلطان ولا يغمز بانسان ولا يهتك حُرمة ولا يتعرّض لسرقة ولا يتحلّى بالكَذِب ولا يستهدف للرِيَب ولا يجاهر بالزنَى ولا ينطق بالخنى ولا يفسد حُرمة الأخ الصديق ولا حرمة الجار اللزيق واجوَدُ ما فى هذا المعنى قول الاحوص بن محمّد الانصارىّ

قالت وقلتُ تَحرَّجِى وَصِلِى   حَبْلَ ٱمرِئٍ بوِصالكُمْ صَبِّ
صاحِبْ اذًا بَعْلِى فقلتُ لها   الغدرُ منّى ليس من شِعْبِى
ثِنْتانِ لا أَدْنُو لِوَصْلِهِما   عِرْسُ الخليل وجارةُ الجَنْبِ
امّا الخليلُ فلستُ مُخلِفَه   والجارُ أَوصانى به رَبّى

ومن تكامل ظرف الظريف ظهور بِزّته وظهور طيب رائحته ونقاء دَرَنه ونظافة بَدَنه ولا يتّسخ له ثَوْب ولا يدرن له جَيْب ولا ينفتق له ذَيْل ولا يُرى فى دخاريصه مَيْل ولا فى سراويله ثَقْب ولا يطول له ظُفْر ولا يكثر له شَعْر ولا يفوح لابطه ذَفَر ولا لبدنه غمَر ولا يسيل له أَنف ولا يسودّ له كَفّ ولا يظهر له شُقاق ولا يُرشش له بُصاق ولا يقف فى مأقه رَمَد ولا صِواره زَبَد، ومن زيّهم فى مصاحبة الاوداء ومعاشرة الاخلّاء حفظُ العهود وإنجازُ الوعود والدوامُ على الوفاء وقلّة

الرغبة فى الجفاء وحُسنُ المؤاتاة لاودّائهم والمساعدةُ لاخلّائهم والبشرُ بمن ١٤٨
لقوا والتفقّدُ لمن فقدوا والمساعفةُ بابدانهم والمعونةُ باموالهم وتخفيفُ
المُؤَن على اخوانهم وكفُّ الاذى عن جيرانهم والصفحُ عن المُسِىء
عنهم عند اساءته ومقابلةُ المحسن بإحسانه والترحيبُ بالصغير والتبجيلُ
بالكبير، وقد حدّثنى محمّد بن يونس القيسىّ قال حدّثنا يزيد بن
بَيان قال حدّثنا ابو الرجال عن انس بن مالك قال قال رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم ما من شابٍّ أكرَمَ شيخا عند سنّه الّا قيّض
الله له مَن يُكرِمه عند سنّه، وقد يجب ايضا على اهل المروّة مثل
الذى يجب على اهل الظرف والفتوّة والادب لانّهما ليسا باللذاذة
والقصف ولا بالمفاخرة والحسب وانّما هما بكمال المروّة والادب ولن يعرف
الفتى جميل مواهب الفتوّة الّا بسلوك طرائق المروّة وقد ذُكرت الفتوّة
عند بعض العلماء فقال انّ الفتوّة ليست بالفسق والفجور ولكنّها
طعامٌ موضوع وأذًى مرفوع ونائلٌ مبذول وبشرٌ مقبول وعفافٌ معروف
واجتنابٌ للقبيح وادبٌ ظاهر وخُلُقٌ طاهر وتركُ مجالسة اهل الشرور
والسموُّ الى معالى الامور والإحسانُ الى من اساء ومكافأةُ من احسن
وقضاء حوائج الناس فهذه جملة من زيّهم فى حسن مناقبهم ومستحسَن
جميل مذاهبهم ولهم ايضا رقّةُ الطبع والتلطّفُ فى كلّ الامور والمداراةُ
والتملّقُ والتأنّى والترفّقُ ومن ذلك قولهم مَنْ حَبَّ طَبَّ اى رفق
ودارى ومن ذلك سُمّى الطبيب طبيبا لترفّقه ومداراته والعرب تقول هو
طبٌّ بالامور اى عالم رفيق، قال عمر بن ابى ربيعة

فأَتَتْها طَبَّةٌ عالمةٌ   تَخلِطُ الجِدَّ مِرارًا باللَّعِبْ
تَرفَعُ الصوتَ اذا لانَتْ لها   وتُراخِى عند سَوْراتِ الغَضَبْ

ولهم حسن التأنّى فيما يريدونه ولطيفُ الحِيَل فيما يحاولونه وخفىُّ ١٤٩
التلطّف لما يطالبونه حوائجهم سريّة وسرائرهم مخفيّة وامورهم باطنة
وحِيَلهم لطيفة يوردون الامور مواردَها ويُصدِرونها مصادرَها ولهم فيما

استحسنوا من الهدايا بينهم والبرِّ والملاطفةِ والمكاتبةِ والتحفةِ من غيرهم ويُستصغر ومن ذلك انّهم ربّما اهدوا الاترجّة الواحدة والتفّاحة الواحدة والدستبُويَه اللطيفة والشمّامة اللطيفة والغصنَ من الريحان والطاقة من النَرْجِس والرِطل من الشراب والقطعة من العُود والمخزنة من الطِيب والشيء اليسير والوهط الصغير ونظيرَ ذلك من الاشياء القليلة الحقيرة والذليلة التى لا قدر لها عند ذوى العقول فيُستكثر ذلك منهم ويُلقى بالقَبول وتُستحسن هداياهم وتُستظرف ويُفرح بها وتستطرف، ورغبةُ غيرهم من الناس فى الاشياء الجليلة والهدايا النبيلة والطُرَف السريّة والتُحَف السنيّة غيرَ اهل الظرف فانّهم اقتصروا على اللَطَف اللطيف والبرّ الخفيف، ومن ذلك كُتُبُهم الملاح والفاظهم الصحاح التى يستعطفون بها القلوب ويسترون بها العيوب ويستقيلون بها العثرات ويستدركون بها الهفوات التى قد استخلصوها من بديع الحرير الصينىّ ومليح الملحم النيسابورىّ وصفيقِ الدبيقىّ الحفىّ ونقىّ التاختج والقُوهىّ، وتغلغلوا الى الكتاب فى ذلك بالذهب والمسك والزعفران والسُكّ واتّخذوا لها طرائف المناديل الرقاق وجياد الزنانير الدقاق وطيّبوها بالمسك والذرائر وعَنْوَنُوها بمنظّرفات الامثال والنوادر وختموها بالغالية المستمسكة وطبعوها بنُتَف الالفاظ المُهلكة وقد ضُمنتْ من

١٥٠ مليح المكاتبة وطرائف المعاتبة وجميل المطالبة وشكيل المداعبة ما يقرّبون به البعيد ويهونون به الشديد وقد بيّنتُ ذلك احسنَ البيان وشرحتُه باخصّ المعانى ووصفتُ ما يتوصّلون به من الرسائل وما يضمّنونه كُتُبهم من الرسائل فى كتاب مفرَد وكلام مجرَّد ترجمتُه كتاب فَرَح المُهَج وجعلتُ ما فيه ذريعة الى الفرح فأغنى عن تطويل هذا الباب ما مرّ فى ذلك الكتاب وانا اصف لك ايضا فى كتابنا هذا جملة ما استحسنوه بينهم من المكاتبة وما استعملوه بينهم من المعاتبة واقصد فى ذلك الى مداعبة الكتّاب ومعاتبة الاحباب وما تعاتبوا به

من الابيات واختاروه من المقطّعات وما ذكروا على العنوانات من الكلام وما ضمّنوه فى كتبهم من السلام على غير نقص منّى لكلّ ما فى ذلك من الاشعار اذ كان قصدى فى كلّ ابواب الكتاب الى الاختصار وبالله استعين وأستكفى وايّاه أسترشد وأستهدى ✿

باب ما اختير من ألفاظ الادباء ٣٦
فى المكاتبات
واستُحسِن من الظرفاء من مليح المعاتبات

اخبرنى الوضّاح بن ثابت الكاتب قال كنتُ عند بعض الكتّاب اذ دخلت عليه وصيفة كانّها قمرٌ تتثنّى فى مشيتها كانّها جانٌّ او كانّها غصنُ بان ريّان حتّى وقفت بين يديه فقالت مولاتى تقرأ عليك السلام وتقول لك يا اخى جفوتّنا من غير استحقاق للجفاء وملتَ الى غير مذاهب الظرفاء وانّى لم ازل واثقةً بإخائك راجيةً لحسن وفائك وتحقيقُ ظنّ مؤمّلك أولى بك من الوقوف على تجنّيك، فقالْ لها اقرئى عليها السلام وقولى لها يا اختى انا من ودّك على احسن عهدك ومن الأمل لك على أضعاف ما عندك ولقد استوحشنا من فقدك فاجعلى لنا حظًّا من أُنسك، فسألتُه عنها فقال جارية علىّ بن الجهم، واخبرنى ١٥١ محمّدُ بن ابراهيم الهمدانىّ قال اخبرنى مولى لمحمّد بن عبد الله بن طاهر قال قرأتُ رقعة لمولاى الى بعض اخوانه يا اخى مددتَ يدا الى المودّة مبتدئًا فشكرناك وشفّعتَ ذلك بشىء من الجفاء فعذرناك والرجوعُ الى محمود الوداد أولى بك من المُقام على مكروه الصدّ، وكتب بعض الظرفاء الى صديق له أيّدَك اللهُ بوفاء الادب من النزع الى الجفاء وجعل آخِر سخطك موصولا بأوّل الرضاء، وكتب بعض الادباء الى صديق له يستعتبه على جفاء كان منه ليس من تدبير مَن شملتْه أُبّهة الحِكَم وسمتْ به معالِى الهِمَم أن يَعطف على عهود

صديق بعقوق ولا تضمحلّ واجباتُ لحقوق ولا تُغيّره نُوَبُ ايّامه عن رعايةِ ذمامه والسلام، وكتب اخر الى صديق له بدأتَنا بمودّةٍ عن غير خِبْرة وهجرتَنا من غير سبب يوجب طولَ الهجرة وقد اطمعَنا اوّلُك فى اخائك وآيسَنا آخرُك من وفائك فسبحان مَن لو شاء كشف باليقين من الرأى عن غير سِمَة الشُكول فى امرنا فأتَفنا على ائتلاف او افترقنا على اختلاف والسلام، وكتب سعيد بن حُمَيْد الى بعض الكُتّاب بلغنى حسنُ محضرك فغيرُ بديع من فضلك ولا غريب عندى من بِرّك بل قليلٌ اتّصل بكثير وصغيرٌ لحق بكبير حتّى اجتمع فى قلب قد وُطِّنَ لمودّتك وعُنُق قد ذلّت لطاعتك وليس اكبرُ سُولها واعظمُ اربها الّا طولَ عُمرِ بقاء النعمة عليك والسلام، وكتب بعض الكتّاب الى صديق له ما زال ما أَحمِدُ من عواقب رأيك وأشبَهُ من وفائك حتّى وثّق فى ضميرى من مودّتك ما استنجدنى لطاعتك واستوى علىّ من موافقتك ما سهّل علىّ سبيلَ عَتْبك فما اسلك بغلبة الهوى طريقا الّا الى رضاك ولا أستعين بهواك منك عليك الّا كان عونًا علىّ لك ولَنِعْمَ المستعيدُ لى انت على المحامد واكتساب سَنَا

١٥٢ الفوائد ولذلك اقول

علىّ رقيبٌ من هواك يَقودُنى اليك على الحالاتِ فى السُخْطِ والرِضَى
وليس هواىَ حيث لا يَستحقُّهُ ولكنْ هواىَ حيث كان لك الهوَى
لسانى رهينٌ بالذى انت فاعلٌ ورأيِىَ موصولٌ بما كُنْهُه تَبْرَى
وما زِلتَ لى عونًا برأيٍ موفّقٍ على صِلَةِ القُربَى بهَدْىِ أُولِى النُهَى

وكتب لحسن بن وهب الى محمّد بن عبد الملك سُرُورى اعارَنى اللهُ حياتَك اذا رايتُك كوَحْشتى لك اذا لم ارك وحفظى لك فى مغيبك كمودّتى لك فى مشهدك وانّى لَصافِى الاديم غيرُ نَغِلٍ ولا متغيّرٍ فأمنحنى من مودّتك مُزْنَ لذاذةِ مشربك وكُن لى كأنا فوالله ما نُجِمتُ عن ناحيتك الّا وانا محنىّ الضلوع اليك والسلام، فكتب اليه محمّد

يا اخى ما زلتُ عن مودّتك ولا حُلتُ عن اخوتك ولا استبطأتُ نفسى لك ولا استزدتُها فى محبّتك وإنّ شخصك لماثلٌ نَصْبَ طرفى ولقلّ ما يخلو من ذكرك قلبى ولله درّ الذى يقول

اما والذى لو شاء لم يَخلُق النوى　　لئنْ غبتَ عن عينى لما غبتَ عن قلْبى
يُذكّرنيك الشوقُ حتّى كأنّنى　　أُناجيك من قُرْبٍ وإن لم تكن قُرْبى

وكتب بعض الكتّاب الى صديق له تبيّن منه جفوةً سيّدى ألزمتَنى الخضوع وحرّمتَ علىّ الهجوع وضرّمتَ نارا بين الضلوع فتركتَنى فيك لائذا بالعَدوّ وممنوعا من السُلوّ منخفضا من العُلوّ بمنزلة مَن خان وُدّا او نقض عهدا او اخلف وعدا او اظهر صدّا او جحد يدا او كفر عارفة او غمط نعمةً سالفة سيّدى لما اشتغلتْ بك النفسُ القَلقة والعينُ الأرِقة حُلتَ عن محمود الوفاء وزُلتَ عن غير ذنب يوجب عقوبة المجترِم وغيرِ سبب يَقدح فى مودّة العبد المهتضَم الذى توقعه جريرتُه وتوبقه خطيئتُه وتَحلّ به إساءتُه وتلزمه هفواتُه سيّدى اوقعنى يسيرُ جفائك وإعراضُ لحظاتك فى بحارِ هموم غريقُها غريقُ صبابةٍ وغموم ١٥٣ أُخاطبك بلسان يعجز عن المخاطبة وأُكاتبك بيد لا تجرى الى المكاتبة وأُناجيك بضمير الهيبة المشاهِد لك فى الغيبة مناجاةَ مُغرَمٍ وصريعِ تجلّد وحليفِ تلدّد سيّدى كلُّ عذابٍ ووجدٍ جديد وسقامٍ عتيد فهو فى محبّتك والدوامُ على مودّتك يسيرٌ فامّا السبيل الى وجه السرور فمتعذّرةٌ والخلاصُ فى طُرُق السلامة الى الراحة فمستوعرةٌ قد غلب الظمأُ وبعُد المَوردُ وقلّ العزاء وفُقد الصبرُ وانحلّت العزيمةُ وبطل الرأىُ وثبت الهوى فتمكّن فى الحشاء فلا محيصَ لعبدك عنك ولا بدّ له فى حالة السخط والرِضَى منك سيّدى الرجوع الى محمود الشيمة اشبه من العوْد بالفضل والتطوّل بالوصل اولى بالمولى من الوقوف على الصدّ الذى يقدح فى النيّة ويُزيل عقدَ الطويّة وشفيعى اليك الذى ارجو نجاح الشفاعة خضوعى لك واعتصامى بك وانحطاطى فى طاعتك ووقوفى

بين يديك مستكينا متحيّرا معترفا فانّ ذلك ابلغ شفيع وانت فيما تراه فى امرى اكرمُ مولًى فى كلّ حال فانّه يتوقّع جواب كتابه بما يسكن اليه وتتجدّد به النعمة عليه فحقّقْ تأميلَه وأكرِمْ صَفَده وأَقِمْ أَوَده وعُدْ فى جفائه الى دوام صفائه والسلام ✿

٣٧ باب ما ضمّنوه كتبهم من الاشعار وتكاتب به ذوو الظرف والأخطار

انشدنى بعض الادباء

هذا كتابُ متيَّمٍ … خطَّتْ اليك أَناملُهْ
مَزَجَ المدادَ بدَمْعِه … فبكتْ عليه عَواذلُهْ
انتَ الطبيبُ فداوِه … يا مُبْتَليه وقاتلُهْ

وقال اخر

هذا كتابُ فَتًى له هِمَمٌ … عَطَفَتْ اليك رجاءه هِمَمُهْ
غَلَّ الزمانُ يَدَىْ عزيمته … ورَمَى به من حالق قَدَمُهْ ١٥٤
أَفْضَى اليك بسِرّه قَلَمٌ … لو كان يَعقِلُه بكى قَلَمُهْ

وقال اخر

هذا كتابى بدَمْعِ عينى … أَمْلاه قلبى على بَنانِى
الى غَزالٍ كَنَيْتُ عنه … يَجُلّ عن اِسْمه لِسانِى

وقال اخر

هذا كتابُ أَخى هوًى وصبابة … لا يستطيع لما به كِتْمانَا
لاقَ الدَواةَ بعَبْرةٍ مسفوحة … كانت لمُضمَرِ لاعِجٍ عُنْوانَا
قَرِحِ الفؤادِ تَعُودُه أشجانُهُ … لمّا به بَخِلَ الطبيبُ وخانَا

وقال اخر

هذا كتابُ متيَّمٍ … يشكو الصبابةَ فى كتابِهْ
فأرْدُدْ عليه جوابَهُ … كَىْ يستريحَ الى جَوابِهْ

لو كان يَنطِقُ ذا الكتا   بُ شَكا اليك عظيمَ ما بِهْ

وقال اخر

هذا كتابُ فتًى شكا سَقَمًا   أَلِفَ السُهادَ فشَقَّهُ سَقَمُهْ
يُبكِي عليه جُفونَ مُقْلتِهِ   عَدَدُ الحروف وقد بكى قَلَمُهْ
لولا مُراقَبةُ العدوِّ ومَن   أَضحى من الرُقَباء يَتَّهِمُهْ
لَبكى علانيةً وقال لهم   بَرِحَ الخفاءُ وباح مكتَتَمُهْ

وقال اخر

هذا كتابى اليك أَشكو   أن لم تَجُدْ لى فما ٱحتيالِى
كتبتُ أَشكو اليك ما بِى   ممّا أُقاسِى فما تُبالِى
يا حَسَنَ الوجهِ كُنْ شَفيعِى   اليك إِن لم أَبُحْ بِحالِى
ما ذَكَرَ القلبُ منك شيئًا   الّا تمثَّلْتَ لى خِيالِى

وقال اخر

هذا كتابُ فتًى لِغَيْبِك حافظٍ   صَبٍّ بذِكْرِك مُستهلٍ مُدْنَفِ
إِن غِبتَ آنَسَ طرفَه بدموعِهِ   واذا اصابَك طرفُه لم يُطْرِفِ

وقال اخر

هذا كتابُ اخى هوًى مُشْتاقِ   قَرِحِ الجُفونِ بدَمْعِهِ المُهْراقِ
أَملى هواه على بَنانِ يمينِهِ   فأَبانَ كيف مَصارِعُ العُشّاقِ
وكأَنّه يُنْبِى بما فى نفسِهِ   من طُولِ شوقٍ وٱكتئابٍ باقِ

وقال اخر

هذا كتابُ متيَّمٍ مُشْتاقِ   يَشكو الى مستطرَفٍ ذَوّاقِ
اهدَى له الهجرانَ بعد تَواصُلٍ   وكذاك فِعْلُ الخائنِ المَذّاقِ
ما هكذا فعلُ الكرامِ فأَجمِلِى   وتحرَّجِى إِن تَنقُضِى مِيثاقِى
وَٱرْثِى لِصَبٍّ هائمٍ قد شَقَّه   طولُ النحيبِ وشدّةُ الاقلاقِ

وانشدنى ابراهيم بن محمّد لنفسه

هذا كتابُ متيَّمٍ فى قلبه   نارٌ تَصَرَّمُ بُكْرةً وأَصِيلَا

فاذا قرأْتَ كتابَه فٱجعلْ له　　بعد الصدودِ الى الوصالِ سَبيلا
فلقد تركتَ فؤادَه فى غَمْرةٍ　　وتركتَ فى الاحشاء منه غَليلا
ولقد تبرَّمَ بالحياة وطولِها　　وعسى مَدَاه أن يكونَ قليلا
لا تُغرِيَنَّ بهِ رَدَاه وحَيْنَه　　حاشاك أن تُردِى يَداك قَتيلا
حاشاك من قَلَقٍ أطارَ رُقادَه　　فأَبَى الرُّقادَ فما يَلَذُّ مَقيلا

وانشدنى ايضا لنفسه

هذا كتابى اليك فٱقرأْ　　كتابَ ذى صَبْوةٍ عَميدِ
أقْلَقَه شَوْقُه المُعَنِّى　　وهَدَّه لَوْعةُ الصُّدودِ
لكنّه فى الظَّلام يبكى　　بُكاءَ ذى الفَقْدِ للفَقيدِ
ان كنتَ غضبانَ فٱرْضَ عنّى　　رِضَى المَوالِى عنِ العَبيدِ

ولابى الطيّب فى هذا المعنى

هذا كتابى اليك فٱقرأْ　　كتابَ مَن شَفَّه السَقامُ
وٱرْثِ لسُقْمى وطولِ صبرى　　فقد وَهَتْ مِنّىَ العظامُ
ولا تُرِدْ قَتْلتى وهَجْرى　　فقَتْلُ حِلْفِ الهوى حَرامُ

وقال اخر

١٥٦ أَثَرُ المَحْوِ فى سُطورِ كتابى　　شاهدٌ لى بعَبْرةٍ وٱنْتِحابِ
وبُكائى يَدُلُّ أنّى سقيمٌ　　خاضعٌ للهوى طويلُ العَذابِ
انا بين الرجاء واليأسِ وَقْفٌ　　لستُ أدرى بما يكون جَوابى
فاذا اشتقتُ أن اراك أُنادِى　　فَرَّجَ اللهُ لى مِنَ الحُجّابِ

وقال اخر

غَضِبَتْ لمحوٍ فى الكتاب كثيرِ　　قالت أرادَ خِيانتى وغُرورِى
كتب الكتابَ على خلافِ ضميرِه　　والمحوُ فيه لعلّةِ التغييرِ
ما كان دَمْعِىَ للغرورِ وظنِّكمْ　　كَلّا ولا للسَهْوِ والتقصيرِ
كتبتْ يمينى والدموعُ هَواطِلٌ　　حَذَرَ الفراقِ لما يُجِنُّ ضَميرِى
فالمحوُ من قِبَلِ الدموعِ وانّما　　تَجرِى دموعُ العاشقِ المهجورِ

وقال اخر

ما زلتُ أبكى وفى يَدِى قَلَمٌ   حتّى استهلّتْ مَدامعُ القَلَمِ
أَكتُمُ وَجْدِى والدمعُ يُظهِرُهُ   بواكِفٍ كالجُمان منسَجِمِ
ما زلتُ خِلْوًا من الهوى فلقَدْ   عذّبَنى مَن هَوِيتُ بالسَقَمِ
يا سيّدًا تاهَ ما يُكلّمُنى   نِمْتَ وعينُ الشَجِىّ لم تَنَمِ
انا قتيلُ الهوى ومَيّتُهُ   لا عذّبَ اللهُ قاتِلِى بِدَمِى

وقال اخر

انّى رفعتُ اليكِ قصّةَ عاشقٍ   ورجوتُ عَدْلَكِ فأنظُرِى فى قصّتى
ولقد كتبتُ ودمعُ عينى ساكبٌ   فاذا قرأتِ فأَحسِنى وتثبّتى
إنّ الدموع تفجّرتْ فتحدّرتْ   منها فنونٌ فى صِفاتِ مودّتى
لا فرّجِ اللهُ الصبابةَ والهوى   عنّى ولا زالت عليكِ مَحبّتى

وقال اخر

امّا الرسولُ فقد مضى بكتابِ   يا ليتَ شِعْرِى ما يكون جَوابى
وتحمّلتْ روحى الظُنونُ وأشربتْ   طَمَعَ الحريص وخَشْيَةَ المُرتابِ

وقال اخر

أسأَلُ اللهَ خيرَ هذا الكتابِ   قد اتانى برَحْمةٍ وعَذابِ
أَشتَهِى فَكّهُ فأَفْرَقُ منهُ   ففُؤادى مفرّقُ الأَسْبابِ ١٥٧

وقال اخر

كتابُ صَبٍّ بدَمْعِ عينٍ   يُمِلُّهُ قلبُهُ الكَئيبُ
يَكتُبُهُ كَفُّهُ بضَعْفٍ   وما لها فى الهوى نَصيبُ

وقال اخر

أمّا الكتابُ فقد مضى وأمامَهُ   خَوْفُ الرَقيبِ وسَطْوةُ الحُجّابِ
طَلَبَ الجوابَ فأحسِنُوا فى وُدّكم   لا تبخلوا عنّى بِرَدّ جَوابِ
هل تُنقِذون متيَّمًا ذا صَبْوةٍ   أَضحَى اسيرَ تذكُّرٍ وتَصابى
جودوا عليه برحمةٍ وتعطُّفٍ   فلقد أَطَلْتُم بالصُدودِ عَذابى

أمّا الكتابُ فمِن كئيبٍ عاشقٍ   كَلِفِ الفُؤادِ مُواصِلِ الأَوْصابِ
لكنّه غادٍ الى ذى سَلْوَةٍ   متعتِّبٍ فى غيرِ كُنْهِ عِتابِ

وقال اخر

لولا الكتاب الذى جاء الرسولُ به   منَ الحبيب لَذابَ القلبُ وٱحْتَرَقا
جاء الرسولُ على يأسٍ بمَوْعِدِه   وقد قضَيْتُ فأحيَى لى به رَمَقا

وقال اخر

صِلِينى بالكتاب وبالسلامِ   وزُورى زَوْرةً فى كلِّ عامِ
وجُودى بالكتاب وعَنْوِنِيه   الى الصبِّ الكئيبِ المستَهامِ
مِنَ الشمسِ المُنيرةِ يومَ دَجْنٍ   وبدرٍ لاحَ من بين الغَمامِ
وناحلةٍ فدَيْتُكِ يا مُناىَ   أَمانًا للفُؤاد من الغَرامِ

وقال اخر

كتبتِ الىّ يا روحى كتابًا   فوافَقَ مُنْيَتى وبُلُوغَ سُولِى
ولولا العَيْب هِمتُ اليك لمّا   تناوَلْتُ الكتابَ من الرَسُولِ
مخافةَ نظرةٍ من عينِ واشٍ   وتشنيعِ المقالةِ بالخليلِ

وقال اخر

لم يَزِدْنى الكتابُ الّا ٱشتياقًا   واشتعالًا من الهوى فى ضَميرِى
بأبى انتِ يا حبيبةَ قلبِى   ومُناىَ وغايَتى وسُرُورِى

١٥٨ وانشدنى ابو عبد الله الواسطىّ لنفسه

كتبتَ الىّ تَذْكُرُ ما تُلاقى   مِنَ الشوق المبرِّحِ والفِراقِ
لَعَمرك ما ٱتّهمْتُك فى وِدادٍ   ولٰكن لم تُلاقِ كما أُلاقِى
فؤادى هائمٌ والعينُ تَذْرِى   دُمُوعًا تستهلُّ مِنَ المَآقِى
وقد ذُقْتُ الفِراقَ وكان مُرًّا   كريهًا طَعْمُه عند المَذاقِ
على انّى وإنْ أَبدَيْتُ صبرًا   على حَدِّ الصبابةِ غيرُ باقِ

وقال اخر

قُولَا لمَن كَتَبَ الكتابَ بكفِّهِ   ٱرْحَمْ فديتُك ذِلّتى وخُضُوعِى

ما زلتُ أبكى مذ قرأتُ كتابَها   حتّى محوتُ سطورَه بدُموعِى

وقال اخر

الدمعُ يَمْحو ويَدِى تكتُبُ   عَنِ الهوى وٱمتنَعَ المَطلَبُ
امـار خـدّىْ قَمَـرٍ زاهـرٍ   الـيـه مِن زَهْوته المَذْهَبُ
لـقـد بَرانى سَقَـمٌ قـاتـلٌ   وهَدَّ جِسمى دَنَفٌ مُنصِبُ

وقال الحسن بن وهب

يـا مُـنـاىَ وسُـرُورِى   جُـهْـدُنـا غـيـرُ يَسيرِ
والذى نشكوه فى الكُتْـب   قليلٌ من كَثـيـرِ
لم تُطِـقْ أَلْسُنُنا من   وصـفـه عُشْرَ عَـشِـيـرِ
فـثـقـى يـا بـأبى أَنْـت   بمكنونِ الضَمـيـرِ
ثمّ قُولى مَطْلَعَ الجَوْ   زاءِ والشِعْرَى الـعَـبُـورِ
حَـفِـظَ اللهُ فـتًى بـا   تَ لـهـا خيرَ سَميرِ

ولبعض المحدثين

من الوَهْم من آثارِ قبرٍ مسنّمِ   وهامِ ثَرَى قبرِ القتيلِ المتيَّمِ
ومن طَلَلٍ للشوقِ لم يُعْفه البِلَى   ونُـؤْيٍ وفـاءٍ لـيس بالمتهدّمِ
الى زينةِ الدنيا ومُنْيَةِ اهلها   وأحسَنِ مَن يزهو بطرفٍ وميسَمِ
وأَمْلَحِ خلق الله قَدًّا وصُورةً   ودَلًّا وادلالًا عـلى حُبِّ مُغْرَمِ
سلامٌ على مَن شَقَّنى وأَذابَنِى   وأَسْكَنَ قلبى كلَّ وجدٍ ومألَمِ
١٥٩ ووكَّلَنى بالنجم أَرعَى أُفُولَه   وأَندُبُه بالدمع طَوْرًا وبالدَمِ
وأَحمدُ مَن أَبلَى شَبابى بُحبِّكُمْ   على البُؤْسِ والسَرّاءِ حين التنعُّمِ
وبعدُ فقَدْ واللهِ يا سُولَ عبدِها   ومولاتَه أَنضجْتِ أَحشائى فٱعلَمِى

٣٨ ## ومـمّـا ضمّنوه كتبهم من السلام

وجعلوه تلوًا للشعر والنظام

عـلـيكِ سـلامٌ لا سـلامُ مـودِّعٍ   ولكنْ سلامٌ لم يكن آخِرَ العَهْدِ

سلامُ مُحِبٍّ خانَه حُسنُ صبرِهِ	فأَصبحَ فى كَرْبِ الحياةِ وفى جَهْدِ

اخر

عليكِ سلامُ الله ما هَبَّتِ الصَبَا	وما قَرْقَرَ القُمْرِىُّ فى وَرَقِ السِدْرِ
سلامُ سقيمٍ مُدنَفِ القلبِ مُقرَحٍ	مَشوقٍ عليلٍ مُشعَلِ القلبِ بالجَمْرِ

اخر

عليكِ سلامُ الله ما لاحَ كوكَبٌ	بأُفْقٍ لِسارِى الليلِ وٱستوسَقَ البَدْرُ
سلامُ غريبٍ شَفَّه الوجدُ والهوى	وبَلَّ حشاه الهمُّ والذِكرُ والعُسْرُ

اخر

عليكِ سلامُ الله هل انا ميِّتٌ	بداءِ هَوائِيكِ الشقىِّ المُقَلْقِلِ
فعيشى بخيرٍ وٱسلَمى ليس حبُّكم	ولا الوجدُ عنّى ما حَيِيتُ بمُنْجَلِى

اخر

عليكِ سلامُ الله امّا قلوبُنا	فمَرْضَى وامّا وُدُّنا فصَحيحُ
نبيتُ بوُدٍّ خالصٍ وصبابةٍ	ونَغْدُو بحبٍّ صادقٍ ونَروحُ

اخر

عليكِ سلامُ الله قد شَطَّتِ النوى	وقد كِدتُ أَلْقَى الله من كَمَدٍ جَهْدَا
أَموتُ بوجدٍ مُضمَرٍ وصبابةٍ	وأَزداد إِن زدتم على نأيِكم صَدَّا

اخر

عليكِ سلامُ الله قد متُّ صَبْوةً	وما لى عَزاءٌ مذ نأَيتِ ولا صَبْرُ
أَرَى الصبرَ عنكم كٱسمِهِ مذ نأَيتُم	فقد وجَلالِ الله ضاقَ به الصَدْرُ

اخر

عليكِ سلامُ الله قلبى مُتَوَّقٌ	وجسمى نحيلٌ والمدامعُ تَذْرِفُ
ومِثلُ الهوى أَضنَى الحشا وبمثل ما	بُلِيتُ به تَنكَى القلوبُ وتُشْعَفُ

وقال اخر

عليكِ سلامُ الله قدرَ صبابتى	اليكِ وشوقٍ أَنّنى مُدنَفُ القَلْبِ
أَبِيتُ حليفَ الهمّ والوجدِ والأَسَى	رهينَ يدِ الأَحزانِ والشوقِ والكَرْبِ

اخر

عليكِ سلامُ اللهِ ما حنّ آلِفٌ … وما اشتاقَ ذو وجدٍ وما طَلَعَ الفَجْرُ
سلامُ مَشوقٍ نحوكم متطلِّعٍ … أخى حَسَراتٍ خانَه فيكمُ الصَّبْرُ

٣٩ باب ما كتبوه على العنوانات
وسلكوا به سبيل المداعبات

الى سِتّى ومالِكَتى ورُوحى … مِنَ الجَسَدِ الطريحِ بغَيْرِ رُوحِ

اخر

الى الشمس المُنيرة حين تَبدو … غداةَ الدَّجْنِ من بين الغُيُومِ
مِنَ الصبّ الكئيبِ اخى التَّصابى … حليفِ الشوقِ مُحتبَسِ الغُمُومِ

اخر

من الدَّنِفِ الذى يُضحى حزينًا … وبين ضُلوعِه قلبٌ مُصابُ
الى الخَوْدِ التى أبْلَتْ شبابى … فأضحى ما يَسيغُ لِىَ الشَّرابُ

اخر

منّى الى قلبى ولم أرَ كاتبًا … يَخطّ بأقلامٍ الى قلبه قَبْلى
أرَى كلَّ شىءٍ باليًا متغيّرًا … وحُبُّكِ لا يَبْلَى ولكنّه يُبْلِى

اخر

منّى اليكِ فانّى هائمٌ دَنِفُ … حِلفُ السقام بَرانى الشوقُ والأسَفُ
النفسُ ذاهبةٌ والعقلُ مختلَسٌ … والقلبُ محتبَسٌ والروحُ مختطَفُ

اخر

منّى اليكِ فما وَجْدى بمنصرمٍ … حتّى المماتِ وما قلبى بمعذورِ
ولو رايتُكِ يومًا لانقضَى حَزَنى … وعاد عَيْشى صفوًا بعد تكديرِ

١٦١ اخر

منّى اليكِ فانّى هائمٌ قَلِقٌ … حليفُ همٍّ قرينُ العين بالسَّهَدِ
اللهُ يعلمُ ما بالقلب من قَلَقٍ … اذا نأيتِ وما ألقاهُ من كَمَدِ

وقد مضى من هذا الباب ما فيه كفاية ولو ذهبتُ الى تطويله لم يكن لآخره نهاية وقد احببتُ ان اختم كتابنا باشياء يستحسنها الظرفاء ويميل اليها الادباء ممّا يُكتب على الاقلام من النُتَف وملحِ المقطّعات والظُرَف وانا ذاكر فى ذلك بعض ما استحسنتُه ومُلَحا ممّا استرققتُه ان شاء الله، قد جمعنا فى هذا الفصل اشياء من مستظرفات الاشعار ومستحسَنِ الاخبار ومنتخلِ الابيات ومنتخبِ المقطّعات ونوادرِ الامثال ومُلَحِ الكلام الذى يجوز كتابتُه على الفصوص والتفّاح والقنانىّ والاقداح وفى ذيول الاقمصة والاعلام وطُرُز الاردية والكمام والقلانس والكرازن والعصائب والتكك والوقايات وعلى المناديل والوسائد والمخادّ والمقاعد والمناصّ والحُلَل والاسرّة والتكك والرفارف ووجوه المستنظرات وفى المجالس والايوانات وصدور البيوت والقباب وعلى الستور والابواب والنعال السنديّة والخفاف الزنانيّة وعلى الجباه والطُرَر وعلى الخدود بالغالية والعنبر وعلى الوطأة والوشاح وفى تغليف الاترجّ والتفّاح، وممّا يُعدَل به من تنضيد الورد والياسمين ويكتب على اوانى الذهب والفضّة والسكاكين وقضبانِ الخيزران المدهونة والمخادّ الصينيّة والمراوح والمذابّ والعيدان والمضارب والطبول والمعازف والنايات والاقلام والدنانير والدراهم وجعلنا ذلك ابوابا مبوّبة وحدودا مبيّنة لتقف على اصولها وتبين حسن فصولها ۞

٤٠ باب ما يكتب على الفصوص

١٦٣ نقش بعض الظرفاء الصوفيّة على خاتمه

انا لله وبالله انا   انا والله مُقِرٌّ بالفَنَا

اخر

قد فازَ بالطاعة مَن نالَها   نِعْمَتِ الطاعةُ عُمّالُها

اخر

أَعـدَدْتَ لِـذَنْـبِى حُـسْـنَ ظنّى بِرَبِّى

اخر

خَـتَـمَ اللهُ بخيرٍ عَمَلِى وتَوَفَّانى على حُبِّ عَلِى

اخر

حُبُّ عليٍّ بنِ ابى طالبِ فَرْضٌ على الشاهدِ والغائبِ

اخر بحُبِّ آلِ محمّدِ أَلْقى الهَ محمّدِ

اخر انـــا باللهِ قانـعٌ إِنّ ربّى لَصانِعٌ

اخر انا باللهِ واثِـقٌ إِنّ ربّى لرازِقٌ

اخر أَتْـرُكانى والمَعاصِى وعلى اللهِ خَلاصِى

اخر مـا علينا مـن جُناحٍ فى هوى البيضِ المِلاحِ

اخر أُحِـبُّ مَـن يهوانِى برَغْـمِ مَـن يَنْهانِى

اخر آفـةُ عقلى بَصَرِى ولَـهُ عقلِى نَظَرِى

تحت ثيابى بَدَنٌ ناحِلُ وفى فُـؤادى شُغُلٌ شـاغِـلُ

اخر

امسيتُ عبدًا لـك لا أَجْحَدُ انـا مُـقِـرٌّ والـهـوى يَـشْـهَـدُ

اخر

انـا مولًى لِأَهلِ هَلْ مَـن تَـوالاهُـمْ عَـقَـلْ

يعنى هل اتى على الانسان لأنّها نزلت فى علىّ،

ومِمّا ينقشه اهل الحزم على خواتيمهم

القناعـةُ خيـر مـن الضَراعـة، التقلّل خير من الـتـذلُّـل، السلامـة خير مـن النَدامـة، الأَسَـف أَهْـوَنُ مـن التكلُّف، بادِرِ الفُرصةَ قَبْلَ ١٦٣
أن تكون الغُصّة، الهَرَبُ قَبْلَ الطَلَب، الـفِرار قـبـل الحِصار، الـرُجُـوع قبل الوُقُوع،

وفى ضرب اخر

لكلّ حقّ حقيقة، ولكلّ زمانٍ خليقة، القصدُ أقربُ من التعسّف، الكفّ أحْرَى من التكلُّف، الموتُ معتبَرٌ والسبيل مختصَر، الحقّ يُنجِى والباطلُ يُردِى، النُصْحُ مَلامة والتصريحُ سَلامة، الأَمَلُ يَلوِى والشيطانُ يغوِى، لكلّ امرئٍ طريقة ولكلّ عاملٍ وثيقة، بِطولِ التجارِب يُكشَف المآرِب، طولُ الاعتبار من حُسْنِ الاختيار، فَوْتُ الامل أشدُّ من حضورِ الاجل،

وممّا ينقشه اهل الهوى على خواتيمهم

مَن كثُرت لحظاتُه دامتْ حَسَراتُه، مَن تَداوَى بِدائه لم يَصِلْ الى شفائه، مَن قدّمَ هواهُ دام أَسَاهُ، العقلُ عند الهوى اسير والشوقُ عليهما امير، اذا كثُر الجفاء قلّ الوفاء، اذا صحّ الظَفَر وقعتْ الغِيَر، اذا صحّت القُلوب اغتُفِرت الذُنوب، قلَّ مَن سلا الّا آستفزّه الهوى، مَن مُنِعَ من النَظَر آقتصرَ على الأَثَر، مَن مُنِع من الوصال قَنع بالخَيال،

وفى ضرب اخر

الحَيْنُ خير من البَيْن، القبرُ أفسَحُ من الهَجْر، المَوْتُ خير من الفَوْت، غُصَصُ الفراق شرٌّ من السِباق، كأْسُ الهَجْر امرٌّ من الصَبْر، طُولُ الجفاء يكدِّر الصفاء، حُسْنُ الوفاء رُكْنُ الاخاء، آفةُ الحبيب نَظَرُ الرقيب، آفةُ الغَزَل سُرْعةُ المَلَل، الهَوَى ثَوْبُ الضَنَى، ذَهَبَ الفِراق بحِيلة العُشّاق،

وفى ضرب منه اخر

١٦٤ حفى فلفى، أَلِفَ فتَلِفَ، حَنَّ فأَنَّ، حَظِى فرَضِى، عَشِق فزَهِق،

هــوى فضنى، صُرِم فظُلم، صَدّ فجَدّ، صَبَر فقَدَر، مُنِع فجَزِع، نال فٱستطـال، باح فٱستراح، سَـلا فقَلا، مَلَك ففَتَك، عَـدَل فقَتَل، عفّ فكَفّ، وكان الحَسَن بن وهب تعشّق جارية يقال لها ناعم فنكس اسمها ونقش على خاتمه مُعان وذكر ذلك فى ابيات يقول فيها

نقشتُ مُعانًا على خاتَمى	لكَيْما أُعانَ على ظالمى
كذا اسمُ مَن هامَ قلبى به	وأَصبَحَ فى حالةِ الهائمِ
نكستُ الهجاءَ فأعلَنْتُه	بطَرْفى ليخفى على الحازِمِ

وكان محمّد بن عبد الملك الزيّات يحبّ بعض جوارى القيان ثمّ تنكّر لها فكتبت على خاتم لفظًا تُعرِّض له فيه بالعتاب فبلغه ذلك فكتب على خاتمه ضدّ ما كتبت فبلغها فحَكَّتْ ما كان على خاتمها وكتبت ضدّ ما كتب فبلغه ذلك فحكا ما كان على خاتمه وكتب ضدّ ذلك فى ابيات يقول فيها

كَتَبَتْ على فَصّ لخاتَمها	مَن مَلَّ من أحبابه رَقَدا
فكتبتُ فى فَصّى ليبلُغَها	مَن نام لم يَشعُرْ بمَن سَهِدا
فمَحَتْه وٱكتتَبَتْ ليَبلُغَنى	ما نام مَن يهوى ولا هَجَدا
فمَحَوْتُه ثمّ ٱكتتَبْتُ أنا	واللهِ اوّلُ ميّتٍ كَمَدا
قالت يُعارِضُنى بخاتَمِه	واللهِ لا كلّمتُه أَبَدا

٤١

باب ما وُجد على التفّاح

من الالفاظ الملاح

قرأتُ على تفّاحة مكتوبا بماء الذهب

قَبْلَ تُهدونى فخُطّوا	فىّ سَطْرًا من ذَهَبْ
إنّنى أَعطِفُ مَن صَدَّ	ليُصفِى ذا كَرَبْ

وعلى اخرى بالفضّة

لَيس شيءٌ يُتَهادَى مِثْلَ تُفّاحٍ مُكَتَّبْ
خُطَّ بالفضّة.........نحْرِيرٍ مُهذَّبْ
١٩٥ يا مُنَى قلبِيَ ما تَرْثِي لِذِي عِشْقٍ مُعذَّبْ

وعلى اخرى

انا للأحباب بالسِرِّ وبالوصل رَسُولُ
أُتَهادَى فأُرِقُّ ٱلْقَلْبَ والقلبُ مَلُولُ

وعلى اخرى

واذا ما مُرسَلٌ نَمَّ فما انتِ نَمُومَهْ
انتِ رَيْحانةُ قلبى ثُمّ للسِرِّ كَتُومَهْ

وعلى اخرى

انا شَمّامةُ الكريـ.......لِمَجْلِسِهْ
ورَسُولٌ مُبارَكٌ مُذهِبٌ صَدَّ مُونِسِهْ

وعلى اخرى

اِشْرَبْ على حُمْرةِ تُفّاحٍ يا مُونِسِي مِن بارِدِ الراحِ
حَيّاك معشوقٌ له زَهْرَةٌ وقينةٌ بالعُودِ مِفْصاحِ

وعلى اخرى

ما تَحيّا ببلاءِ النّاسِ مُذْ كانوا بِمِثْلى
لِيَ طِيبٌ وبَقاءٌ ومَلاحاتٌ تُسَلّى

وعلى اخرى

لِي طَراواتٌ وريحٌ ثمّ ماءٌ ونَضارَهْ
ليس للياقوتِ فضلٌ كلُّ ياقوتٍ حِجارَهْ

وعلى اخرى

جَرَحَ اللهُ الذى يَجْرَحُ بالسكّينِ لَحْمِي
فَلَجُوا حامِضةً إنّى كمِثْلِ الشُهْدِ طَعْمِي

وعلى الاخرى

أنا حمراء تَدعونى لمُحِبٍّ وحَبيبِ
وكُلُوا ذاتَ بياضٍ أَكْلُها غير مَعيبِ

وعلى الاخرى

حَيّاك انسانٌ له رَونقٌ نَوّارةٌ دانيةٌ تُزهِرُ ١٩٩
تُفّاحةٌ حمراء منقوشةٌ تَخجلُ من حُمرتها الجَوْهَرُ

٤٢ باب ما وُجد على ذيول الأقمصة والأعلام

وطرز الاردية والاكمام

قال الماوردىّ رأيتُ جارية ونحن عند محمّد بن عمرو بن مَسعَدة لم اشكّ أنّه عاشق لها والبها مائل لما رأيتُ من حركاته اذا نظرتْ وسروره اذا نطقتْ وتهلّله اذا غنّت وكانت فوق وصف الواصف من الحسن والجمال وعليها قميص موشّح بالها ورِداء معيّن مكتوب فى وشاح القميص

أَغيبُ عنكَ بودٍّ لا يُغيّرهُ نأىُ المَحَلِّ ولا صرفٌ مِنَ الزمَنِ
تَعتَلُّ بالشُغلِ عنّا ما تُكلّمنا ألشغلُ للقلب ليس الشغلُ للبَدَنِ

وعلى طراز الرداء

أَقَلُّ الناسِ فى الدنيا سُرورًا مُحِبٌّ قد نأى عنه الحبيبُ

قال ورأيتُ جارية لبعض الهاشميّين يقال لها عُرَيب عليها قميص ملحم موشّح بالذهب مكتوب فى وشاحه

وانّى لأَهواهُ مُسيئًا ومُحسنًا وأَقضى على قلبى له بالذى يَقضى
فحتّى متى رَوحُ الرِضى لا ينالُنى وحتّى متى ايّامُ سُخطك لا تَمضى

وعلى طراز كُمّه

اذا صَدَّ مَن أهوى وأَسلَمَنى الغَرَى ففُرقةُ مَن أهوى أحرُّ من الجَمْرِ

ورأيتُ على ماجن جارية مُكاتم المغنّية قميصا فى وشاحه بالذهب

زَفَراتِى ليس تَفْنَى   وفؤادى بكَ مُضْنَى
أَتَرضاكَ وأُبْدِى   لكَ ....ـنَا
بأبى كَمْ أَتمنَّى   والى كَمْ أَتَمَنَّى
بعد ما أَصبحَ قلبى   فى يدِ الأحرارِ رَهْنَا

قال ورأيتُ فى صدر قميص جارية تَبَارِيح الكوفيّة مكتوبا بالفضّة والذهب سطرا وسطرا

١٦٧ يا فَتَى قلتُ انْ دعانى هواهُ   مُستجيبًا لِصَوْته لَبَّيْكَا
ما بَكَتْ مُقْلتى لِفَقْدِكَ الّا   جَزَعًا أَنْ أموتَ شَوْقًا الَيْكَا

قال ورأيتُ مرّة اخرى عليها دُرّاعة ملحم بترانين ابريسم ولِبْنة سُوسَنْجِرْد وفى دَوْر اللبنة مكتوب

يا راميًا ليس يَدرِى ما الذى فَعَلَا   أَمْسِكْ عليك فانّ السهم قد قَتَلَا
اصبتَ أَسوَدَ قلبى اذ رميتَ فلا   شُلَّتْ يمينُك ان صيّرتَنى مَثَلَا

وكتبت بُنَان جارية الخَيْزُران على ترانين دُرّاعة لها بذهب

لم تَقُل قولًا ولكن حَلَفَتْ   أَنَّها أَحسَنُ عينٍ أَطْرَقَتْ
زعمتْ أَنّىَ قد لاحَظْتُها   أَىُّ عينٍ لَحَظَتْ فٱعترَفَتْ
أَظهرتْ حُجّةَ مَن يَعشَقُها   وٱستباحتْ غفلةً وٱنصرَفَتْ

وعلى طِراز كُمّها

ليس لى صبرٌ ولا بِى جَلَدٌ   قد نَفَى حُبُّك عنّى جَلَدِى

واخبرنى بعض اصحابنا قال اخبرنى من رأى فى نيل جارية لحسن بن قارن منسوجا فى العَلَم

أَحْسَنُ ما قد خَلَقَ اللّهُ   وما لم يخلُقْهُ
شَكْوَى فتاةٍ وفتًى   يَعشقها وتعشقُهْ
نارُ الهوى دانيةٌ   تُحرِقُها وتُحرِقُهْ
يا حبّذا الحُبُّ اذا   دامَ ودامتْ حُرَقُهْ

وكتبت رَاهِبى جارية الاحدب قبل ان يشتريها اسحاق بن ابراهيم

الموصلىّ على وشاح قميصها

اذا وجدتُ لَهيبَ الشوقِ فى كَبِدِى   أقبلتُ نحو سِقاء القوم أبتَرِدُ
هَبْنى طَفِئْتُ بِبَرْدِ الماء ظاهرَهُ.   فمَنْ لِحَرٍّ على الأحشاء يَتَّقِدُ

وكتبت جاريةٌ لقبيحةَ على رداء لها رشيدىّ

أَراهُمْ يأمرون بقَطْعِ وَصْلِى   مُرِيهم فى أَحِبَّتِهم بذاكِ
فإن هُمْ طاوَعوكِ فطاوِعيهم   وإن عاصَوْكِ فأَعصِى مَن عَصاكِ

١٦٨ وكتبت جاريةٌ ابى حَرْب على رِداء لها ممسّك

مَن أَلِفَ الحُبَّ بَكَى   مَن شَفَّه الشوقُ شَكَا
مَن غابَ عنه إلْفُه   او صَدَّ عنهُ هَلَكَا
يا مالِكًا عذَّبَنى   بجَوْرِه اذ مَلَكَا
رِفْقًا بمَمْلوكِك ما   يَحِلُّ ذا الظُّلْمُ لَكَا

وكتب بعض الظرفاء على طراز مطْرَف خزّ

وهَبَّتْ شمالٌ آخرَ الليل قَرَّةٌ   ولا ثَوْبَ الّا بُرْدُها ورِدائيا
فما زال ثوبى طَيِّبًا من ثيابها   الى الحَوْل حتّى أَنْهَجَ الثوبُ باليَا

وكتبت دبْسيّة جاريةُ زُرْزُور على قباء معصفر

وما البدرُ المُنيرُ اذا تجلّى   هُدُوًّا حين يَنزل بالعِراقِ
بأحسنَ مِن بُثينةَ يومَ قامتْ   تَهادَى فى مُعَصْفَرةٍ رِقاقِ

٤٣ باب ما وجد على الكرازن والعصائب
ومشادّ الطُّرَر والذوائب

وكتبت عَلَلُ على قلنسوة لها ديباج وهى جارية محمّد بن المأمون

ما يَمَلُّ الحبيبُ طُولَ التجنّى   لِبَلائى به ولا الصَدَّ عنّى
كلَّ يومٍ يقول لى كَذَبتَ   يتجنّى ولا يرى ذاك منّى
ربّما جئتُه لأُسْلِفَه العُذْ   رَ لبعض الذنوب قبل التجنّى

وكتبت جارية المارقيّ على قلنسوة لها بذهب

كَتَبَ الشوقُ فى فؤادى كتابًا هُوَ بالشوق والهوى مختومُ
رَحِمَ اللهُ مَعْشَرًا فارَقُونى. لا يُطيعون فى الهوى مَن يَلُومُ
ساق طَرْفى الى فؤادى بَلائى إنّ طرفى على فؤادى مَشْومُ

وكان على قلنسوة جارية محمّد بن سعيد الفارسيّ مكتوبا

انا بعد القضاء سُمْتُ فؤادى وأَصبتُ الغداةَ عَيْنِى بعَيْنِى
لم تزَلْ بى حوادثُ الدهر حتّى فرّقتْ بين من أُحِبُّ وبَيْنِى

وكتبت جارية الحُباب على قلنسوتها

اللهُ يحفَظُه على شَحْطِ النَّوَى ما كان أَوْصَلَه الى تَعْذيبِه

١٦٩ وكتبت جارية ابن السُلَميّ على كرزنها

الشمسُ تطلع للمَغيبِ ولا أرى شوقى إليكِ على الزمان يَغيبُ

وكتبت بُنَان الشاعرة على قلنسوة لجاريتها

ان كنتَ خُنتَ ولم أُضْمِرْ خيانتَكمْ فاللهُ يأخذ ممّنْ خانَ او ظَلَمَا
سَماحةً من مُحِبّ خانَ صاحِبَهُ ما خان قطُّ محبٌّ يَعرف الكَرَمَا
واللهِ لا نَظَرتْ عينى اليك ولا سالتْ مَسارِبُها شوقًا اليك دَمَا

وقال الجاحظ رايتُ نَشْوان جارية زَلْزَل وعليها عصابة مكتوب عليها

عينٌ مُسهَّدةٌ فى مائها غَرِقَتْ يا ليتها ذهبتْ لولمْ تكن خُلقَتْ
لم تَذهَبِ النفسُ الّا عند لَحْظتها ولا بَكَتْ بدَمٍ الّا لما أَرِقَتْ
يا مُقْلةً سوف أُبْكِيها ويا كَبِدًا بها أَحاطَ الهوى والشوقُ فاحترَقَتْ

وكان على كرزنها

الحُبُّ يُعْرَف فى وُجُوهِ ذَوِى الهوى باللَّحْظِ قبل تَصافُحِ الأَجْفانِ

قال ورايتُ على قلنسوة تَباريح

أَهْلُ الهوى فى الأرض تلقاهُمْ يَمشون أَحياءً كأَمْواتِ

وكتبت شادِن جارية خنث قيّمة جوارى المأمون على وِقاية تجمع

بها ذوائبها

بَيْضاءُ تَسحَبُ من قيامٍ فَرْعَها   وتَغيبُ فيه وَهْوَ جَثْلٌ أَسْحَمُ
فكأنّها فيه نهارٌ مُشْرِقٌ   وكأنّه لَيْلٌ عليها مُظْلِمُ

وقال علىّ بن الجهم حضرتُ مجلس بعض الظرفاء فخرجت علينا جارية كأنّها تمثال وعليها عصابة قد ارسلت لها طرفين على صدرها مكتوب

مَن يكن صَبًّا وَفيًّا   فزمامى فى يَدَيْه
خُذْ مَليكى بعنانى   لا أُنازِعكَ عَلَيْه

قال فوثبتُ فاخذتُ بطرَفَي العصابة وقلتُ انا والله صبّ وأَوْفى خلق الله لمحبٍّ قالت انّه لا بدّ للفرس من سوط قلت يا غلام هات السوط قالت هيهات ذاك سوط الدوابّ وسوط مثلى شِبيه فضّة وعلاقته ذهب، وكان على قلنسوة زَيْنَ مغنّية اسماعيل

أُقيمُ على الآصال منتظرًا لها   وقد أَشْرَفَت من هَوْلِ ذاك على نَحْبى ١٧٠
أَموتُ وأَسْتحيِى الهوى أن أَنُمَّه   وإِن كنتُ منه فى عَناءٍ وفى كَرْبِ

وقال الزبير بن بكّار رايتُ على قلنسوة بعض المغنّيات

أدمَيْتَ باللَحَظات وَجْنَتَها   فأقتصَّ ناظِرُها من القَلْبِ

وعلى عصابتها

فاذا نظَرتَ الى محاسنِها   أَخرجتَها عُطُلًا من الذَنْبِ

وقال الماردىّ رايتُ جارية لبعض ولد المأمون وعليها قلنسوة عليها مكتوب

يا تارِكَ الجسمِ بِلا قَلْبِ   إن كان يهواكَ فما ذَنْبى
يا مُفرَدًا بالحُسن افردتَنى   منك بِطُولِ الشوق والكَرْبِ

وعلى كرزن لها

انا العبدُ المُقِرُّ بِطول رِقٍّ   ولبس عليك من عبدٍ خِلافُ

قال ورايتُ على جارية لاهى كرزنا مكتوبا عليه

عَـذَّبَـه بالـهـجر مَـوْلاهُ   وزادَهُ شـوقًــا وأَضْـنـاهُ
فدَمْعُه يجرى علـى خَدِّهِ   ولم تَـنَـمْ لـلـوَجْـد عَيْناهُ
قـد كتب للحبُّ على قلبه   مُـتْ كَـمَـدًا يَـرْحَـمُكَ اللّٰهُ

وكتبت جـاريـة لعيسى بـن جعفر بن المنصور وكانت قيِّمة له على كرزنها

لَيتَ النِقابَ على القِباحِ محرّمٌ   وعلـى المِلاحِ خطيئةٌ لا تُغْفَرُ

وكتبت على وقاية تجمع بها ضفائرها

جَـزَى اللّٰهُ الـبَرَاقِـعَ من ثياب   عـن الـعـيـنَـيْن شَـرًّا ما يَقِينَا
يُـغَـطِّـيـنَ الـمِـلاحَ فلا تـرَاهـمْ   ويَـسْتُرْنَ الـقِـبـاحَ فـيَـسْـتَـوِينَا

وكتبت عارم جارية جَناحٍ على كرزنها وكانـت تتعشّق بعض ولـد الحسن بن وهب

وانّى لَأَخْلُو مذ فقدتُكَ دائبًا   فَأَنْقُشُ تِمْثالًا لِوَجْهِكَ فى التُرْبِ
فـأَسْقِيه من دَمْعِى وأَبكى تضرُّعًا   اليه كما يبكى العبيدُ الى الرَّبِّ

وكتبت ابنة الرُصافية وكانت تتعشّق ابن الرشيد على كرزنها

١٧١ قالوا عليك سبيلُ الصَبْرِ قلتُ لهمْ   هيهاتَ أين سبيلُ الصبر قد ضَاقَا
ما يرجع الطَرْفُ عنه حين يُبصِرُه   حتّى يعود اليه الطرف مُشْتَاقَا

قال الفضل بـن الـربـيـع قال ابى رايـتُ عـلـى عـصـابـة دبْسيّة جارية ابى حَرْب

مَحاسِنُ وجهك تَمحُو الذُنُوبَا   وتَعمل فى الـقـلـب شيئًا عَجِيبَا
فمِن ثَمَّ تَـهـجُـرُنـى ظـالِـمًـا   تَجَنَّى وتُحْصِى علىَّ الذُنُـوبَـا

وكتبت شمسة الطنبوريّة على عصابتها وكانت تغنّى الرشيد

لا لِـصـبـرٍ هـجرتُكمْ عَلِمَ الـلّٰـهُ   ولـكـن لـشـدّة الاشْـتـيـاقِ
رُبَّ سِرٍّ شـاركـتُ فيه ضميرى   وطَـواهُ اللسانُ عند الـتَّـلاقـى

وكان على قلنسوة شمائل جارية الماهانيّة

لَـيـلِـى بـوَجْـهِـك مُشْرِقٌ   وظَلامُه فى الـلـيـل سَـارِى

فالـنـاسُ فى سَـدَفِ الظّلا مِ ونحـن فى ضَوْءِ الـنَّـهـارِ

وكان على كرزن مُشْتاق جارية اسحاق بن علىّ الهاشمىّ مكتوبا بالذهب سطران

ان كان قلبىَ يهوى وَصْلَ غيرِكُمُ اذًا فعاقَبَنى الرحمنُ فى بَصَرِى
أَوْلم يكن بِكُمُ ما عِشْتُ ذا كَلَفٍ فأَنزَلَ اللهُ بى يا سيّدى حَذَرِى

وكان على عصابتها مكتوبا بالذهب

ما كـنـتَ الّا حُـلُـمًا رَأَتْـه عينى فى الوَسَنْ
يا سَـمِـحَ الـفِـعْـل ويا أَحسَنَ مِن كلّ حَسَنْ

٤٤ باب ما وُجد على الزنانير والتكك والمناديل

قال علىّ بن الجهم رايتُ فى منطقة واجِد الكوفيّة زنّارا منسوجا مكتوب فيه

لستُ أَدْرِى أَطال ليلىَ أَمْ لَا كيف يدرى بذاك مَن يَتَقَلّى
لو تفرَّغتُ لِاستطالةِ ليلى ولِرَعْيِ النُّجومِ كنتُ مُخَلّا

ورايتُ جاريةً فى بيعة مارِى مَرْيَمَ فى دار الروميّين بمدينة السلام كانّها فلقة قمر خارجة من الهيكل فى وسطها زنّار عليه بيتان

١٧٣ زُنّارُها فى خَصْرِها يَطرَبُ وريحُها من طيبها أَطْيَبُ
ووَجْهُها أَحسنُ من حَلْيِها ولونُها من لونها أَعْجَبُ

وقرأتُ فى زنّار وقاية لبعض القصريّات

أَليس عجيبًا أَنّ بيتًا يضُمّنى وإيّاك لا نَخلُو ولا نتكلّمُ

ورايتُ جارية أُبليّة لبعض المخنّثين وقد علّقت طبلا فى عنقها بزنّار عليه مكتوب

آوّتا من بَدَنى كلّه فُتِّتَ منّى مَفصِلًا مَفصِلَا

وعلى تكّتها مكتوب

غابُوا فأضحى الجِسْمُ من بعدهمْ لا تُبصرُ العينُ له فَيَّا
وا خَجْلَتَا منهم ومن قولِهمْ ما ضَرَّك البُعْدُ لنا شَيَّا
بأيِّ وَجْهٍ أتلقّاهُمُ اذا رأَوْني بعدهم حَيَّا

وكان على تكّة هاتف جارية العاجيّ مكتوبا

ولى عاذلٌ قد شَقَّ قلبى بعَذْلِه وواشٍ بنَبْلِ الحُبّ يرمى مَقاتِلى
كَفَى حَزَنًا والحمدُ للّه أنّنى تقطَّعَ قلبى بين واشٍ وعاذلِ

وكتبت خاضع المغنّية على زنّار كانت تشدّ به طُرّتها

ما أتْيَهَ المعشوقَ فى نفسه وأبْيَنَ الذُلَّ على العاشِقِ

واخبرنى من قرأ على طرفَىْ تكّة لقينة

ما أرانى حُبِّلتِ التكّة الّا لهَنَاتِ
وأنّما خُلّىَ للتكّة انْجازُ العِداتِ

واخبرنى اخر انّه قرأ على تكّة لبعض المواجن

اقْطَعِ التكّةَ حتّى تذهبَ التكّةُ أصْلَا
ثمّ قُلْ للرِدْف اهلًا بك يا رِدْفُ وسَهْلَا

وكتبت سلم جارية لمم الى فتى كانت تحبّه فى منديل دبيقىّ بالذهب

هاءَنَذا يُسقطُنى للبِلَى عن فُرُشى أنفاسُ عُوّادِى
لو يَجِدِ السِلْكَ على دقّة خَلْقًا لَأَضحَى بعضَ حُسّادِى

فكتبت اليه فى منديل اخرَ

١٧٣ لا تسئلِى كيف حالى بعد فُرْقتكمْ ها فانْظُرِى وأجلّى طَرْفَ مُمتحنِ
ترى بلًى لم يَدَعْ منّى سِوَى شَبَحٍ لولم أقُلْ هانِئًا للناس لم أَبِنِ

وقرأت على منديل لبعض الظرفاء وقد ادرج فيه كتابا

وانّى لَتَنغشانى لِذِكْراك فَتْرةٌ كما انتفضَ العصفورُ بَلَّلَه القَطْرُ
عجبتُ لسَعْيِ الدهر بينى وبينها فلمّا انقضَى ما بيننا سَكَنَ الدهْرُ

وكتب اخر على منديل

إنّ بعض العِتاب يدعو الى العَتْب ويُودى به الحبيبُ الحبيبا
واذا ما القلوبُ لم تُضمِرِ الحُبَّ فلن يَعطِفَ العتابُ القُلوبا

واخبرنى من راى على منديل ممسّك لبعض الظراف

انا مبعوثٌ اليكمْ أُنْسُ مَولاتى لَدَيْكِ
صَنَعَتْنى بيَدَيْها فأمْسَحِى بى شَفَتَيْكِ

وكتب اخر على منديل اهداه

انا منديلُ محبٍّ لم يَزَلْ نَاشِفًا بى من دُمُوعِ مُقْلَتَيْهْ
ثمّ أهدانى الى محبوبةٍ تَمسَحُ القَهْوَةَ بى من شَفَتَيْهْ

وقرأتُ على منديل لبعض الظراف

ان يكن حَبْلُكِ من حبلى وَهَى والى شوقى اليكِ المُنْتَهَى
لم يذكّرنيكِ شوقٌ حادثٌ انّما يَذكر مَن كان سَهَا

وكتبت اسماء بنت غصيص جارية حَمْدُونة ابنت المهدىّ على تكّتها من الوجهَيْن

جِلدٌ على أعْظُمٍ دِقاقٍ مَسكَنُ أنفاسهِ التَراقى
تُوقَدُ احشاؤُه فيُطفِى حُرْقتَها هاطِلُ المآقى
لولا تَسلّيه بالتبكّى اذا جَنَيْناه بالّاحتِراقِ
يا ربِّ عَجِّلْ وفاةَ رُوحِى قبل هُجُومى على الفِراقِ

وكتبت على منديلها

اليكَ أشكو ربِّ ما حلّ بى من صَدِّ هذا العاتب المُذْنب
صَدَّ بِلا جُرْمٍ ولو قال لى لا تَشْرَبِ البارِدَ لم أشْرَبِ

وكتب اخر على منديل اهداه ١٧٤

ايا مَن لا أُرجّى منه رِفْقًا ولا مِن رِقّه ما عشتُ عِتْقَا
لقد أنفدتُ دمعَ العين حتّى بكيتُ دمًا لفقْدِكَ ليس يَرْقَا

وكتبت عِنان جارية النطاف على منديل وجّهت به الى ابى نواس وكانت تحبّه

أَمَا يُحسِنُ مَن أَحْسَنَ أن يَغضبَ أن يَرْضَى
اما يرضى بأن صِرتُ على الارض له أَرْضَا

٤٥ باب ما وجد على الستور والوسائد
والبسط والمرافق والمقاعد

قال علىّ بن الجهم قرأتُ على سِتْرٍ لبعض امّهات ولد المأمون

هجرْتَنى كَىْ أُجارِيكُمْ بفِعْلِكُمُ   لا تَهْجُرِينى فانّى لا أُجارِيكِ
قلبى مُحِبٌّ لكم راضٍ بفعلكمُ   استرزِقِ اللهَ قلبًا لا يُجانِبكِ
اصبحتُ عبدًا لِأَدْنَى اهلِ دارِكمُ   وكنتُ فيما مَضَى مولًى مَوالِيكِ

وكتب بعض ولد المتوكّل على ستره

يا ايّها اللائمى فيها لأَصْرِفَها   أكثرتَ لو كان يُغنِى عنك اكْثارُ
ارْجِعْ فلستَ مُطاعًا إن وَشَيْتَ بها   لا القلبُ سالٍ ولا فى حُبّها عارُ

وكتب موسى الهادى بن المهدىّ على ستره

يا ايّها الزاعمُ الذى زَعَمَا   أنّ الهوى ليس يُورِثُ السَقَمَا
لو أنّ ما بى بك الغداةَ لَما   لُمْتَ محبًّا اذا شكا أَلَمَا

وكتب بعض الظرفاء على مِخَدّة له

يا راقدَ الليلِ ممّن شفّه السَقَمُ   وهدّه قلقُ الأحزانِ والأَلَمِ
جُدْ بالوِصال لِمَن أمسيتَ تَملكُهُ   يا احسنَ الناس مِن قَرْنٍ الى قَدَمِ

اخبرنى من قرأ على مخدّة لبعض الظرفاء

لم أَذُقْ يا سُولَ قلبى   للكرى مُذْ غِبْتَ طَعْمَا
تَرَكَ الدمعُ على خدّىَّ لمّا فاضَ رَسْمَا

١٧٥ وقرأْتُ على وسادة لبعض الكتّاب

تشكّى المُحِبّون الصبابةَ ليتَنى   تحمّلْتُ ما يَلقَوْن من بينهم وَحْدِى
فكانت لِروحى لَذّةُ الحبّ وَحْدَها   فلم يَلْقَها قبلى محبٌّ ولا بَعْدِى

واخبر بعض الكتّاب انّه قرأ على بساط لبعض اهل الهوى

أَحْسَنُ من قَهْوةٍ وعُودِ تَوْرِيدُ خدَّيْك يا وَحِيدُ
نَأَيْتَ عنّى فذابَ جِسْمى وهدّنى الشوقُ والصُّدُودُ
وطال سُقْمى لبُعْدِ حُبّى ومَلّنى الأهلُ والبَعِيدُ

وكتب بعض الظرفاء على مصلّاه

وَقَفَ الهوى بى حيثُ انتِ فليس لى متأخَّرٌ عنه ولا متقدَّمُ
أَجِدُ الملامةَ فى هواكِ لذيذةً حُبًّا لذِكْرِكِ فلْيَلُمْنى اللُّوَّمُ
وأَهَنْتِنى فأَهَنْتُ نفسى عامدًا ما مَن يَهونُ عليكِ مِمّن أُكْرِمُ
أَشْبَهْتِ أَعْدائى فصِرتُ أُحِبُّهم اذ صارَ حَظّى منكِ حظّى مِنْهُمُ

وكتب سعيد بن قيس على مصلّاه

سأَمْنَعُ عينى أن تَلَذَّ بنَظْرةٍ وأُشْغِلُها بالدمع عن كلّ مَنْظَرِ
وأَشكُرُ قلبى فيك حُسْنَ بَلائه أَلَيس به أَلْقاك عند التذكُّرِ

وكتب بعضهم على بساط

كتمتُ حُبَّهُمُ صَوْنًا وتَكْرِمَةً فما دَرَى غيرُ اضمارى به وهُمُ
قومٌ بذلتُ لهمْ صَفْوَ الوِداد فما جازَوْا عليه ولا كافَوْا ولا رَحِمُوا
هُمْ علّمونى البُكا لا ذُقْتُ فقدَهُمُ يا ليتَهم علّمونى كيف أَبْتَسِمُ

۴۹ باب ما وُجد على المناصّ والحِجال والاسرّة والكِلَل

قرأتُ على كِلّة معصفرة لبعض الكتّاب بالذهب

مِن قِصَرِ الليل اذا زُرْتِنى أَبْكى وتبكين مِنَ الطُولِ
عَدُوُّ عينَيْكِ وشانيهما أَصبحَ مشغولًا بمشغولِ

واخبرنى بعض الظرفاء انّه قرأ على منصّة لبعض المُجّان

تقول وقد جرّدتُها مِن ثيابها السنَ تَخافُ اليومَ أَهْلَكَ او أَهْلى
فقلتُ كِلانا خائفٌ بمكانه فهل هو الّا قَتْلُكِ اليومَ او قَتْلى ۱۰۶

وقرأتُ على كِلّة حرير اسمانجونى بالذهب

سهرتُ وعانقتُها ليلةً   على مثلها يحسُدُ الحاسدُ
كأنّا جميعًا وثوبُ الدجا   علينا لمُبصِرنا واحدُ

وقرأتُ على كلّة لبعض الظرفاء

فبِتْنا على رَغْمِ الحسود وبيننا   حديثٌ كريحِ المسك شِيبَ به الخمْرُ
حديثٌ لو انّ الميْتَ يُوحَى ببعضه   لأصبح حيًّا بعد ما ضمّه القبْرُ

وقرأتُ على وجه اريكة لبعض الهاشميّين

جعلْتِ مَحلّةَ البلْوى فؤادى   وسلّطْتِ السُهادَ على رُقادى
دَعِينى لا أبوحُ بكلّ وجدى   أليس النارُ من طَرَفَىْ زِنادى
وبِتِّ خليّةً وسلبتِ نومى   اما ٱستحيَا رُقادُكِ من سُهادى

وكتب بعض الظرفاء على حَجَلة له معصفرة بالذهب

دعينى أَمُتْ والشَمْلُ لم يتشعّبِ   ولا تَبْعُدى أَفْدِيكِ بالأُمِّ والأَبِ
سقى اللهُ ليلًا ضمَّنا بعد هَجْعةٍ   وأَدْنَى فؤادًا من فؤادٍ معذَّبِ
فبِتْنا جميعًا لو تُراقُ زُجاجةٌ   من الرّاحِ فيما بيننا لم تُشرَّبِ

واخبرنى بعض الكُتّاب انّه قرأ على حجلة مكتوبا

نَشرَتْ علىّ غدائرًا من شَعْرِها   حَذَرَ الفضيحة والعدوّ المُوبِقِ
فكأنّه وكأنّنى وكأنّها   صُبْحانِ باتا تحت ليلٍ مُطْبِقِ

ودخلتُ على بعض الكتّاب فى يوم شديد الحرّ وهو على دكّان ساج مكتوب فى وجهه باللازَوَرْد

حَرُّ حُبٍّ وحرُّ هجرٍ وحَرٌّ   اىُّ شىءٍ يكون من ذا أَمَرُّ

وعلى الجانب الاخر

ثلاثةُ أَحْبابٍ فحبٌّ علاقةٌ   وحبٌّ تملّاقٌ وحبٌّ هو القتْلُ

واخبرنى بعض من قرأ حول سرير لبعض الظرفاء

ومجدولة أمّا مَجالُ وِشاحِها   فغُصْنٌ وأمّا رِدْفُها فكثيبُ
لها القمرُ السارى شقيقٌ وانّها   تَطَلَّعُ أحيانًا له فيغيبُ
أقول لها والليلُ مُرْخٍ سُدولَها   علينا بكِ العيشُ الخسيسُ يَطيبُ ١٧٧

فقالت نَعَمْ إن لم يكن لك غَيْرُنا   ببغدادَ من أَهْلِ القُصُورِ حبيبُ

وكتب بعض الظرفاء على سرير له آبنوس بعاج

إنّ طَيْفَ الخَيال أَرّق عينى   ما لِعينى وما لِطَيْفِ الخَيالِ
جَمَعَ اللهُ بين كلّ مُحِبٍّ   قد جَفاهُ لِحَبيبُ بعد الوصالِ

وكتب على منصّته بالذهب

يَنامُ المُسْعِدونَ ومَن يلومُ   وتُوقِظُنى وتُوقِظُها الهُمُومُ
صحيحٌ بالنَهار لِمَنْ يَرانى   ولَيْلِى لا أَنامُ ولا أُنِيمُ

٤٧ باب ما يكتب على المجالس والابواب
ووجوه المستنظرات وصدور القباب

قال علىّ بن الجهم رأيتُ فى صدر قبّة مكتوبا بألوان فصوص منضّدة

لا تُطمِعِ النفسَ فى السُلُوّ اذا   أحببتَ حتّى تُذِيبَها كَمَدَا
مَن لم يَذُقْ لَوعَةَ الصُدُودِ ولم   يَصبِرْ على الذُلّ والشَقا أَبَدَا
فذاكَ مستطرَفُ الفؤادِ يَرَى   فى كلّ يومٍ أحبابَهُ جُدَدَا

واخبرنى ابو جعفر القارئ قال اخبرنى بعض شيوخنا انّه قرأ فى صدر مجلس لامير المؤمنين المأمون

صِلْ من هَوِيتَ ودَعْ مَقالَةَ حاسدٍ   ليس الحَسُودُ على الهوى بمُساعِدِ
لم يَخْلُقِ الرحمنُ أحسنَ منظرًا   من عاشقَيْنِ على فراشٍ واحِدِ
مُتعانِقَيْنِ عليهما أُزُرُ الهوى   متوسِّدَيْنِ بمِعْصَمٍ وبساعِدِ
يا مَن يَلومُ على الهوى أهلَ الهوى   هل تستطيعُ صَلاحَ قلبٍ فاسِدِ

وقرأت على وجه مستنظر لبعض الكتّاب

هَبّتْ شمالٌ فقلتُ من بَلَدٍ   انتَ به طابَ ذلك البَلَدُ
وقبّلَ الريحَ من صبابتِهِ   هل قبّلَ الريحَ قبلَه أَحَدُ

واخبرنى احمد بن الحسين بن المنجّم المقرئ انّه قرأ على مستنظر لبعض الكتّاب

لى الى الريحِ حاجةٌ لـو قضتْها   كنتُ للريحِ ما حييتُ غلامَا
١٧٨ حَجَبوها عنِ الرياحِ لأنّى   قلتُ يا ريحُ بلّغيها السلامَا
لو رَضُوا بالحجابِ هان ولكنْ   مَنَعُوها يومَ الرياحِ الكلامَا

اخبرنى عبد الحميد المَلَطىّ انّه قرأ على باب مجلس بمَلَطْيَة

لا يمنعنّك خَفْضُ العيشِ فى دَعَةٍ   نُزوعَ نفسٍ الى أهلٍ وأوطانِ
تَلْقَى بكلِّ بلادٍ إن حللتَ بها   اهلًا بأهلٍ وجيرانًا بجيرانِ

وفى صدر المجلس ايضا مكتوب

اذا كنتَ فى ارضٍ غريبًا فرجّها   ولا تكترِثْ فيها نُزوعًا الى الوَطَنْ
فما هِىَ الّا بَلْدةٌ مثلُ بلدةٍ   وخيرُها ما كان عَوْنًا على الزمَنْ

وقرأت على بابِ دار خَدْشًا فى الجصّ بعُود

هَلّا رَحِمتُم مَوْقِفى بفنائكمْ   متعرِّضًا لنسيمِكمْ أتنشّقُ
متلدّدًا أبكى لِما قد حَلّ بى   مثلَ الغريقِ بما يَرَى يتعلّقُ

واخبرنى صديق لى انّه قرأ على باب دار بالحجاز

يا دارُ إنّ غزالًا فيكِ عذّبنى   للّه درُّكِ ما تحوينَ يا دارُ
الدارُ تملكُنى ويَحْيى وصاحِبُها   قلبى مَليكانِ ربُّ الدارِ والدارُ
يا دارُ لولا غزالٌ فيكِ تُعلِقنى   ما كان لى فيكِ اقبالٌ وادبارُ

واخبرنى من قرأ على باب دار باصطخر منقوشا بحجر

أرى الدارَ من بعد الحبيبِ ولا أرى   حبيبى مع الباقين فى عَرْصَةِ الدارِ
فيا عَجَبًا اذْ فارَقَ الجارُ جارَهُ   أليس شديدًا فُرقةُ الجارِ للجارِ

٤٨ باب ما وُجد للمتظرّفات والظراف

مكتوبا على النعال والخفاف

قال الماردىّ كتبت جارية للمارقىّ على نعلها بالذهب

لم ألْقَ ذا شَجَنٍ يَبوحُ بحُبّه   الّا حسبتُك ذلك المحبوبَا
حَذَرًا عليك وإنّنى بك واثقٌ   أنْ لا تنالَ سِواىَ منك نصيبَا

وكان على نعل جارية سعيد الفارسىّ

لا تأنفنَّ من الخُضوعِ لِمَن تُحِبُّ ودارِهِ   اخضَعْ له فلَطالَ ما مُلِكَت حَلَّ إزارِهِ

وكتبت مُلْك جارية ابن عاصم على خفّ لها رَهاوىّ بذهب

١٧٩ وإنّى لإشفاقى عليك وصَبْوتى   اليك كأنّى فى المَنامِ أَراكا

تُحدِّثُنى نفسى اذا غِبْتَ ساعةً   بأَنّ لِقاءَ الموتِ دون لِقاكا

وكتبت متيَّم المغنّية على نعلها

أقسَمَتْ مُقْلَتُهُ لا تَنثَنِى   عن فؤادى او تراهُ قِطَعا

فلقد بَرَّتْ فهَلْ من مَطْمَعٍ   أن ترى ما قطّعتْ مُجتمِعا

واهدى سعيد بن حميد نعلا الى صديق له وكتب عليها

نعلٌ بعثتُ بها لتَلْبِسَها   قَدَمٌ بها تَسعَى الى المَجْدِ

لو كان يَصلُحُ أن أُشرِّكَها   خَدّى جعلتُ شِراكَها خَدّى

وكتبت جارية علىّ بن عيسى بن يَزْداد كاتب اسحاق بن ابراهيم على خفّها

تُولِمُهُ الألحاظُ لمّا بَدا   محتجِبًا عن لَحَظات العبادْ

مَنزِلُهُ نائٍ ولكنّه   يَسكُنُ منّى فى سَوادِ الفُؤادْ

واهدى بعض الكتّاب نعلا وكتب على شراكها

لى فؤادٌ شَفَّه الحُزْ   نُ وأَضْناهُ الصُدُودُ

وهواىَ كلَّ يومٍ   هو يَنمِى ويَزيدُ

وكتب بعض الظرفاء على خفّ له مُحالسىّ بالذهب

لولا شقاوةُ جَدّى ما عرفتُكمُ   إنّ الشقىَّ الذى يَشقَى بمن عَرَفا

طافَ الهوى بعِبادِ الله كلِّهِمِ   حتّى اذا مرَّ بى من بينهم وَقَفا

واخبرنى من راى نعلا من فضّة أُهديت لبعض الظرفاء عليها مكتوب

بأَبِى انتَ سَيِّدى ومُناىَ   جعلَ اللهُ والِدَىَّ فِداكا

لك خَدّى من الثَرى لك نعلًا   قُدَّ للنعل من فؤادى شِراكا

وقرأت على نعل سندىّ مدهون

جعلتُ خدّى له أرضا فقلتُ طأْ من فوقها وأرضا
فقال لا قلتُ بلى سيّدى صبرًا على الحبّ وإن مضّا

٤٩ باب ما يكتب بالحنّاء فى الوطأة والوشاح وعلى الاقدام والراح

كتبت ذُوَيْبت جارية حمدونة على وطأتها اليُمنى

١٨٠ اِعْلَمى يا أحبَّ منّى إليّا أنّ شوقى اليكِ يَقْضِى عليّا

وعلى اليسرى

إن قضى اللهُ لى رجوعًا اليكمْ لم أَعُدْ للفراق ما دُمْتُ حَيّا

وكتبت لُبْنَى جارية عبّاس النديم على راحتها بِسُكّ وعنبر فى اليمنى

قالوا تَمَنَّ وقُلْ فقلتُ لهمْ يا ليتَها حَظّى من الدُنْيا

وعلى اليسرى

لا أَبتغى سُقْيا السحابِ لها فى عَبْرتى خَلَفٌ من السُقْيا

وكتبت جارية السَعْديّة على راحتها اليمنى بالحنّاء

رفعتْ للوداع كفًّا خضيبًا فتقلّبْتُها بدمعٍ خضيبِ

وعلى اليسرى

واشارت الىّ غَمْزًا بحَقّ نَعْتُه مثلُ فعلِه فى القُلُوبِ

وكتبت جارية ابن الساحر على وطأتها اليمنى

وما انا عن قلبى براضٍ لأنّه أشاطَ دَمِى ممّا أَتَى متطوِّعَا

وعلى اليسرى

تمنّى رجالٌ ما أحبُّوا وانّما تمنّيْتُ أن أشكو اليها وتَسْمَعَا

قال المارِدىّ رايتُ على راحة قائد جارية لبعض جوارى المأمون اليمنى بالحنّاء

فدَيْتُكَ قد جُبِلتُ على هواكا فقلبى ما يُنازِعُنى سِواكا

وعلى اليسرى

أُحبُّكَ لا ببَعْضى بَلْ بكُلّى   وإن لم يَبْقَ حُبُّكَ من جَراكا

وقرأتُ فى كفّىْ جارية بالنقش

اذا قيل ما تَشكو أَشارَ الى الحَشا   فأوّلُ ما تشكو وآخِرُهُ الهَجْرُ
فيا ليتَ قلبى صار صخراً كقلبِهِ   ولم يُبْلِهِ الشوقُ المبرِّحُ والفِكْرُ

واخبرنى من راى جارية لبعض آل طاهر قد كتبت فى وِشاحها وقدميْها

عَزَموا المُقامةَ أَمْ تُراهمْ أَزمعُوا   يا طُولَ وجدى ان هُمُ لم يَرْبَعوا
١٨١ ومُراعةِ اللَبَيْنِ تَحسِبُ أَنّنا   شمسٌ على غُصنٍ يَغيبُ ويَطْلُعُ
كتبتْ اليَّ على شقائقِ خدّها   سطرًا من العَبَرات ما ذا تَصْنَعُ
فأَجَبْتُها بلسانِ صِدْقٍ ناطقٍ   ما فى الحياة من التفرّقِ مَطْمَعُ

وكتبت الماهانيّة على كفّ جاريتها شَماريخَ بالحنّاء

أَبَى الحبُّ الّا أن اكونَ معذّبَا   ونيرانُهُ فى الصدر الّا تلهُّبَا
فوا كَبِدَا حتّى متى انا واقفٌ   ببابِ الهوى أَلْقَى الهَوانَ وأَنْصَبَا

٥٠ باب ما يكتب على الجبين والخدّ

ويطرف به ذوو الصبابة والوجد

قرأتُ على جبين جارية لنخّاس بالغالية وقد اخرجها للعرض

وشادنٌ احسَنُ خَلْقِ اللّهْ   فى كفّه سيفُ رَسولِ اللّهْ
قد كتب الحُسْنُ على وجهها   سطرَيْن بالعنبر بأسم اللّهْ
على يدَىْ رِضوانَ منسوجةٌ   صَنْعةُ حُسنٍ فى طِرازِ اللّهْ
انا غريقٌ فى بحارِ الهوى   شِبْهُ قتيلٍ فى سبيلِ اللّهْ

واخبرنى من راى على جبين جارية نخّاس مكتوبا فى سطرين

اذا حُجِبَتْ لم يَكْفِكَ البدرُ فَقْدَها   وتكفيكَ فَقْدَ البدرِ إن حُجِبَ البَدْرُ
وحسبُكَ من خمرٍ نُفوثُكَ رِيقَها   وواللهِ ما مِن ريقها حسبُكَ الخَمْرُ

وقال علىّ بن الجهم رايتُ على خدّ جارية لفاطمة بنت محمّد بن عمران الكاتب مكتوبا بالمسك

رَضِيتُ على رَغْمى بحُبّكِ فاعْدِلى   ولا تُسْرِفى اذ صار فى يدك الحُكْمُ
متى يَظْفَرُ المظلومُ منكِ بحقّه   اذا كنتِ قاضيه وانتِ له خَصْمُ

قال المازنىّ كان على جبين جارية شريط مكتوب بالغالية

صرمتَنى ثمّ لا كلّمتَنى ابدًا   ان كنتُ خُنْتُك فى حالٍ من الحالِ
ولا هممتُ ولا نفسى تُحدّثنى   قلبى بذاك ولا يجرى على بالِ

وقال الجاحظ كتبت مؤلّف جارية الصخرىّ على جبينها

ومحسودةٍ بالحُسنِ كالبدر وجهُها   وألحاظُ عينَيْها تَجورُ وتَظْلِمُ
ملكتُ عليها طاعةَ الشوقِ والهوى   وعلّمتُها ما لم تكن منه تَعْلَمُ

١٨٢ قال وقرأتُ على جبين قينة بالعسكر مكتوبا بغالية وعنبر

يا قَمَرًا لاحَ فى الظَّلامِ   عليك من مُقْلَتِى السَّلامُ

وكتبت ظَلُوم على جبينها بالمسك

ألعينُ تَفقِدُ مَن تهوى وتُبصِرُهُ   وناظرُ القلبِ لا يخلو مِنَ النَّظَرِ

وظَلُوم هذه كان يحبّها العبّاس بن الاحنف وفيها يقول

إنّ بالكَرْخِ منزلًا لغزالٍ   بين قصرِ الأميرِ والخَيْزُرانِ
والهوى قائدى اليه وشوقى   ليس بالشوق والهوى لى يَدانِ
لستُ أنساكِ يا ظَلُومُ وعهدِ الـ   ـلّهِ حتّى أُلَفُّ فى أكْفانى
فثِقِى بى فأنتِ اعرَفُ منّى   بحِفاظى فى السِرِّ والإعلانِ

٥١ باب ما يفلّج به التفّاح والاترجّ والدستنبويات

ويُعدل به تنضيد الورد والياسمين والخيريّات

اخبرنى بعض شيوخنا من الكتّاب بالعسكر قال قرأتُ على طَبَقَيْن اهداهما بعض الفُرسِ الى بعض الكتّاب قد نُضِد بأنواع من السوسن والياسمين والشقائق والرياحين على احدهما مكتوب

شادنٌ راحَ نحو سَرْحةِ ماء   مُسرِعًا وجَنَاهُ كالتُفّاحِ
وَرَدَ الماءَ ثمّ راحَ وقد أَصْـ   ـدَرَهُ الماءُ فى غِلالةِ راحِ

وعلى الاخر

رَقَّ حتّى حَسِبْتُه وَرَقَ الوَرْ دِ نَدِيًّا يَرِفُّ بين الرياضِ
وَرَدَ الماءَ ثمّ راحَ وقد ألْبَسَهُ الماءُ حُمْرَةً فى بَياض

قال ورايتُ بين يدى بعض الكتّابِ طَبَقَ وردٍ احمر مكتوب فيه بالابيض

لم يَضْحَكِ الوردُ الّا حين يُعْجِبُهُ زَهْرُ الربيعِ وصَوْتُ الطائر الغَرِدِ
بَدَا فَأَبْدَتْ لنا الدُّنيا مَحاسِنَها وراحتِ الراحُ فى أثوابِها الجُدُدِ

واخبرنى من راى طبقَ ريحان مكتوب فى دَوْره بياسمين ونِسْرِين

فما رِيحُ رَيْحانٍ بمِسكٍ وعنبرٍ بنَدٍّ وكافورٍ بدُهْنةِ بانِ
بأطيَبَ ريًّا من حبيبى لَوَ انّنى وجدتُ حبيبى خاليًا بمكانِ ١٨٣

وقرأتُ فى تفليجِ اترجّةٍ اهديَت لبعض الظرفاء

هِيَ فى العالَمِ كالشَّمْسِ أضاءتْ فى البلادِ
وَهْيَ فى كلّ كَمالٍ قد عَلَتْ فوق العبادِ

واخبرنى من قرأ فى تفليجِ تفّاحةٍ

انا الى العاشقِ منسوبَةْ أُهْدَى لِمحبوبٍ ومحبوبَةْ

وعلى تفّاحةٍ اخرى مفلّجةٍ

خَطَّتْ يَمينى فوق تُفّاحةٍ أَقْلَقَنى هَجْرُكِ يا قاتِلِى

وحضرتُ هديّةً لبعض متظرّفات القيان الى بعض ظرفاء الكتّاب وفيها تفّاحةٌ فى تفليجها مكتوب

ليس تُفّاحةٌ بأطيبَ طِيبًا من حبيبٍ مُعانِقٍ لِحبيبِ

واترجّةٌ فى تفليجها مكتوب

أُهْدَى هِلالٌ لكلّ يومٍ اذا بَدَا الثّغرُ بابتسامِ

وطَبَقُ خيريّات مكتوب فى تعديله

يا طِيبَ رائحةٍ فاحتْ لِبستانِ من بين وَرْدٍ ونِسْرينٍ وريحانِ
وياسمينٍ ذَكيٍّ زادنى طَرَبًا حتّى تَكَشَّفَ عنّى كلُّ أحزانِ

٥٢ باب ما يكتب على القنانىّ والكأسات

والاقداح والارطال والجامات

قرأتُ على كأس لبعض الظرفاء

اذا فكّرتُ خاطبَنى مثالٌ   وان أغْفيتُ نبّهنى خيالُ

ولى حالٌ اذا ما الكأسُ طابَتْ   لشارِبِها وللنَدْمانِ حالُ

وقرأتُ على كأس لبعض الكتّاب

اشرَبْ على ذِكْرِهِمْ اذْ حِيلَ دُونهُمُ   عَيْناك منهمْ على بالٍ اذا شرِبُوا

تَدْعو المُنَى قُرْبَهم والدارُ نازحةٌ   حتّى يُناجِيَهُمْ قلبى وما قرُبُوا

وعلى كأس

اذا لم يَمْزُجِ النَدْمانُ كأسى   جعلتُ مِزاجَها ماء الجُفُونِ

١٨٤ وإن ضَحِكُوا بَكَيْتُ وإن تغَنّوْا   أَجَبْتُهُمُ بأَلْوانِ الحَنينِ

وكتب عُبيدٌ الماجن على كأسه

اشرَبْ هَنيئًا لا تخَفْ طائفًا   قد آمَنَ الطوافَ اهلُ الطَرَبْ

وكتب بعض الكتّاب على قدحٍ له

وما لَبِسَ العُشّاقُ ثوبًا من الهوى   ولا أَخلَقُوا الّا بَقيّةَ ما أُبْلِى

ولا شَرِبُوا كأسًا من الحُبّ حُلْوةً   ولا مُرّةً الّا وشُرْبُهُمُ فَضْلِى

وبعثت نَشْوانُ الكرّاعة الى علىّ بن عيسى بن عبد الله الهاشمىّ برطل عليه مكتوب

يا باعِثَ السُكْرِ من طَرْفٍ يُقلّبُهُ   هارُوتُ لا تُسْقِنى خمرًا بكأسَيْنِ

ويا مُحرّكَ عينَيْه ليَقتُلَنى   انّى أخافُ عليك العينَ مِن عيْنِى

واخبرنى من قرأ على قنّينة بين يدى ابى دُلَف العِجْلىّ

وقهوةٍ كوكَبُها يَزْهَرُ   يَفوحُ منها المسكُ والعَنْبَرُ

يُسْقِيكَها من كفّه أحْوَرُ   كأنّها من خدّه تُعْصَرُ

وكتب آخر على طاس

لا تحسبى أنّ طُولَ الدهر غيَّرَنِى   بَلْ زادنى كَلَفًا يا أملَحَ الناسِ
لم يَجْرِ ذِكْرُكِ فى لَهْوٍ ولا طَرَبٍ   ألّا مزجتُ بدمعى عنده كاسى
كَمْ عاذلٍ قد لَحانى فيكِ قلتُ له   شَلَّت يمينُك هل بالحُبِّ مِن باسِ

واخبرنى يحيى بن محمّد المسلّمىّ انّه قرأ على كأس لقينة

اِشْرَبِ الكأْسَ على صَرْفِ الزَمَنْ   قَلَّ ما دامَ سُرورٌ او حَزَنْ
انّما كان لِمثلى سَكَنٌ   من جميع الْخَلْقِ طُرًّا فظَعَنْ

وقرأتُ على قدح

اِشْرَبْ وسَقِّ حبيبَكَ الراحَا   وبُحْ مِنَ الوجد بالذى باحَا

وعلى اخر

اِشْرَبْ وسَقِّ لِحبيبَ يا ساقِى   وسَقِّنِى فَضْلَ كأسهِ الباقِى
وسَقِّنِى فضلَ ما تخلَّفَ فى الْكأسِ بعَمْدٍ بغَيْرِ اِشْفاقِ

وعلى اخر

فَديتُ مَنْ لم يَزَلْ على طَرَبٍ   يُديرُ بينى وبينه الكاسَا   ١٨٥
ألثَمَنِى خَدَّه وقال ألاَ   دُونَكَ ما قد منعتُه الناسَا

وكتبت بنت المهدىّ على قدح بالذهب

اِشْرَبْ على وَجْهِ الغَزالِ   الأغْيَدِ الحَسَنِ الدَلالِ
اشْرَبْ عليه وقُلْ لَهُ   يا غُلَّ أَلْبابِ الرِجالِ

وكتب بعض الظرفاء على قنّينة

فقلتُ لها وقد أَبْديتُ سُكْرِى   ألا رُدِّى فؤادَ المُسْتَهامِ
فقالت مَنْ فقلتُ أنا فقالت   متى أَلْقَيْتَ نفسَك فى الزِحامِ

وقرأتُ على قنّينة مدهونة مكتوب عليها بالذهب

أَحْسَنُ مِن مَوْقِفٍ على طَلَلٍ   كأسُ عُقارٍ تَجْرِى على ثَمِلِ
يُديرُها أَهْيَفٌ به حَوَرٌ   مُعتدِلُ الخَلْقِ راجِحُ الكَفَلِ
اذا تَمَشَّى بها مصفّقةً   رأيتَ فيها تَلَهُّبَ الشُعَلِ

وعلى جام

اِشْرَبْ هَنِيئًا فى أَتَمِّ النَّعِيمِ   طابَ لك العيشُ بطِيبِ النَّدِيمِ

وعلى اخر

وكُـؤُوسٍ كأَنَّهُـنَّ نُـجُـومٌ   طـالـعـاتٌ بُـرُوجُها أَيْـدِينَا

طالعاتٍ مع السُّقاةِ علينا   فاذا ما غَـرَبْـنَ يَـغْـرُبْـنَ فِينَا

٥٣ باب ما يكتب على اوانى الفضّة والذهب ومدهون الصينىّ المذهّب

قال العبّاس بن الفضل بن الربيع حدّثنى ابى قال رايتُ على صينيّة بين يدى المأمون مكتوبا فيها

لا شىء املَحُ مِن ايّامِ مَجْلِسِنا   اذْ تَجعَلُ الرُّسْلَ فيما بينَنا الحَدَقَا

وانّ جَـوانِحَـنـا تُبْدِى سرائِرَنا   وشَكْلُنا فى الـهـوى تَلقاهُ مُتَّفِقَا

ليتَ الوُشاةَ بـنـا والعاشِقِين لنا   فى لُجّةِ البَحْرِ ماتُوا كلُّهم غَرَقَا

او ليتَ مَن ذَمَّنا او عابَ مَجْلِسَنا   شُبَّتْ عليه ضِرامُ النارِ فاحْتَرَقَا

١٨٦ واخبرنى بعض الكتّاب انّه قرأ على صينيّة بين يدى الحسن بن وهب مفصّلة بالفصوص بألوان شتّى

مَنْ كان لا يَـزعُـمُـنى عاشقًا   أَحضرتُـه أَوْضَـحَ بُـرْهـانِ

انّى على رِطْلَيْن أَسْقاهُـمَا   أَرُوحُ فى أَثْـوابِ سَـكْـرانِ

وكُنتُ لا أَسكَرُ من تِسْعةٍ   يَـتْـبَـعُـهـا رِطْـلٌ ورِطْـلانِ

فصار لى مِنْ غَمَراتِ الهوى   والسُّكْرِ سُـكْـرانِ عَجِيبانِ

والشعر للحسن بن وهب، وكتب بعض الظرفاء على صينيّة له صينىّ

حُثَّ النَّدامَى بعاجلِ النُّخَبِ   وحُـثَّ كأسَ النَّدْمانِ يا بِأَبِى

اِن لـم تُـدِرْها والكأسُ مُتْرَعـةٌ   حتّى تُميتَ الهُمُومَ لم تَطِبِ

وكتب اخر على صينيّة له

قد قلتُ لمّا صَبَا بِىَ اللَّعِبُ   وباكَرَتْـنى الـشَّـمُولُ والطَّرَبُ

وكتب اخر على قضيب مدهون

أَصبحتُ يُشْبِهُنى القَضِيبُ   وانتَ يُشبِهُكَ القضيبُ
غُصْنانِ إِلّا أَنّ ذا   بالٍ وذا غصنٌ رَطيبُ

وقرأتُ على مِذَبّةٍ لبعض الكتّاب

تعلّمتُ أَنواعَ الرِضَى خوفَ سُخْطِه   وعلّمه حُبّى له كيف يَغْضَبُ
ولى أَلْفُ وجهٍ قد عرفتُ طريقَهُ   ولٰكن بِلا قلبٍ الى اين أَذْهَبُ

وعلى اخرى

دَلَّ البُكاءُ على عينى فأَرّقها   ظَبْىٌ يُطيلُ البُكا مِن ظِلّه فَرَقَا
لومَسَّ غُصْنًا من الأغصانِ مُتجرِدًا   لَٱخضرَّ فى كفّه وٱستشعَرَ الوَرَقا

واخبرنى ابو جعفر القارئ قال اخبرنى من قرأ على مِروحةٍ بيتين للقُطامىّ

قد يُدرِكُ المُتأنّى بعضَ حاجته   وقد يكون مع المُستعجِلِ الزَلَلُ
وربّما فاتَ بعضَ القومِ أَمرُهُمُ   مع التأنّيِ وكان لِلحزمُ لو عَجِلوا

قال فحضرنى بيتان فكتبتُ على الجانب الاخر

لا ذا ولا ذاك فى الافراط أَحمَدُهُ   وأحمَدُ الأمرِ ما فى الفعل يَعتدِلُ
افراطُ ذا فى التأنّى فَوْتُ حاجتِهِ   وليس يَعدَمُ عَثْرًا دونها العَجِلُ

وقرأتُ على مِروحةٍ لبعض الظرفاء ١٨٧

مُحتَمِلٌ حسبُكَ لى ساعةً   ذاكَ اذا أَجْهَدَكَ الحَرُّ
غيرُكَ منّى طالبٌ مثلَ ما   تَطْلُبُه يا أيّها الحُرُّ

وكتب بعض الادباء على مِروحة

إِنّ رُوحَ الحياةِ فى   حَرَكاتِ المَراوِحِ
كم بَنانٍ لَطيفةٍ   مِن ظِباءٍ سَوانِحِ
حرَّكَتْها فنفّستْ   عن خُدودٍ رَواشِحِ

وقرأتُ على قَوس جُلاهقٍ مكتوبا بالذهب

بينما الطيرُ فى الهوى يَتكفّى   اذ سَقَيْناهُ جُرعةَ الموتِ صِرْفا

وَنَزَعْنا من القرينِ قرينًا وجعلْنا هُناك بالالْفِ الْفا

وكتبتُ على قوس اهديتُها بعض اخوانى

لمّا رايتُ الطَّيْرَ على المُرْتَقا هيّأتُ قوسًا بارِ لها وبُنْدُقا

ثمّ غَدَوْنا ان غَدَوْنا حَلَقا فلم يَحُمْ حتّى هَوَى مُمزَّقا

٥٤ باب ما يكتب على العيدان والمضارب والسرنايات والطبول والمعازف والدفوف والنايات

كتبت قصعة المغنّية على عودها

ما طابَ حبٌّ لانسانٍ يلَذُّ به حتّى يكون به فى الناس مُشتهرَا

فاْخلَعْ عِذارَك فيما تَستلذُّ به واْجسُرْ فانّ أَخَا اللذّات مَن جَسَرَا

وكتب مُخارق على عوده

كم ليلةٍ نادَمَنى ذِكْرُه يُسعِدُنى المَثْلَثُ والزِيرُ

حتّى اذا الليلُ جَلَا نفسَه على الدُجَى ابتسَمَ النُورُ

اصبحتُ مستُورًا لجيرانِهِ والوصلُ بالهِجْران مستُورُ

وكتب بعضُ المغنّين على عوده

سَقَوْنى وقالوا لا تُغنِّ ولو سَقَوْا جبالَ حُنَيْنٍ ما سَقَوْنى لغَنَّتِ

تجنَّتْ علىَّ الخَوْدُ ذنبًا علمتُه فيا وَيْلَتى منها وممّا تجنَّتِ

واهدى بعض الكتّاب الى قينة كان يهواها عودا وكتب عليه

١٨٨ مَن ذا يُبلِّغُ نحلةً عن عَبْدِها أنّى اليكِ وإن بَعُدتِ قريبُ

تَستنطقينَ بحُسْنِ صَوْتِك أَعْجَمًا يدعو بذاك صَوابَهُ فيُجيبُ

فالعودُ يَشهدُ والغناءُ بأنّه لَوْلاكِ لم يَكُ فى الأَنامِ مُصيبُ

وقال علىّ بن الجهم قرأتُ على مضراب لقينة

أُحبّكِ حُبًّا لستُ أَبلُغُ وصفَه ولا عُشْرَ ما اصبحتُ أُضمِرُ فى صَدْرى

وأَكتُمُ ما أَلقاهُ منكِ تشجُّعًا لعلّ الهَ الخَلْقِ يُدْنيكِ من نَحْرى

وعلى مضراب اخر

يا ذا الذى أنكرنى طرفهُ — ان ذابَ جسْمى وعلانى شحُوبْ
ما مسّنى ضُرٌّ ولكنّنى — جفَوْتُ نفسى اذ جفانى الطبيبْ

وعلى اخر

نضْوُ همومٍ بُكا وحُقّ له — دمعٌ حداهُ الضنَى فأسْبَلَهُ
وطال لَيْلُ الهوى عليه وما — أَمَرَّ ليلَ الهوى وأَطْولَهُ

وكتبت كرّاعة على طبل لها

يا نَفَسًا ليس يَنقضى أَمَدُهْ — ويا فؤادًا اذا به كَمَدُهْ
ويا مُحِبًّا جفاهُ سيّدُهْ — تقطّعتْ من جفائه كَبِدُهْ

وكتبت اخرى على ناي

فكيف صبرى ويئسَ الصبرُ لى فَرَجُ — والطَرْفُ يَعشق مَن فى طرفه غُنُجُ

وقرأتُ على معْزَفة

إن كنتَ تهوى وتستطيلُ — فانّنى عبدُك الذليلُ
اعرضتَ عنّى وخُنْتَ عَهْدى — وجُرْتَ فى الصدّ يا مَلولُ
كيفَ آحتيالى وليس يأتى — منك كتابٌ ولا رَسولُ

وعلى اخرى

أَلَذُّ عندى من الشَراب — تقبيلُ أَنيابكِ العذابِ
ولَثْمُ خدٍّ كلَوْنِ خمْرٍ — قد شقّه كثرةُ العِتابِ

وقرأتُ على دفّ

يا بِدَعًا فى بِدَعٍ — جارتْ على مَن مَلَكَتْ
أَرْثى لصَبٍّ نفسُه — ممّا به قد تَلِفَتْ ١٨٩

وعلى اخر

ما سرّنى أنّ لسانى ولا — أنّ فؤادى منك يومًا خلَا
وأنّ لى مُلْكَ بنى هاشمٍ — يُجْبَى الىّ اوّلًا أوّلا

وقرأتُ علي طنبور

يا أوّلَ الحُسْنِ يا مَن لا نظيرَ له — هَلّتْ سحائبَ عينى نَغْمةُ الزيرِ

وأيُّ مُـزْنـةٍ غَرْبٍ لا تسُحُّ دمًا   مِن عاشقٍ عند نَغْماتِ الطنابيرِ

وعلى طنبور اخر

بَكَيْتُ من طَرَبٍ عند السَماعِ كما   يَبكى اخو قصَصٍ من حُسنِ تَذْكيرِ
وصاحِبُ العِشق يَبكِي عند شَجْوتِهِ   اذا تجاوَبَ صوتُ البَمِّ والـزيرِ

٥٥ باب ما يكتب على الاقلام
من مستظرف الكلام

كتب بعض الكتّاب على قلم اهداه

انّـى لَأَعْجَبُ اذ يَـزْهو به قَلَمٌ   أن لا يَلينَ فيُبْدِى حولَه ورَقا
يا ليتَنى قلمٌ فى بطنِ راحتِهِ   أَلْتَـذُّ باطِنَ كـفَّيْـه اذا مَشَقا

وعلى اخر

اذا دخـل الـديوانَ أشرق نُورُهُ   ولـم يـك للشمس المُضيئةِ نُورُ
فيا ليت أنّى كنتُ فى بطنِ كفّهِ   له قَلَمًـا إنّ الـمُحِبَّ شَـكُورُ

وكتب عمر بن ابراهيم البصرىّ على قلم اهداه لبعض غلمان ديوان الخراج

يا قَـمَـرَ الـديـوانِ يا   مُـلْـبِسَ قـلـبى سَقَمَا
كانّـمـا فى كَـبِـدِى   انـت تَـخُـطُّ الـقَـلَمَا
يا أحسـنَ الـنـاس مَعًا   جـيـدًا وعَـيْـنًـا وفَمَا

واخبرنى من قرأ على قلم لبعض الكتّاب بالديوان

اذا دخل الديوانَ حارَتْ عُيُونُنا   وقُلْنا كما قالت صَحاباتُ يُوسُفِ
فيَمشُقُ والـتشويرُ فى حَرَكاتِه   فيُورِثُنا مِن ذاك ما ليس يُوصَفُ

وقرأتُ على قلم

١٩٠ اذا دخل الديوانَ حارتْ عيونُنا   وكادت قـلـوبُ الناظـريـن تَطيرُ
فيا نِعْمَتَنا إن لم تُصِبْك عيونُهم   لك اللهُ من تلك العيون مُجيرُ

وعلى اخر

أَنْدى البَنانَ وأَنْدى لخطَّ من عَلَمٍ　　وقد تطرَّقَ بالحِنّاء والعَنَمِ
كانّما قابَلَ القرطاسَ اذ مشقتْ　　فيه ثلاثةُ أقلامٍ على قَلَمِ

باب ما يكتب على الدراهم والدنانير ٥٩
التى ضُربت للملوك فى المقاصير

قال علىّ بن الجهم قرأتُ على دينار فى خلافة المتوكّل مِن ضرب الدار

وأَصفَرَ صاغَتْه الملوكُ تطرُّبًا　　بأسمائها فيه المُروّةُ والفَخْرُ
باسم أمينِ الله زِينَتْ سُطورُهُ　　كما زِينَ بالتفصيل فى نَظْمه الدُرُّ
هو المَلِكُ المأمونُ من آلِ هاشمٍ　　بهم ان أَغَبَّ القطرُ يُستنزَلِ القَطْرُ
له غُرّةٌ قَيْنانةٌ جعفريّةٌ　　بها تَضحكُ الشمسُ المضيئةُ والبَدْرُ

قال ورايتُ على دينار من ضرب المتوكّل ايضا ..... درهم ودينار مكتوبا عليه

وأَصفَرَ مِن ضربِ دارِ المُلوكِ　　يَلوحُ على وجهه جعفَرُ

وقرأت على درهم من ضرب المنتصر

درهمٌ أَبيَضٌ مليحُ المَعانِى　　بسُطورٍ مبيَّناتٍ حِسانِ
صاغَه الصائغُ المنمِّقُ بالحُسْنِ　　ليُهدَى صبيحةَ المِهْرجانِ
فيه اسمُ الامامِ أكرمَهُ اللهُ　　ووقّاه نائباتِ الزَمانِ

وقرأت على درهم

أَخِى درهمى ما دامَ والناسُ اخوتى　　فانْ غاب عنّى غاب كلُّ صديقِ

هذه جملة ممّا بلغنا وفيها كفاية لمن اكتفى وبيان لمن تبيّن واقتفى وما استوعبنا كلّ ما انتهى الينا ولو قصدنا الى تكثير لما استصعب علينا وانّما قصدنا التخفيف لا التأليف والاقتصار والاختصار
١٩١ وليس كلّ ما سمعناه ذكرناه ولا كلّ ما قيل فى ذلك سمعناه وقد اتّينا
ببعض ما بلغنا ووصفنا بعض ما استحسنّا وخلطنا جِدًّا بهزل

واعوجاجا بقصد وجعلنا كلّ ذلك فى نظام والى الله نرغب فى السلامة والسلام ✿

والحمد لله بجميل التسديد وهو المتفضّل بالاعانة
والتوفيق وايّاه نستعين وهو حسبُنا ونعم الوكيل
كمل الكتاب وتمّ بقوّة الله ومنّه والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى اللهُ على خيرته من خلقه محمّد وآله
وحسبى اللهُ وعليه اتوكّل

فهرست اسماء الرجال والنساء

د

ذ

ر

ز

ف

ق

ك

ل

فهرست القوافى

م

ن

ه

و

ى

MS بُعْدَ. = p. ١٩٠, l. 4: so Th, MS يَحْم؟. — l. 5: so Th, MS والسريانات. — l. 15: MS تُغنّى. — l. 22: so Th, MS عُشر. — l. 25: Th «تتخشّعا؟» = p. ١٩١, l. 1: وبْ (Th), MS rhymes بُوبْ. — l. 4: MS الصنا. — l. 10: وبئس (Th): MS ومن written over an erasure. — l. 25: هَلَّت: Th «صَبّتْ؟». = p. ١٩٢, l. 1: so Th, MS نَعمات. — l. 3: so Th, MS اخى قَصَص. — l. 6: MS مستطرف. = p. ١٩٣, l. 8: so Th, MS بالتفصيل. — l. 11: the missing word probably began with يـ and ended with ا or ل. — l. 16: MS الصايع. — l. 21: r. تكثيره. — l. 23: MS كلّما. = p. ٢٠٠, l. 3 fr. below: r. نفطويه. =

l. 1: so Th, MS فَنّـا. — l. 6: MS كـفـا. — l. 11: so Th, MS حَلّى. — l. 21: MS هَانَا for هانئًا. = p. ١٧٥, l. 7-8: MS rhymes ـتَيْه. — l. 12: so Th, MS غضبض. — MS حَمْلُونَه. — l. 15: so Th, MS تَرَقُدْ. — l. 22: MS عنفا (indistinct). = p. ١٧٦, l. 1: MS يَرْضَا. — l. 7: so Th, MS الله قلبًا. — l. 12: MS موسى بن الهادى. — l. 16: so Th, MS عمّن. = p. ١٧٧, l. 5: so Th, MS مـتـأخّـر and متقدّم. — l. 13: so Th, MS غيرَ. — l. 14: so Th, MS حازوا. = p. ١٧٨, l. 2: r. لمُبْصِرِنا. — l. 8: النارُ on marg. in later hand. — l. 15: so Th, MS المونّق. — l. 16: so Th, MS مَطّبّق. — l. 21: so Th, MS بـتـملاق. — l. 25: r. سُدولَه. = p. ١٨٠, l. 3: بالحجاب (so Th) on margin, barely legible. — l. 4: so Th, MS بمَلطيّه. — l. 18: MS الباقون. — l. 25: so Th, MS ينال. = p. ١٨١, l. 3: MS جارية بن عاصم. — l. 14-15: so Th, MS rhymes ـاد. = p. ١٨٢, l. 1: MS وَارْضى. — l. 9: MS قضّا. — l. 17: MS غمرًا. — l. 18: MS بن الساحر. — l. 21: MS تمنّا. = p. ١٨٣, l. 1: so Th, MS حَراكا. — l. 9: MS الحَيَوة. — l. 16: this verse in MS after l. 19, but اول الابيات and مقدم are written on either side of it. — اللّهْ: so Th, MS rhymes الله. — l. 21: so Th, MS ويُكفيك فقد. — l. 24: MS مكتوب. = p. ١٨٤, l. 7: بالحسن written above the line. — l. 19: so Th, MS والخبرّات. — l. 23: MS شَاذُنْ. = p. ١٨٥, l. 2: r. يَـرِفُّ (Th). = p. ١٨٦, l. 12, so Th, MS الـمـاحـن. — l. 13: MS الـطـواق. — l. 19: so Th, MS هـاروتَ. = p. ١٨٧, l. 8, 10: so Th, MS وسَـقّـى. — l. 11: so Th, MS تخُلّق. l. 17: MS عُلّ. = p. ١٨٨, l. 10: so Th, MS حوايجنا. — l. 18: so Th?, MS غَمَرات = p. ١٨٩, l. 3: r. بال. — l. 12: بعض (Th):

MS فتحذرت. = p. ١٥٨, l. 10, so Th, MS وباخلة. = p. ١٥٩, l. 21: verse on margin: ونحّصتنى نومى وعيشى ولذّتى, the second hemst. is illegible. — l. 25: so Th, MS موقّع. = p. ١٦٠, l. 9: so Th, MS بدايى هوابيك. — l. 21: so Th, MS مُتوَّق. — l. 24: MS قد وصبابتى. = p. ١٦١, l. 9: MS عذاه. = p. ١٦٢, l. 4: ملحا (Th), MS مُسْلَحًا. — l. 5, so Th, MS مستطرفات; من above the line. — l. 13: وطأة is always written وَطْيَة. = p. ١٦٣, l. 18: MS has اخر before يعنى. = p. ١٦٤, l. 6: r. تَكَشُّفُ. — l. 22: this line is much mutilated. = p. ١٦٥, l. 22: قبل: Th قيل? — l. 23: Th ليُشفى? = p. ١٦٦, l. 1: a piece of paper is pasted over الفضّة. — l. 24: so Th, MS حَرَج. — l. 25: كمثل: only ك visible. = p. ١٦٧, l. 2: وجيب almost illegible. — l. 9: MS وطرر. — l. 13: بالها? there is space for two letters after this word; Th «بالذهب?». — l. 19: so Th, MS عريب. = p. ١٦٨, l. 4: so Th, MS يدى. — l. 21: so Th, MS om. قد. = p. ١٦٩, l. 7: MS جارية بن حرب, see p. ١٧٢, l. 18. — رداء: MS ردى. — l. 15: so Th, MS زَرْزور. — l. 20: MS عَلَلْ. = p. ١٧٠, l. 9: MS سُخْط. — l. 13: r. with MS كنتُ خنتُ. — l. 15: so Th, MS مشاربها. = p. ١٧١, l. 6: وعليها مكتوب? (Th). — l. 13: MS منتظرٌ. — l. 18: so Th, MS عطْلًا. — l. 21–22: the verses are by Khâlid al-Kâtib (Aġânî XXI, ٤٥, ٥٣). = p. ١٧٢, l. 6: so Th, MS محرّمًا. — l. 8: MS العينان. — l. 12: MS لاَحْلُوا. — l. 14: MS بن الرشيد. — l. 23: MS التلاق. = p. ١٧٣, l. 1: MS سُدُف. — MS: ضَوّ. — l. 5: so Th, MS حذرى. — l. 10: MS المناديل. — l. 13: MS يتقلّا. — l. 23: r. آونَاهُ (Th). = p. ١٧٤,

والمسنونات ?. — l. 12: MS ويوقونها. — l. 16: MS جوارِ. — l. 22: r. فأْهْد, or فأْهْدى and فاك (Th), MS فَاهدى. = p. ۱۴۳, l. 4: r. تُعاطيك (Th). — l. 11: r. الضُحَى with MS (Th). — l. 12: r. ماءٌ (Th). — l. 14: برزقهم, so MS; r. يَرُوقُهُمْ Kâmil 461, 4 (Th). — l. 17: r. ريقتَها (Th). — l. 19: r. نَعْمانَ (Th). — l. 24: وتبسّمتى almost entirely obliterated. = p. ۱۴۴, l. 2: r. بَرَدٌ (Th). — l. 8: r. مساويكَ (Th). — l. 9: MS غوارِبُ and شتيتُ. — l. 12: MS تجلو. — l. 16: r. نَعْمانَ (Th). — l. 25: r. ويروى (Th) (MS ت). = p. ۱۴۵, l. 12: MS انانيبُ. — l. 13: r. غيرَ (Th). = p. ۱۴۶, l. 11: r. يتّخعون (Th). — MS يتواثبون (and l. 17). — l. 12: MS يتجشّون. — l. 15: r. المقبُرىّ (Th). — l. 17: r. يتمطّون. = p. ۱۴۷, l. 12: منعره ? sic MS. — l. 18: MS ينصَّبُ, Th: ينصُبُ oder ينصّب. — l. 19: MS بحرقه. — MS السخفة. — l. 25: r. والقَدَرِ (Th). = p. ۱۴۸, l. 6: MS مسبَلَ. — l. 8: رفيقا on marg. — l. 15: r. وَصلي (Th). — l. 19: r. الظريف; طيب above the line; cfr. p. ۴۹-۴۷. — 21: فى: دخاريصه above the line. — l. 23: r. يرشّش (Th). — l. 24: r. ماقه (Th). = p. ۱۴۹, l. 3: r. المَسُون (Th). = p. ۱۵۰, l. 2: r. ما يُستصغر ? (Th). — l. 3: MS الدستبوّه. — l. 7: r. with MS ويُستلقى. = p. ۱۵۱, l. 2: MS نقض. — l. 18: r. يدا. — l. 21: r. الظرفاء. = p. ۱۵۲, l. 5: r. الشُكُوك with MS (Th). — l. 9: اكبر: MS اكبر. — l. 13: اسلك: r. أسْلُكُ (Th). = p. ۱۵۳, l. 8: MS منخفظا. — l. 12: after مودّة there is a hole in the paper. — l. 22: اشبه on marg. on following line. = p. ۱۵۴, l. 9: r. عليه. = p. ۱۵۵, l. 4: so Th, MS تبكى. — l. 14: so Th, MS يَطرِف. = p. ۱۵۶, l. 24: before this verse فاجبتها, but crossed out. = p. ۱۵۷, l. 10: so Th,

p. ١٣٠, l. 3 and 9: MS يَملّون. — l. 5: so Th, MS يشمشون. — l. 8: من الخوان: MS perhaps في. — l. 9: so Th, MS يرسمون. — l. 12: so Th, MS القناب or الفتاب. — l. 13: MS الآربيثا. — l. 14: MS السميكاه. — l. 16: r. فيذهبن به. — l. 17: MS المَوْنات. — l. 22: لم يطلبون: so MS, r. لا or يطلبوا. = p. ١٣١, l. 3: MS والعداح. — l. 4, MS والغمور. — l. 9: so Th, MS والهَلْيُون. — l. 11: MS والمشقع. — l. 16: للتسفيل (Th): cfr. p. ١٣٥, 11: MS ليستقل. = p. ١٣٢, l. 5: MS والطلى. — l. 7: r. يتنقّلون (Th). — l. 10: r. يتنقّل (Th). — المتزيّكون (Th): MS المترنكون. = p. ١٣٤, l. 2: MS فكان في الياسمين وفي ياسٌ. — l. 5: MS يـاس, but on marg. الـيـاس. — l. 12: MS به الأسّ (Th: يشفى بها?). — l. 14–15: so Th, MS وبالبان التبايُن.. = p. ١٣٥, l. 16: MS تـغـلاً. — l. 22: الشاعر a piece of paper is pasted over this word. = p. ١٣٦, l. 9: MS يشمزّ. = p. ١٣٧, l. 3: r. بالطيب (Th). — l. 9: r. وَقْقَبِنْ (Th). = p. ١٣٨, l. 12: MS آسًا. = p. ١٣٩, l. 5: MS وَرْدُه, r. وروده (Th). — l. 6: r. يستبشرون. — l. 14: r. بالرُغْم (Th). — l. 16: r. معضّضة (Th). — These two verses are by Khâlid al-Kâtib (Aġânî XXI, p. ٥٤). — l. 22: r. عذّبها? (Th). = p. ١٤٠, l. 5: r. تفّاحة. — l. 8 marg.: r. ١٣٩. — l. 18: r. لعُسْر (Th). — l. 20: MS خليلة. — l. 25: MS والسرفل. = p. ١٤١, l. 8; on the marg. in another hand: هذه سيمة الشيعى فكان كاتب هذا الكتاب والله اعلم منهم والمتوارث عند اهل السنة والجماعة كرم الله وجهه وغيره من الصحابة رضى الله عنه; the three following lines are crossed out. — l. 15: r. بن. — l. 16: r. أشتـهى (Th). — l. 21: MS الناظر. — امر: Th من? = p. ١٤٢, l. 1: so Socin, MS الطهيرات. — l. 7: MS طسوت الصـافا. — l. 9: MS والسنونات, Th:

on marg. — l. 21: المتقنّيات: so Th, MS المتقيّنات. = p. ١٢٠, l. 1: ويعنّبن sic MS; Th: «wahrsch. ويُعبّيْن». — l. 3: MS يقدرون. — l. 7: so Th, MS الراسيات. — l. 12: so Th, MS المجرّب, المدرّب. — l. 14: r. الرخيّ. — l. 23: ان رثّ (Th): MS اذ رثّ. = p. ١٢١, l. 17: MS يتيمّا. = p. ١٢٢, l. 5: MS has after يقول: لانى نواس صح. — l. 6: MS عُقره. — l. 11: r. with MS تقود زمامّها. — l. 17, so Th, MS غرارها. — l. 18: so Th, MS ظَلّتْ. = p. ١٢٣, l. 8: والحبلات, Aġânî XIX, 159, 6 (Th); MS والحَلقاتْ. — l. 10: الخضرىّ so Th, Ḥamâsa 579, 9; MS الحَضَرىّ. — l. 12: so Th, MS معوِّل. — l. 15 margin: r. ١٢١. — 24: عند اهل الظرف on marg. = p. ١٢٤, l. 3: MS يتجاوزون. — l. 12–13: from والمبطّنات to والاسكندرانى سيابوريّة on marg. — l. 15: MS النيسابوريّة and والجباب البيسا. — l. 17: MS وكلّما. = p. ١٢٥, l. 4: زى added in black ink. — l. 6: والثخان (Th): MS والنحان. — l. 7–8: from ويشرك to الخفاف on margin. — l. 15: والمعرابيه sic MS: r. والبَقَرانيّة Hamadhânî ٣٦, 9. = p. ١٢٦, l. 15: so Th, MS والجرابادات. — l. 16 and 20: MS يلبسون. — l. 24: so Th, MS والمتفتّيات. = p. ١٢٧, l. 1: so Th, MS والمقوّمات. — l. 4: MS زيّهم. — l. 7: MS يشركونهم. — l. 10: ويتطيّرن من الالوان on marg. — l. 11: r. والمطرفة. — l. 16: from شيئا to [يستعـ[ملن (sic MS) on marg. — l. 17: MS زيّهم. — l. 18: so Th, MS الحلّى. — l. 19: so Th, MS المفضّلة. — l. 20: السبج: MS السُبّح. — l. 21: الحلك above the line. — l. 23: MS كراكزنهنّ. = p. ١٢٨, l. 1: MS والمسانيح; (Th والمسانين?). — l. 18: MS مستنفيضا and وَحْدَهما. — l. 20: MS حبيبة and حليله. — l. 23: r. مستريح. = p. ١٢٩, l. 3: r. أُرنبيه (Th). — l. 13: MS فليصبرى. =

l. 16: MS om. عليه. — l. 18: MS يغذ; see Agânî XV, 147, 7. = p. ١٠٩, l. 1: MS والخنه. — l. 3: so Th, MS من نظائرها. — l. 11: r. ظهرن. — l. 13: MS after وعدهن: الخائب, but crossed out. — l. 16: MS رواية. — l. 17: MS ابن above the line. — l. 22: MS بدى. — l. 25: r. صحبتهن. = p. ١٠٧, l. 9: so Th, MS جنّة. — l. 10: MS خلفن. — l. 13: so Th?, MS قسمًا. = p. ١٠٨, l. 2: so Th, MS سَبْتي. — l. 4 seqq.: Agânî VII, 82 (Th). — l. 9 seq.: Agânî VIII, 38 (Th). — l. 16: MS يَجِدْا. = p. ١٠٩, l. 17: MS الصفاة. = p. ١١٠, l. 1: r. بلّا. — l. 7: so Th, MS عظم. = p. ١١١, l. 10: so Th, MS المفتنين. = p. ١١٢, l. 2: MS والتخلّص. — l. 8: والتضرّع on marg. — l. 14 and 15: so Th, MS وتاجرعه and ومعالجة. — l. 16: MS والمبادرة. — l. 22: Hamâsa 324 (Th). = p. ١١٣, l. 7: so Th, MS علينا. — l. 11: so Th?, MS تجامل. — l. 13: MS ويعاجبنى. — l. 18: عدّيه on marg. — l. 21: so Th, MS واسترزق. — l. 22: the second hemistich of this and the first hemist. of the following verse are on the margin. = p. ١١٥, l. 4: so Th, MS فارعا. — l. 10, so Th, MS المطرّجة. — l. 20, so Th, MS بالانواء. — l. 22: مُسْر, so Th, MS مَسك. — l. 24: so Th, MS كعاداتك. — cfr. Agânî I, 138. = p. ١١٦, l. 1: so Th, MS فجيبنى — l. 8: Agânî XVIII, 128 (Th). — l. 13: so Th, MS واجتنيتك. — l. 21: MS كذى; this verse is on the margin. = p. ١١٧, l. 11: r. طاهر (Th), MS ظاهر. — l. 21: so Th, MS يبين. = p. ١١٨, l. 12, so Th, MS منكم. — l. 13: so Th?, MS كنت (bis). — l. 19, so Th, MS العزيز. — l. 23: so Th, MS الموكّدات. — l. 25: MS التلاق. = p. ١١٩: l. 13: so Th, MS بعنعرج الهوى. — l. 17: ولا لطمع وآمل

MS ذُكِر, but نا is written above this. — l. 12: MS يبتلى. — l. 16: MS افعالهم. = p. ٩٣, l. 3: MS يُعتقد. — l. 14: MS توقعه. — l. 18: so Th, MS وتُنبِيهُ. — l. 25: so Th, MS مُمْرِض. = p. ٩٤, l. 1: r. تسعله. — l. 14: r. with MS المخمّرة, cfr. p. ١٢٥, 23 and ١٢٧, 18. — l. 16: so Th, MS الفيّق. — النبانيج or البنانيج? — l. 18: r. والمشمش. — l. 25: so Th, MS سقاطانه. = p. ٩٥, l. 12: so Th, MS جُزت and واشتملتُ. = p. ٩٦, l. 5: r. المُحْدَثين. = p. ٩٧, l. 5: MS وصافى. — l. 8: MS اراك نشيطة. — l. 11: so Th, MS مكنون. — l. 14: so Th, MS لينجوا. — l. 22: so Th, MS يعشقها فينةً. = p. ٩٨, l. 4: r. لكنّهم. — l. 14: MS originally الاثار, but لا erased. — l. 21: r. حَذَرَ. — l. 23: MS همتُ. — l. 24: طاطت = طَأطَأتْ. = p. ٩٩, l. 11: MS بن. — l. 12 seqq.: see Aġânî IX, 112–113. — l. 15: so Th, MS مُعجل. — l. 16: MS جَمّة. — l. 18: MS حفاظة. = p. ١٠٠, l. 2: r. أمرئٍ. — l. 6 seq.: Aġânî VI, 62. — l. 7: so Th, MS وكنتُ. — l. 11: القيان: MS الفتيان. — l. 18: اسرع or أسرَى (Th): MS اسرّ. — l. 22: الجَدْوُ? (Th, see l. 25): MS الجذرُ. — l. 23: r. with MS اللُطف. — l. 25: so Th?, MS جَذْرها. = p. ١٠١, l. 6: MS الحيوة. — l. 12: MS حَماد. — l. 18: so Th, MS اخلقتك. — l. 24: so Th, MS زَهوُها. = p. ١٠٢, l. 17: السعدىّ so Th, MS العبسىّ. — l. 19: r. with Tâj al-ʿArûs I, 146 (Th), 9 بالعيوب, MS بالعُيُون. — l. 23: MS om. يا. = p. ١٠٣, l. 4: واليُسُرِ Th, MS الميْسَرِ. — l. 7: this verse is on the margin. — l. 9: so or يجد الصفاء (Th), MS تجد. — l. 21: so Th, MS عذيرى. — the verses Aġânî XIII, 26. = p. ١٠٤, l. 21: r. عَنينا (Th). = p. ١٠٥, l. 1: r. with MS تزيدك. — l. 11, seqq.: Dîvân ٨٩. — l. 13: so Th, MS الذَّرِ. —

انتصف. = p. ٨٢, l. 2: MS ايت. — l. 4: ألْوٍ so MS; r. لو (Th). — l. 8: MS الهيثم بن محمد. — l. 15: MS عنقم. = p. ٨٣, l. 15: MS here and below الفُرافصة, cfr. Mushtabih ٤٠٠. — l. 17: ثعلبة, MS نُفيْلة, cfr. Wüstenfeld, Tab. 2, 27-35 (Th). — l. 18: عدىّ (Th): MS نجد. — l. 21: MS بنت الاحوص. — l. 23: Nâ'ila bint al-Farâfiṣa. — l. 24: ضبًّا: see Aġânî XV, 70, 27, (Th) MS oblit. = p. ٨٤, l. 2: Aġ. l. c. line 3 fr. bel.: حتّى تكون ربحك ريح شنّ اصابه مطر. — l. 5: مقصّبا probably »jointed«, of the reed; Aġ. p. 71, l. 1: مثقّبا. — l. 11: ان تقومين nearly oblit. — l. 12: ممّا (Th): MS ما. — l. 15: من (Th) wanting in MS. — l. 21: so Th, MS عرابتى. — l. 22: r. يخطبها. = p. ٨٥, l. 20: MS مثْل الاشياء. — l. 21: so Th, MS وافتم. — l. 22: so Th, MS فأُوثق. — l. 24 seqq.: Ibn Hiŝâm 837 (Th). = p. ٨٦, l. 2: خالد بن: so Ibn H., MS جَيس. — l. 3: لى (so Ibn H.): MS لا. — after عنقه Ibn H. has برمّة. — l. 4: after بعيد IH منه. — after فتى IH قال ما تشاء فقلتُ. — l. 7: نَفَاد, IH نفد من; IH om. الغيث — قالت. — سعيت sic MS. — l. 8: MS وثمانى. — l. 9: so IH, MS أُريتُك. — so IH, MS بحلبة. — so IH, MS بالخزايف. — the verses in Bekrî 45 (Th). — l. 10: so IH, MS تكلّف. — l. 13: ما: so IH, MS لا. — l. 14: so IH, the second hemistich in MS: ولا ذكر الّا ان يكون بوايق. — l. 19: r. ايضا (added above the line in MS). — MS ابنت. = p. ٨٧, l. 14: ألْوٍ see above note p. ٨٢, l. 4. — l. 19: so Th, MS بعدها رجا لقم. — l. 20: MS بهضب. = p. ٨٨, l. 3: MS فصار. — l. 8: ابنى Th; MS بنى is written over الى in paler ink. — the verses Jâqût II, 364. — l. 16: MS فقربنا. = p. ٩١, l. 4: MS الموشّا, see note to p. ٣٠. = p. ٩٢, l. 3: ذكرنا:

MS وَطِي. — l. 13: اشـوى: »أَشْرَى = bitterer?» (Th). — l. 23 r. أَمرِئ. = p. ٦٩, l. 4: MS فيَصدع. — l. 12: النساء r. السماء. = p. ٧٠, l. 5: MS الاصاحى, Th الاصبحى? — l. 6: MS الشاحز. — l. 7: اعرف on marg. — l. 24: MS انشا يـقـول. = p. ٧١, l. 1: يظلو marg. variant يباتوا. — l. 15: r. الغناجات? (Th). = p. ٧٢, l. 10: so Th, MS merely الرقيات. = p. ٧٣, l. 1; MS استشفى. — l. 8: أُبْقِى (Th). — l. 12 seqq.: cfr. Kâmil, p. ٤٤, 3 (Th). — l. 15: so Th, MS جبينه. — l. 20: so Th, MS ونارُها. = p. ٧٤, l. 4: MS ففبيبك? Th: نُهَيبِيك or نُهَيبِيبك. — l. 9: Kâmil, p. ٤٣٢ (Th). — l. 11: so or صُيَّدَا (Th), MS صُيَدَا. — l. 13: so Th, MS لحَآء. — l. 17: MS حَبيبُ. — l. 23: r. أَكترثت. = p. ٧٥, l. 19: ولا من nearly obliter. — l. 21: المعنى? so MS, Th. الخَنى? — l. 24: MS ينحجلا or يبخلا. = p. ٧٦, l. 7: MS has ملك after جعفر. — l. 20: في مثل ذلك are in a later hand. — l. 22: so Th, MS واخذًا — والصاقُ. = p. ٧٧, l. 4: so Th, MS تُفرِق. — l. 12: so Th, MS العلَل. = p. ٧٨, l. 3: Dîvân (ed. Bûlâq) p. ٣٦١ (Th). — l. 19: MS والقذُور. — l. 24: so Th, MS الطرايفَ. — l. 25: MS والهوى. = p. ٧٩, l. 5: انّ ذوو: »diese Nominative sind wahrscheinlich richtig, aber nach ان muss etwas fehlen» (Th). — l. 8: so Th, MS انفصمت. — l. 17: ابن in later hand, above the line. = p. ٨٠, l. 7: Usd-al-ġâba, 5, 498 (Th). — l. 9 »besser أُشرِعَتْ Ḥamâsa 493» (Th). — l. 18: MS الامير النحيب; Suyûṭî, Khulafâ 146 (Th). — l. 24: Ḥamâsa 493, 25 (Th). — l. 25: MS رَعب. = p. ٨١, l. 2: طالب above the line in another hand. — l. 5: perhaps ابو العبّاس بن الفضل الرَّبعىّ, cfr. p. 53, l. 7. — l. 6: زوجة, MS على. — l. 8: MS has قالت نعم between المدلة and قال. — l. 12: MS has قالت after

الحصى او الريح لم تَسْمَع. — l. 21: Aġânî II, 9; Dîvân (ed. Cairo) p. 22 (Th). — l. 23: Th ذو, MS ذا. = p. ٥٩, l. 2 seqq.: Aġânî I, 175; Dîvân p. 5 (Th). — l. 3: so Th; MS اغرك. — l. 4: so Th; MS عرضتُ. — l. 5: r. النَوَى (Th), MS العزا. — l. 8: MS has وقال ايضا before قد. — l. 10: so Th: MS لستُ. — l. 12: سكرات (Th) sic cod. Berol., MS مُنْكَرات. = p. ٦٠, l. 12: r. الخدور. — l. 13: مكروهة: Kâmil 379, Aġânî XX, 118: مكنونة (Th). — l. 18: MS يرعى (Dîvân تَ, Th). — l. 21: اسمعها: »man erwartet etwa اجرعها« (Th). — العانى so Th, MS الغانى. — l. 23: MS احديهما = p. ٦١, l. 4: MS يزلا. — l. 8: فى, Th من? — l. 11: so Th, MS تاجدن. — l. 18: من is written above the line. — l. 20 seqq.: cfr. Alf Laila ed. Bûlâq, II, ٣٤٧. — l. 22: MS ابنت. = p. ٦٢, l. 5: r. فحرّكتها. = p. ٦٣, l. 1: so Th, MS بين الماعبين. — l. 11: MS بحملك. — l. 15: so Th, MS فطانًا. — l. 17: so Th, MS وزائرنا. — l. 18: This verse is on the margin. — l. 22: Aġânî VII, 83 (Th). — l. 23, 25: these two verses are on the margin. = p. ٦٤, l. 1: I have unfortunately omitted before ثمّ: فتغضّب فقال سليمان قل قال تأمر لى برطل فأُتى برطل فشربه. — After ذريح in another hand حيث قال. — l. 2: Aġânî VIII, 123 (Th). — l. 2: so Th, MS ولكنّها. — l. 6: so Th, MS نفسه. — l. 14: add. ها on the marg. = p. ٦٥, l. 1: MS واحسّ. — l. 6: ودفنا فى قبر واحد on marg. — l. 9: القيان, MS الفتيان. — l. 22: MS راعى. = p. ٦٦, l. 11: التى, MS اليه. — l. 14: r شُغُل. — l. 23: MS فأبطى. = p. ٦٧, l. 9: فأتى written above the line. — l. 10: MS واتيتُ عمّه. — l. 20: لحسرات so Th, MS ..... لحسد. — l. 21: ولا »man erwartet ومرّ لا" (Th). = p. ٦٨, l. 7: so Th, MS مبرّحا. — l. 12:

p. ٤٥, l. 13: for الشاعر r. (Th) الساعدىّ (cfr. p. ٢٠, 21), the full name is عبّاس بن سهل; the MS has ابى سهل, but on l. 14 يابن سهل. — last line: see Aĝânî VIII, 144 (Th), MS بناريكم and يتتمّما. = p. ٤٦, l. 3: cfr. Lane, s. v. دبر, p. 845, col. I, l. 2. — l. 15: so Th, MS يُخل عنه. — last line: so Th, MS التقذّ. — النظافة, almost entirely oblit. — cfr. p. ١٤٨, l. 19. = p. ٤٧, l. 3: الجليلة (Th), MS الجميلة. — l. 15: يقوّى conj. Th; the word is pasted over. — l. 17: r. مُتنع (Th). — l. 21: الشَنَان = الشنآن Lane s. v. شنّ. — l. 24: Dîvân, ed. Beirût p. 48. = p. ٤٨, l. 4: وقال on marg. — l. 6: الهزناىّ sic MS; Th Soc. الهزّانىّ ?. — l. 13: r. لامرئٍ. — l. 16-17 on marg. = p. ٤٩, l. 11: MS ابنت. — l. 12: MS عينيه. — l. 15: Durrat al-Ġauwâṣ p. ١١١. — l. 18: r. غطّى (Th). — l. 21: الضنى (Th), MS الصفا. = p. ٥٠, l. 7: انحل: تخين؟ (Th). — l. 15: so Th, MS مختزن — l. 23-24: السمن — وتنسب on marg. = p. ٥١, l. 5: احد: MS احدى. — l. 24: r. وتَنُوفة. = p. ٥٢, l. 14: so Th, MS ربدى. — l. 15: r. وحُدِّثنا. = p. ٥٣, l. 2: MS وعُلّت. — l. 7 seqq.: Aĝânî IX, ١١٠ (Th). — l. 19: so Th, Aĝânî l. c. تقصّر; MS تَوَانًا. = p. ٥٤, l. 7: Aĝânî XIV, 51 على بن آدم (Th). — l. 11: so Th; Aĝânî XIX, 160, l. 11, MS حرة. — l. 15: MS عبد الله بن قيس. — l. 22: المقتفى (Th), MS الفتتا. — ib. الصبوة, MS البصرة, cfr. l. 3. = p. ٥٥, l. 10: so Th, MS النهدّ الذى يتفجّع. — l. 14: MS اوانسّا قدر الهوى بتحلب وغرام: the true reading in the text was kindly communicated to me by Professor Wright. — l. 18: فوتغت sic MS; Th: فوترتْ ? = p. ٥٧, l. 9: MS سامعة. — l. 14: MS سَفاك. — l. 23: اليه on marg. = p. ٥٨, l. 14: Th. Dîvân سولّنى, MS سألّنى. — l. 17: فلق الحصى وبالريح لم يُسْمَعْ: so Th. Dîvan (ed. Cairo) 23; MS قلق

l. 15: r. مستثقِلٌ with MS (Th). — l. 6 fr. bel.: for بحبه r. به (Th). — l. 2 fr. bel.: r. أغَبَّ (Th). = p. ٢٩, l. 4 ومُدبل (Th), MS وموبل. — l. 6: MS التلاق. — l. 10: r. حدثت ملالة (Th). = p. ٣٠, l. 9: r. بلاغ. — l. 17: erase . — l. 4 fr. bel.: حماسٌ ? (Th). — last line: r. الفخار (Th). = p. ٣٢, l. 2: MS عاجلان. — l. 2 fr. bel.: MS دبيبه. = p. ٣٣, l. 2: two of the ten qualities are not named. — l. 4 fr. bel.: وقال اخر wanting in MS, but اخر on margin. — l. 1 fr. bel.: r. هُوَ صادقٌ. = p. ٣٤, l. 2: r. يُدْرِك (Th). — l. 7: MS يُتَّقى. — l. 18: من ان MS om. من. — l. 20. r. أوتُمِنَ (Th), MS has اتّمن. — l. 2 fr. bel.: r. البأس. = p. ٣٥, l. 9–10: the rhyme sic in MS; Th: »oder mit اقواء« (تقول — البخيل). — l. 11: مطول — وكان on margin. = p. ٣٦, l. 14: for السائل r. السائل; for المسائل MS المسايل. — l. 20: r. الخُرَيْمي (Th). — l. 21-22: r. the rhyme ـبيرْ (Th). — l. 2 fr. bel.: the word استهننه is indistinct in the MS. = p. ٣٧, l. 6: r. حُنَيْت (Th). — l. 11: r. الحُدانية (Th). — l. 13: r. يُشْجِك or يَشْجُك (Th). — l. 20: r. ودُّه (Th). — l. 2 fr. bel.: توافُق (Th); MS uncertain. = p. ٣٨, l. 6: MS has ذلك twice. — l. 12-13: r. the rhyme (with MS) ـرّْ (Th). — l. 3 fr. bel.: r. حديثك (Th). = p. ٣٩, l. 6: r. نَحْب (Th). — l. 12 seqq.: Kâmil 579. — l. 3 fr. bel.: امينة: Th الدُّمَينة? = p. ٤٠, l. 3: MS شحيث. — l. 5: r. الحطيم (Th). — l. 14: r. الحُطب (Th). — l. 15: r. قصدُنا (Th). — l. 16: r. كلّ ما (Th). — l. 21: يمتنع sic MS. = p. ٤١, l. 8: the second بابًا on the marg. = p. ٤٣, l. 1: so Th, cfr. Aġânî VIII, 6, l. 4, MS لعيادته. — l. 3; MS عناها. — l. 8: Sûra 43, 67. — l. 15: Sûra 39, 13. = p. ٤٤, l. 1: the name of the poetess was Umm Ḍaiġam al-Balawîya (cfr. Kâmil 72, 5, Th). — l. 13: Aġânî XIV, 114 (Th). =

is written over an erasure. = p. ١٣, l. 2: r. مَزَجَ (Th); MS مَزِجَ. — l. 5: r. لَّحْنِ. = p. ١٤, l. 1: r. فتَقَفْ (Th). — l. 9 fr. bel.: r. فاقعد (Th). = p. ١٥, l. 4: after اخر in another hand; وهو امير المومنين على ابن ابى طالب كرم الله وجهه. — l. 8: r. ماشاهُ (Th). — l. 7 fr. bel.: r. اهواء اخلّائه. = p. ١٦, l. 5: r. كُنتَ. — l. 14: r. تَنَبّ (Th). = p. ١٧, l. 1: MS كثيرٌ الف (Soc.). — l. 18: والاغراء sic Th; the word is pasted over and only ..... وال is to be seen. — l. 5 fr. bel.: r. يُخالُ (Th). — العوفى, Th الكوفى? = p. ١٨, l. 10: r. (Th) وتُغَوِّسُ TA خطط, Ham. Buht. 317; Dîvân ٩١, ٤١. — l. 5 fr. bel.: r. وتَوَشَّمَن (Th). There is one verse too many here, cfr. preceding line هذين البيتين. = p. ١٩, l. 14: r. الدهرَ (Th). — l. 3 fr. bel.: MS الديلىّ. — l. 1 fr. bel.: r. أَتّى (Th). = p. ٢٠, l. 9: of الثمار only ر...... ال is to be seen. — l. 10: r. سُتَرةْ (Th). — l, 11: التفتيش, MS only التـ....ش. — l. 13: احبّ is almost entirely obliterated (أ....ب). — l. 18: الملالة r. الخُلالة (Th), Aġânî XII, 95 l. 3 has مودّة. — l. 4 fr. bel.: بن قيس on the margin. — last line: واعجز. only وا...ز to be seen. = p. ٢١, l. 3: فقال on marg. — l. 6: افضل wanting in the MS. — l. 7 fr. bel.: منائر sic Th, MS مداين. — l. 6 fr. bel.: r. الدُرّىّ or الدِرّىء (Th). = p. ٢٣, l. 5 r. ويُهينُ (Th). — l. 9: r. قلوبَ (Th). — l. 10: r. اعدائهم. — l. 12: r. قَناعةٌ (Th). — l. 15: Sûra 41, 34. — l. 17: Sûra 3, 153. — l. 19: Sûra 26, 215. = p. ٢٤, l. 2: الى written above the line. — l. 4: r. الْقَبَ (Th). — l. 7: r. تَعزّ? (Th). — l. 9: r. يَهِرْ (Th). — l. 12: r. بلبينةْ (Th). — l. 19: MS فسَعَوْهم. = p. ٢٥, l. 10: r. مُختَلف. — l. 5 fr. bel.: r. فواصَلوا (Th), MS صد. = p. ٢٦, l. 18: MS وامرنا (Soc.). = p. ٢٧, l. 1: كرم الله وجهه is written in another hand over an erasure. — l. 7: مطرِّف (Th). = p. ٢٨,

قال الشاعر

ما حَوَى العلمَ جميعًا احدٌ لا ولو مارَسَهُ أَلْفَىْ سَنَهْ
انّما العلمُ كروضٍ مُزْهِرٍ فتخيّرْ من كلّ شىء أَحْسَنَهْ

l. 20: r. ولننجو. = p. ٥, l. 2: r. صالح. — l. 3-4: between the words قصّرت — قال something has evidently been left out. — l. 5: r. ارجو; probably ان لا اكون should be read. — l. 9: r. with MS والاحسان (Th). — l. 17: r. لَدميمٌ (Th). = p. ٦, l. 5: MS apparently تنقص. l. 8: r. تُرْجَى. — l. 2 from below: r. وأَشْفَعُهُ (Th). = p. ٧, l. 9: أعْلُ, MS perhaps أغدُ; r. الرائع (Th). — l. 11: after الشعراء is added in a later hand: وهو امير المؤمنين علىّ عليه السلام. — l. 13: ترمى برأسه, margin. variant . . . هب نفسه (يُذهِبُ Th). — l. 16 r. نُبوجِزوا (Th). — l. 3 fr. bel.: r. فَأَسْلَمُ (Th). — l. 2 fr. bel.: مبدى, r. مَبْدَأ or مَبْدَى (Th), MS مَبْدُ. = p. ٨, l. 5: r. أَسْتُرِ (Th). — النفس is a conjecture; a piece of paper has been pasted over the word and لنفسك written on it in another hand. — l. 1 fr. bel.: r. مُعجِب. = p. ٩, l. 3: من, marg. var. لفى. — l. 7: MS يَنْزِعُ. — l. 9: MS has كلّ after شذاته, but crossed out. — l. 5 fr. bel.: r. جدّه (Th) = p. ١٠, l. 4, 5: وَثاق, وثاقها so in MS. — l. 5: r. أُوقِعُ. — l. 14: r. أُملِى. — MS: عبيد الله بن عبيد الله; (cfr. Fihrist p. ١١٧, 14). — l. 16: MS غادره (Socin). — l. 5 fr. bel.: r. اثامُ and النقصُ. = p. ١١, l. 2: »man sollte entweder فى استخذائه erwarten oder سؤاله allein« (Th). — l. 9: r. المُرّى (Th) — l. 12: عن sic MS, Th من? — here on the margin in another hand: قال النبى صلى الله عليه ان الجهل ليربيع فى رياض الكبر = p. ١٢, l. 10: من sic MS, r. عن (Th). — l 11: perhaps better اهلَ — يجرّى. — l. 2 fr. bel.: عبد العزيز

NOTES AND CORRECTIONS.

P. ١. The title is copied from the one prefixed to part II (p. ٩١); for the title in the MS. see preface p. VI. = p. ٣, l. 5 الموشّى, read الوشّاء, as the author is called elsewhere; cfr. preface p. III. This mistake is found also on both title-pages of the MS. — last line: r. خَطَأً (Th). = p. ٤, l. 2: here and in the corresponding place on the next page (l. 13), a portion of the paper has been broken away and pasted over; the remains of the characters look like ولا كلّ العلم درينا‍ه. — l. 4: MS اذا merely. — l. 5: ما is omitted in the MS., but cfr. Harîrî (de Sacy, 2nd ed.) p. ٩; the words استقذف — واذا have a line drawn through them, and مكرر is written above. — Th: for واذا ما اصاب r. واذا اخطأ, and r. استُقذف. — l. 11: r. يَذْهَبْنَ (Th.). — l. 12: the words وافد عقله وقيل دلّ على عاقل اختيارُه وقيل لبعض العلماء اختيارُ الرجل are written on the margin, and are to be inserted in the text after الرجل. — l. 13: lacuna (see note to l. 2 above); perhaps الشكّ visible about the middle. — l. 16: for كلّ r. كلّ شيء: — on the margin is written in another hand (metre الرمل; the vowels are mine):

مَجِىٌّ, for تسائله, مشيئته, مَجِيىٌ etc. — شِيَن for شِئْن, but also شُئُن with Hemza. — Other peculiarities are mentioned in the notes.

After printing the first part I decided to number the lines; the slight inequality occasioned by this will, I trust, be pardoned.

It is without doubt somewhat hazardous to edit an Arabic work from a single Manuscript, especially if it be, as in the present case, the editors first attempt; but the interest pertaining to the Muwaššâ and the great probability of their being no other Manuscript extant may serve as an excuse for my having undertaken so difficult a task. I have all the greater reason, therefore, to be thankful for the kind help of Professor Thorbecke in reading a proof of the work (with the exception of sheets 1—5 and 18—19 = pages 1—40 and 137—152, which he revised after they had been printed off); his numerous and valuable corrections are duly mentioned in the notes. Professor Socin also read a proof; and to both of these kind friends, as also to Professor de Goeje, who in the most liberal manner allowed me to make use of the Manuscript and to keep it during the whole course of the printing (thus enabling me to correct the proofs directly from it), I here express my warmest thanks. The beautifully written title-page is due to the skill of Professor Euting, to whom I am much indebted for this and other kind offices. I must in conclusion not omit to mention the well-known firm of Brill in Leyden, who have given a new proof of the enlightened interest in Oriental studies which characterizes them, by undertaking to publish this work.

Vevey, March 1886.

---

in the University Library of Leyden (n°. 366 Cat. Lugd. I, p. 205), and is the only one in Europe; in the East this work appears to be quite unknown, as Ḥaǵǵi Khalfa does not mention it. The Manuscript measures 9 inches × 6 and contains 191 leaves; the writing is a distinct Naskhî, in most cases vocalised. There is unfortunately no date on it; but judging from the character of the writing, it must be about five hundred years old. The text is a fairly good one, but there are several lacunae and the vowels are often very incorrect. The headings of the chapters are written with red ink. Over the title-page of the first part a sheet of paper has been pasted and a new title written on it in a later hand:

هــذا
الكتَاب المُوَشَّى تاليف الشيخ
الامـام الـعـالـم الـعـلّامـة ابـى الـطـيّـب
محمّد بن اسحق بن يحيى الموشّى
يرحمه الله
تعالى

The Index to the chapters is also a later addition. The principal orthographical peculiarities are: 1) the ا of verbal forms ending in ـُوا is constantly omitted; on the other hand we occasionally find ا in forms where it does not belong (ارجوا p. ٥, l. 5; ولننجوا p. ۴, l. 20). — 2) ة and اء are often written ه and ا, especially in pausal forms, where this would be correct; I have, however, always substituted ة and اء. — 3) ـَى is mostly written ا; conversely we find كَذى for كَذا etc. — 4) an ا as sign of the long â is often wanting; regularly in ثلث, ابرهيم, مرون, ملك, اسحق, عثمن, سليمن etc.; also صلح and سلم. — 5) Hemza with ا is often omitted. — 6) Hemza with ى (ئ, is almost always changed into ـيـ: تسايله, مشيته,

15) ك. السلوان — 16) ك. المذهب — 17) ك. الموشح — 18) ك سلسلة الذهب), Qifṭî gives the title of a large work 19) ك زهر الرياض ("Book of the Flowers of the Gardens"); and the author himself quotes several others in this book: 20) a disquisition on the superiority of truth to falsehood (p. ٣٤, l. 9, title not given). — 21) ك المقتفى (p. ٥٤, l. 21, vid. note). — 22) ك القيان about singing girls (p. ١١٠, l. 6). — 23) ك نظام التاج ("B. of the Pearlstrings of the Crown", p. ١١١, l. 12). — 24) ك العقد on the rose (p. ١٣٨, l. 14). — 25) ك التفاحة on the apple (p. ١٣٨, l. 17). None of these works, with the exception of the Muwaššâ, have come down to us.

The object the author had in writing the Kitâb al-Muwaššâ was to give an exposition of what was considered necessary to a man of polite education (ظريف). The first thirteen chapters contain a disquisition on the two most essential qualities of polite behaviour (ادب chaps. 1—9) and manly honour (مروة ch. 10—13); but the greater portion of the book is devoted to the more general subject of ظرف, or elegance in the most comprehensive sense of the word, and treats of love (ch. 15—22), fashions in dress (ch. 23—28), the table (ch. 29—30), and a number of smaller matters, such as favourite flowers and fruits, etc. (ch. 31 seqq.). A large collection of short verses, which were inscribed on books, portions of the dress, and on various other articles concludes the work (ch. 37—56). The style on the whole is simple and easy; there are however numerous difficult words, especially in the second part. The passages in which the author himself speaks are written in rhymed prose (سجع); but by far the greater portion of the book consists of anecdotes, sayings, and verses, taken from other writers. It is unnecessary to point out the value of the work as showing the sentiments and manners of the educated Arabs during the most brilliant period of the Caliphate.

The Manuscript from which this edition has been made is

that he received this name from the title of this very work »The Book of the Richly-Variegated Cloth." I have adopted the form of the name given on the title-pages of the Manuscript.

The information we have respecting the author is very meagre. Nothing is known of his origin, except that the name al-Aʿrâbî proves him to have been of Bedouin extraction. He was a pupil of some of the most distinguished grammarians of his time, as he himself indicates in various places of this work; among others are mentioned Thaʿlab and al-Mubarrad, the principal representatives of the rival schools of Kûfa and Baṣra. He was afterwards teacher in an elementary school for the lower classes in Bagdad [1]; but he appears also to have given lectures in the palace of the Caliph: a slave-girl, Munya, belonging to one of the wives of al-Muʿtamid, is said to have been one of his pupils [2]. He died at Bagdad about the year 936 (= 325. A. H. [3]). The authors who mention him agree in describing him as having been more of an elegant writer than a grammarian; and this is borne out by the fact that of twenty-five of his works, whose titles have been preserved, eight only treat of grammar and lexicography, the others being evidently of the same class as the Muwaššâ. In addition to the eighteen works mentioned in the Fihrist (1) كتاب مختصر فى النحو. — 2) ك جامع فى النحو. — 3) ك المقصور والممدود. — 4) ك المذكّر والمؤنّث. — 5) ك الفرق. — 6) ك خلق الانسان. — 7) ك خلق الفرس. — 8) ك المثلّث. — (these are the grammatical works). — 9) ك اخبار صاحب الزنج. — 10) ك الزاهر فى الانوار[4] والزهر. — 11) ك لحنين الى الاوطان. — 12) ك حدود الطرف الكبير. — 13) ك الموشّى. — 14) ك اخبار المتظرّفات. —

1) Suyûṭî and Flügel, Gr. Sch. p. 212.
2) Flügel, Qifṭî and Suy.
3) Safadi ap. Flügel, l. c.
4) Suyûṭî الانواء. (l. c. where also a distich of al-Waššâ is given).

PREFACE.

The text published for the first time in this volume is a work of a comparatively little-known grammarian, who lived in the latter half of the third and beginning of the fourth century A. H. (= circa A. D. 860—936). His name is given by different authors with slight variations. The Fihrist (p. ٨٥, l. 17) has Abû Ṭayyib Muḥammed ibn Aḥmad ibn Isḥâq [1]), as also Ibn al-Anbârî (ed. Bûlâq, p. ٣٧٤ [2]), al-Qifṭî (Cat. Lugd. I, p. 205) and as-Suyûṭî (ib. p. 206); the three latter add ibn Yaḥyâ after Isḥâq. On the title-pages of this work, however, the author's father is called Isḥâq ibn Yaḥyâ [3]); but the former name would appear to be the correct one. It is also not quite certain whether the cognomen al-Waššâ belonged to him or to his father; whereas the Fihrist, Suyûṭî, and the title-pages of this work [4]) apply it to him, in Ibn al-Anbârî, Qifṭî and at the end of vol. I (p. ٨٩) he is called Ibn al-Waššâ. The appellation of »vendor of richly-variegated cloth [5]) may have been applied to our author in a metaphorical sense, like the name al-Farrâ [6]); it is even possible

1) The Fihr. and Qifṭî call him al-A'râbî; and he is also usually styled „the Grammarian" (النحوى).

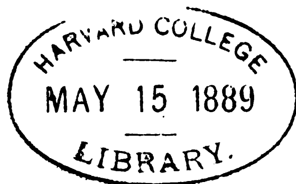
2) For محمد بن محمد read of course محمد بن احمد.

3) Also mentioned by Suyûṭî (l. c.).

4) On these and on p. ٣, l. 5 falsely written الموشى. cfr. p. ٨٩.

5) Cfr. Dozy, Suppl. voce وشى.

6) Flügel, Grammat. Schulen p. 129.


HARVARD COLLEGE
MAY 15 1889
LIBRARY.

KITÂB AL-MUWAŚŚÂ

OF

ABÛ 'Ṭ-ṬAYYIB MUḤAMMED IBN ISḤÂQ
AL-WAŚŚÂ

EDITED FROM THE MANUSCRIPT OF LEYDEN

BY

RUDOLPH E. BRÜNNOW
PH. D.



LEYDEN,
E. J. BRILL
1886.